الفلسفة والعرفان في ضوء الاسلام

تأليف: الاستاذ محمّد صدر زاده

تعريب: كمال السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

صدرزاده، محمد، ۱۳۲۵-

فلسفه و عرفان از نظر اسلام. عربی

الفلسفه و العرفان فی ضوء الاسلام

قم: انتشارات انصاریان، ۱۳۹۴

۴۲۸ص.

ISBN: 978-964-219-490-2

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا

کتابنامه بصورت زیرنویس

الف. سید، کمال، ۱۳۳۶/seyyed, kamal ب. عنوان.

شماره کتابشناسی ملی: ۳۸۱۷۸۴۲

الفلسفة و العرفان فی ضوء الاسلام

المؤلف: محمّد صدرزاده

تعريب: كمال السيد

الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر

الطبعة الأولى ١٣٩٤ - ١٤٣٦ - ٢٠١٥

المطبعة: قدس

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٤٢٨ ص.

حجم الغلاف: كبير

رقم الإيداع الدولي: ٩٧٨-٩٦٤-٢١٩-٤٩٠-٢ (ISBN)

مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر

جمهورية ايران الإسلامية

قم – شارع الشهداء – فرع ٢٢ – ص. ب ١٨٧

هاتف: ٣٧٧٤١٧٤٤ (٢٥) (٩٨) فاكس: ٣٧٧٤٢٦٤٧

البريد الالكتروني : Int_ansarian@yahoo.com

www.ansariyan.org & www.ansariyan.ir

الفلسفة والعرفان

في ضوء الإسلام

دراسة تحليليّة حول الكلام ، الفلسفة ، العرفان
والتصوّف وموجز في التوحيد الإسلامي

تأليف
محمّد صدرزاده

تعريب
كمال السيد

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين بارئ الخلائق أجمعين، نحمده إذ وهبنا نوراً هو العقل نعرف به أنفسنا وخالقنا وما حولنا من الكائنات ومفردات الوجود. بعث الله سبحانه أنبياءه المرسلين في كلّ عصر من أجل تنمية الفكر البشري وترشيد حركة التاريخ الإنساني نحو الكمال، فهم معلمو البشر في كلّ عصر يرشدون الناس إلى إرادة الله عزّوجلّ. واذن فان هذا الوجود بمثابة مدرسة كبرىٰ والانبياء معلمون وأساتذة ومربّون، فالذين استلهموا تعاليمهم وأتقنوا مفاهيم الدين، كانوا سباقين إلىٰ معرفة أنفسهم وموقعهم من الوجود وبالتالي طبّقوا هذه المعرفة في واقع حياتهم ونفّذوا أوامر الله سبحانه وأطاعوه فنجوا من الهلاك الأبدي، ذلك أن وضع الشيء في موضعه من الضرورات والانحراف عن المسار الصحيح يؤدّي بالمرء نحو الهاوية.

وما أكثر الطرق والمسارات التي تعرض فيه طريق البشر على انها الصراط المستقيم، لذا يتعيّن على الانسان أن يتعرّف أكثر فأكثر وكان آخر الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمّد بن عبدالله ﷺ رسله سبحانه بالهدى ودين الحق يحمل كتاباً هو القرآن الكريم آخر الكتب السماويّة.

واذن فان طريق الهداية ينحصر في معرفة علوم القرآن والسير على خطى آخر الرسل الالهيّين واتباع تعاليمه والنأي عن الباطل والاحتراز من أفكار الآخر والحذر ازاء اولئك الذين يطرحون أفكارهم علىٰ أنّها تعاليم قرآنيّة.

ولا يمكن تطبيق هذا المنهج والسير في هذا النهج إلّا بتعلّم المفاهيم والمعارف

القرآنيّة من شخص الرسول الأكرم أو من عرّفهم والنبي ﷺ علىٰ انّهم حملة علوم القرآن وخلفاؤه بالحق وهم الأئمّة المعصومين الأطهار الذين اصطفاهم الله عزّوجلّ ليكونوا الأوصياء على رسالته.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم تولّدت فكرته بعد أن أهداني أحد العرفاء الصوفيّين وقد دار بيننا حوار حول قضايا العرفان فقدم لي كتاباً تحت عنوان «رسالة رفع الشبهات» وأوصاني بمطالعته.

وعند ما طالعته وجدته عارياً عن الحقيقة فعكفت على دراسته وتسجيل بعض الملاحظات على ما ورد فيه من أفكار اضطرتني إلى دراسة العرفان والتصوّف وعلاقته بالاسلام فكان هذا الكتاب الذي يقع في خمسة فصول:

ـ نبذة عن العرفان والتصوّف

ـ الرد علىٰ ما ورد في رسالة رفع الشبهات

ـ الفلسفة والكلام

ـ العرفان

ـ موجز في التوحيد الاسلامي

وها أنا أقدّم هذه الدراسة حول حقيقة «العرفان و«التصوّف» وعلاقتهما بالاسلام دين الله الحنيف، فهل يا ترىٰ ينبعان من الدين الاسلامي أم أنّها ثقافة مستوردة غريبة علىٰ تعاليم الاسلام وميراث وصل إلينا من عصور ما قبل ظهور الاسلام؟

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم

محمّد صدر زاده

الفصل الأوّل

نبذة عن العرفان والتصوّف

من الضروري وقبل مناقشة ما ورد في «رسالة رفع الشبهات» أن يكون لدينا تصور واضح عن العرفان و (التصوّف) وعلاقتهما بالدين الإسلامي الحنيف.

العرفان والتصوّف مصطلحان مترادفان ينطويان على دلالة واحدة ويطلقان على جماعة تسعىٰ إلى معرفة ذات الباري وصفاته ومعرفة كيفيّة العلاقة بين الخالق والخليقة، حيث انتهت عقيدتهم إلى فكرة انحصار الوجود في شيء واحد أو ما يعرف بـ«وحدة الوجود» وظهور هذه الفرضيّة في عالم الأفكار.

و «العرفان» هو عنوان هذه الجماعة الثقافي و «التصوّف» عنوانها الاجتماعي»[1].

وفرضية «وحدة الوجود» تقول: لا توجد سوى حقيقة واحدة هي «الوجود».

وهذا الوجود متحقّق في صورتين؛ الخالق والمخلوق؛ وعليه فهما مشتركان

---

١. آشنايى با علوم اسلامى (نبذة عن علوم الاسلام)، الشهيد مرتضىٰ مطهّري ص ٧٠ (قسم العرفان).

في الوجود وكلاهما من سنخ واحد؛ مع اختلاف واحد فقط هو ان أصل ومصدر الوجود موجود في ذات الخالق أمّا المخلوقات فأنّ لها من فيض الوجود بقدر قابليتها وسعتها.

وبعبارة أُخرى ان ذات الخالق الذي هو وجود محض يخرج من حالة الاطلاق بالتعين والتبلور إلى صورة المخلوقات؛ وبالتالي فان هذه المخلوقات هي نفسها ذات الخالق الذي قد تظهر بصور الكائنات المختلفة.

والاختلاف الوحيد بين الخاق والخليقة بحسب هذه الفرضيّة هو في الاطلاق والتقييد، الاطلاق في وجود الخالق والتقييد في وجود المخلوق أي اللامحدوديّة والمحدوديّة.

يعني ان ذات الخالق هي عين الوجود وغير محدودة وفي نفس الوقت فان هذا الوجود يكون مقيّداً ومحدوداً في المخلوقات.

فلا مناص وفق هذا التعريف أن تكون كلّ صفة لذات الخالق يعني الوجود المطلق موجود بعينها في المخلوق إلّا انّها تكون بصورة ناقصة وفي النتيجة فان كلّ صفة وكمال في ذات الخالق يمكن أن توجد أيضاً في المخلوقات.

انّ البحث يدور حول فكرة ومفاد «وحدة الوجود» التي هي محور أفكار أصحاب العرفان والمتصوّفة من كلّ عرق وشعب ودين ومذهب وبالرغم من الاختلاف في القوميّة والأديان والمذاهب إلّا ان عقائدهم جميعاً واحدة.

وهم لا يقيمون وزناً للعقائد الدينيّة فالفكر والايمان لديهم لا معنىً له وشعارهم جميعاً «ليس في الدار غير ديّار» يرفعونه كلّ حسب لغته.

نماذج من عقائد وأفكار العرفان اليوناني قبل الإسلام

يقول برمانيدس تلميذ اكسيوفان (ولد سنة ٦٤٣ قبل الميلاد):

ـ «الشخص العاقل لا يعتقد إلّا بوجود واحد هو كلّ الوجود»[١].

ويقول افلوطين (ولد ٢٠٤م) المؤسّس للعرفان والتصوّف المسيحي:

ـ «هو كلّ الأشياء إلّا انّه ليس بشيء منها».

«الحقيقة واحدة والأحديّة هي الأصل ومصدر كلّ الوجود، والكائنات جميعاً فيض من المبدأ الأوّل وغائيّة الوجود هي العودة إلى ذلك المبدأ حيث يدرك في قوس النزول العوالم الجسمانيّة والروحانيّة، ويبلغ في قوس الصعود الحس والتعقّل والاشراق والكشف والشهود[٢]».

ويقول: ولكي نصل إليه يجب تجاوز الحس والعقل والتوسّل بالسير المعنوي والكشف والشهود.

ويقول كذلك: «ان اسناد العلم والادراك إلى الله ينافي التوحيد، ذلك انه لا يوجد شيء سواه حتّى يكون معلوماً له. وليس مريداً لأنّه لا نقص فيه حتّى يكون طالباً لشيء؛ هو كلّ الأشياء إلّا انّه ليس بشيء منها»[٣].

نموذج من عقائد العرفان الهندي

يقول «الفيدانتيانيون» وهم متصوّفة الهند:

---

١. سير حكمت در اروپا (مسار الفلسفة في اوربا) ١/١٥.

٢. المصدر السابق ١/٨٦.

٣. المصدر نفسه.

ـ «العالم شعوذة الحق، وذاته المقدّسة تظهر في صورة ثمّ يتركها ليظهر في شكل آخر»[١].

يقول العرفان الهندي:

ـ «واجب على الله أن ينزل من الاطلاق ليظهر في كلّ نوع من المخلوقات». «من الذرّة إلى الشمس؛ الكل عين ذاته المقدّسة»[٢].

نموذج من العرفان الزرادشتي

فرقة من قدماء الفرس يتبعون جمشاسب بن جمشيد وكان عالماً إذ يقولون بأن «العالم ليس له وجود خارجي، وكلّ ما هو موجود ذات الخالق».

وتذهب فرقة أُخرى من قدماء الفرس يعرفون بـ(السمراديين) وكلمة «سمراد» تعني الوهم والتصوّر وهم فرق متنوّعة، منهم أتباع فرتوش أو الفرتوشيون ويعتقدون ان العالم وهم وخيال إلّا ان الأفلاك والنجوم وسائر المجرّدات خالدة وأبديّة.

وهناك فريق من هؤلاء (السمراديّين) من أتباع فرشيد بن فرتوش ويدّعون بـ«الفرشيديّين» الذي يقول:

ـ «انّ المجرّدات من عقول ونفوس هي الأخرىٰ لا وجود لها والوجود الحق هو واجب الوجود فحسب، وما الأشياء الاخرىٰ إلّا وهم وخيال»[٣].

---

١. ناسخ التواريخ ٤/١٨٦، ج الهبوط. ٢. المصدر السابق.

٣. المصدر نفسه ٣/٢٣٨، ج الهبوط.

نموذج من العرفان الإسلامي السني

يقول محي الدين بن العربي:

ـ «فاذا شهدناه شهدنا نفوسنا، لأن ذواتنا عين ذاته لا مغايرة بينهما إلّا بالتعين والاطلاق، وإذ شهدنا أي الحق شهد نفسه أي ذاته التي تعينت وظهرت في صورتنا»[١].

ويقول: «فكلّ ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات فالعالم متوهّم ماله وجود حقيقي وهذا معنى الخيال».

ويقول: «سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها»[٢].

ويقول: «فما عبد غير الله في كلّ معبود إذ لا غيره في الوجود»[٣].

ويقول القيصري في شرح مقولة محي الدين بن العربي:

«إنّ لكلّ شيء جماداً أو حيواناً حياة وعلماً ونطقاً وارادة وغيرها ممّا يلزم الذات الالهيّة لأنّها هي الظاهر بصور الحمار والحيوان»[٤].

ويقول: «إنّ الذات الالهيّة هي التي تظهر بصور العالم وانّ أصل تلك الحقائق وصورتها تلك الذات»[٥].

«بل هو عينها لا غيرها أعني الموجودات العينيّة لأنّ الحقيقة الواحدة التي هي حقيقة الحقائق كلّها هي الذات الالهيّة وباعتبار تعيناتها وتجلّياتها في مراتبها المتكثّرة وتصير حقائق مختلفة جوهريّة متبوعة وعرضيّة تابعة»[٦].

---

١. فصوص الحكم ٨٥.
٢. الفتوحات المكيّة ٢/٤٥٩.
٣. فصوص الحكم ١٤٣.
٤. فصوص الحكم ٢٥٢.
٥. المصدر السابق ٧٠.
٦. المصدر نفسه ٨٠.

ويقول: «هوالذي يظهر بصور البسائط ثمّ بصور المركّبات فيظنّ المحجوب أنّها مغايرة بحقائقها وما يعلم أنّها أُمور متوهّمة ولا موجود إلّا هو»[١].

ويقول أيضاً: «نفس العارف ليست مغايرة لهويّة الحق ولا شيء من الموجودات أيضاً مغاير لها لأنّ الهويّة الالهيّة هي التي ظهرت في هذه الصورة كلّها»[٢].

يقول مولوي[٣] (مولانا) في ديوان شمس تبريزي:

«في كلّ لحظة يظهر يخلب القلب ويختفي
يرتدي في كلّ حين حلّة مرّة شيخاً وأُخرى في شباب
يطوف فوق الأرض متفرّجاً
مثل عيسى المسيح أصبح مسبّحا
صار يوسف ومن مصر ارسل
قميصاً أضاء العالم ومن نوره أبصر يعقوب
حقاً هو من كان يرعى الغنم باليد البيضاء
صار عصاً وصار افعىٰ وعبر البحر
وصار صالحاً داعياً للصلاح
وأصبح ناقة تخرج من قلب الجبل»

إلى أن يقول:

---

١. المصدر نفسه ١٦٣.
٢. المصدر نفسه ٢٨٠.
٣. من رجال العرفان والتصوّف، أشعري المذهب وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

صار يونس يتطهر في بطن الحوت

صار موسى طالباً للقاء على جبل طور

صار عيسى وفي المهد يشهد بروح القدس

ومن معجزته صارت النخلة رطباً ومنها الروح فاضت

بالله هو من كان يقول: أنا الحق في صوت الهي

ليس منصور[١] من كان مصلوباً ذاك ظنّ الجاهل

الرومي لم يقل كفراً فلا تستنكروا

يصبح كافراً من أنكر ويصير من أهل النار

تبريز كان هو وكان هو أيضاً شمس

المعاني في فوران الأسرار في العشق»

وعليه فانّ الرومي (جلال الدين مولانا) يزعم انّها هي الذات الالهيّة من تظهر في هذه الصورة أو تلك، وبالتالي فهي تظهر كما تشاء سواء في الكائنات الحيّة أو الجمادات في الأنبياء أو في الحيوانات وبالتالي في صور جميع الكائنات والمخلوقات فهي تتجلّىٰ في كلّ شيء قبيح وجميل بحيث تكون جهنّم هو أيضاً».

ويقول في ديوان شمس تبريزي:

«منّي تنوّر العالم منّي تصوّر آدم

أنا الفاضل والعالم وأنا القاضي وقاضي القضاة أنا

أنا الجحيم وأنا الجنّة والحوريات

---

١. الحلّاج. المترجم.

وأنا المالك للدنيا وأنا السم والحلوىٰ أنا»

ويشبه «مولانا» ذات الخالق بالشمس وضوئها؛ ينبعث النور من الشمس ويشرق فوق سطوح المنازل فيأخذ شكله حسب شكل تلك السطوح وفي النتيجة فان النور واحد لكنّه يأخذ اشكالاً متعدّدة متنوّعة بحسب تنوّع باحات البيوت:

كما ضياء الشمس في السما واحد

وهو مئة بالنسبة لباحات البيوت

لكن أنوار البيوت واحد

إذا ازلت جدران البيوت

نموذج من العرفان الإسلامي الشيعي

يقول صدر المتألّهين (ملا صدرا):

ـ «كذلك هداني ربّي بالبرهان النيّر العرشي إلى صراط مستقيم من كون الموجود والوجود منحصراً في حقيقة واحدة... وليس في دار الوجود غيره ديّار، وكلّما يتراءىٰ في عالم الوجود انه غير الواجب المعبود فانّما هو من ظهورات ذاته وتجلّيات صفاته التي هي في الحقيقة عين ذاته... فكلّ ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات»[١].

كما يقول: «فكلّ من أدرك شيئاً من الأشياء بأيّ ادراك كان فقد أدرك الباري»[٢].

---

١. الأسفار ٢/٢٩٢.
٢. المصدر السابق ١/١١٧.

ويذهب ملا صدرا إلى ان وجود الممكنات والمخلوقات إنّما هي وجود الحق تعالى ولكنّها في درجات ومستويات أدنى؛ واشاراته كثيرة في هذا المضمار.

ويقول العارف والمتصوّف الشيخ محمود الشبستري في روضة الأسرار:

الوجود في كماله ساري وما التعينات إلّا امور اعتبارية.

والامور الاعتباريّة ليس لها وجود فالعدد كثير والوجود لشيء واحد فقط.

إلى أن يقول:

«ولو درىٰ المسلم ما هو الوثن ـ لعلم ان الدين في عبادة الوثن.

فهو يقصد ان الله يتجلّى في صورة الأصنام وبالتالي فان عبادة الأصنام إنّما هي عبادة لله.

ان ذكر أمثلة ونماذج من كلّ العرفاء والصوفيّين يتطلّب كتاباً مستقلّاً وكلّ ما كتبوه شعراً أو نثراً يشبه تماماً ماكتبه الصوفيّون والعرفاء في كلّ الامم والأديان ان هذا التوحّد في عقائد جميع الصوفيّين في العالم هو أكبر دليل على انتفاء أي علاقة بين العرفان والتصوّف مع الوحي وتعاليم القرآن الكريم.

ومن الطبيعي ألا يتمسك عرفاء أهل السنّة ومتصوفتهم بأهل البيت عليهم السلام ولا يأخذون عنهم المعارف الدينيّة؛ بل ويبلغ التعصّب ببعضهم أن إذا ذكروا اتباع أهل البيت فانهم يذكرونهم بسوء ويقولون «خذلهم الله» ولا يتورّعون حتّى عن اساءة الأدب لدى تعرّضهم لمقام أهل البيت عليهم السلام العلمي.

وهذا أبو حامد محمّد الغزالي صاحب كتاب احياء العلوم وهو من زعماء العرفان والتصوّف وأيضاً محيي‌الدين بن عربي الذي يورد في كتابه الفتوحات

رؤية ما يعرف بـ «الرجبيين» لأتباع أهل البيت في صورة الخنزير في عوالمهم الشهوديّة!!

ثمّ يقول معلّقاً: هذه علامة اختارها الله لهذه الطائفة!! لاحظ النصّ التالي:

«ومنهم الرجبيون وهم أربعون نفساً في كلّ زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله..

لقيت واحداً منهم بدنيسير من ديار بكر... وكان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة فكان يراهم خنازير... وهي صورة الخنزير العلامة التي جعلها الله في أهل هذا المذهب»[1].

وهذا الغزالي لا يذكرهم إلّا قال: «خذلهم الله»[2].

ولتوحّد الأفكار والآراء العرفانيّة والصوفيّة بالرغم من اختلافهم في الانتماء الديني والمذهبي يقودنا إلى نتيجة واضحة وهي ان منشأ ومصدر آرائهم العرفانيّة لا علاقة له بعقائدهم الدينيّة.

وعلى افتراض صحّة العقائد والأفكار العرفانيّة ـ وهذا ما لا يقول به أهل البيت عليهم السلام بسبب توحد هذه العقائد في جميع الأُمم والأديان ـ فانّه لا جدوىٰ من وجود أهل البيت في هداية النـاس، ذلك ان العرفاء والمتصوّفة توصلوا إلى الحقائق المشتركة في جميع الأديان والمذاهب والأُمم وبالتالي تنتفي صحّة مقولة أن أهل البيت عليهم السلام هم من يفسّر القرآن الكريم وبطلان وصيّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مودّة أهل بيته عليهم السلام في الآية الكريمة:

---

١. الفتوحات المكيّة ٢ /٨.   ٢. احياء العلوم ٩ /١٩.

﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[١].

فاذا افترضنا صحّة الآراء والعقائد العرفانيّة الصوفيّة فانّه لا معنى يبقىٰ لتوصيات رسول الله ﷺ في أهل البيت عليهم السلام لأنّه لم تعد هناك من حاجة إليهم؛ ذلك ان جميع العرفاء المتصوّفة من كلّ أُمّة ودين لهم عقائد مشتركة متوحّدة لا علاقة لها بمعارف الدين الاسلامي ولا بأهل بيت الوحي.

نماذج من توصيات النبي الأكرم ﷺ في ضرورة التمسّك بأهل البيت عليهم السلام

ـ حديث الثقلين: وهو قوله ﷺ:

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي»[٢] وهو من الأحاديث المتواترة المنقولة في كتب الحديث لدى الشيعة وأهل السنّة.

ـ وقوله ﷺ «وهم الذين قال الله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾»[٣].

وهو إشارة إلى قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٤].

---

١. الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

٢. بحار الأنوار ٢٣/١٠٤، باب فضائل أهل البيت والنصّ عليهم.

٣. بحار الأنوار ١١٩/٧؛ تفسير القمي / ٢٤٩؛ شرح نهج البلاغة ١/٢٧٧.

٤. فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.

ـ حديث السفينة وهو قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[١].

وهذه الأحاديث منقولة على نطاق واسع في كتب الفريقين من قبيل قوله ﷺ: «من طلب الهدى في غيرهم فقد كذبني»[٢].

ان المزاعم العرفانيّة الصوفيّة في التوصّل إلى الحقائق الدينيّة تستلزم إمّا:

ـ «عبثيّة الوصايا النبويّة في التمسّك بأهل البيت عليهم السلام والاقتداء بهم».

ـ أو عدم صحّة هذه المزاعم الصوفيّة وعدم صحّة ما يذهب إليه مؤلف «رسالة رفع الشبهات» في قوله:

«ان أفكاره وآراءه العرفانيّة مستلهمة من طريقة شاه نعمت الله ولي الكرماني ومتابعته للأئمّة المعصومين عليهم السلام!! غير أن التأمّل في معطيات أحاديث أهل البيت عليهم السلام يقودنا إلى اكتشاف حدّه التناقض بين عقائد أهل البيت عليهم السلام في التوحيد ومعرفة الله وبين المدارس الفلسفيّة والعرفانيّة البشريّة.

وسبب هذا التناقض واضح تماماً وهو يكمن في ان عقائد أهل البيت نابعة من القرآن الكريم ومن تعاليم الرسول الاكرم ﷺ في حين ان مقولات الفلاسفة والعرفاء المتصوّفة هي آراء موروثة من أساطين الفلسفة اليونانيّة والهنديّة من زنادقة فارس قبل الاسلام.

---

١. بحار الأنوار ٢١٢/٢٣ (باب ان من اصطفاه الله من عباده وأورثه كتابه هم الأئمّة)؛ الفصول المهمّة / ١٩٩.

٢. اعلام الورى / ٤٢٥؛ أمالي الشيخ الصدوق / ٦٤؛ بحار الأنوار ١٤٣/٢٣؛ كمال الدين ٤١١/٢.

وما استشهادهم بالآيات القرآنيّة والروايات والأحاديث إلّا من أجل تسكين الخواطر وخشية من تكفير علماء الدين لهم، إلّا ان الحقيقة تظهر واضحة لدى سعيهم التطبيق بين مقولاتهم ومعطيات الآيات والروايات.

نماذج من توصيات الأئمّة المعصومين عليهم السلام

يقول مولى الموحدين الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاتِ وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْر»[١].

وقوله عليه السلام:

«نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقا»[٢].

ويقول الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«كُلُّ مَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ»[٣].

وقوله عليه السلام:

«لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ وَلا صَوَابٌ وَلا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْضِي بِقَضَاءٍ حَقٍّ إِلّا مَا خَرَجَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْت»[٤].

---

١. نهج البلاغة الخطبة ١٢٠. ٢. المصدر السابق، الخطبة ١٥٤.
٣. بحار الأنوار ٢/ ٩٤؛ الفصول المهمّة ٢٠٣؛ وسائل الشيعة ٢٧/ ٧٤.
٤. اصول الكافي ١/ ٣٩٩؛ بحار الأنوار ٢/ ٩٤؛ وسائل الشيعة ٢٧/ ٦٨.

وهذه الأحاديث الشريفة تفيد بأن علوم الوحي القرآنيّة موجودة لدى أهل البيت عليهم السلام حصراً، وهناك أحاديث كثيرة تؤكّد هذه الحقيقة.

واذن لا مناص في أن نحكم ببطلان العلوم والمعارف في مضمار المعارف القرآنيّة والتي لم تصدر عن أهل البيت عليهم السلام.

ولكي يحمي الفلاسفة والعرفاء والمتصوّفة الشيعة أنفسهم من انتقادات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام واخفاء التناقض الموجود بين أفكارهم وتعاليم الاسلام زعموا ان عقائدهم مقتبسة من مدرسة أهل البيت عليهم السلام فعلىٰ سبيل المثال نرى عرفاء ومتصوّفة جميع المذاهب الاسلاميّة يتّفقون مع عرفاء المجتمع الشيعي في قولهم:

«عالم الوجود وجميع الكائنات تجليات وظهور ذات الخالق؛ وبتجلّيه وجد العالم والمخلوقات» أيضاً: كلّ مخلوق هو شأن من شؤونه ودرجة من درجاته على نحو يدرك الله بمقدار ادراكه؛ لأنّ الله هو من تجلّى في ذلك المخلوق وظهر.

والفرق الوحيد بين الخالق والمخلوق هو اطلاق الوجود في الخالق وتقيّد هذا الوجود ومحدوديّته في المخلوق؛ ذلك انّ الله هو الوجود المطلق وبتعيّنه وتشخّصه يخرج من حالة الاطلاق إلى صور المخلوقات والكائنات، ما يعني ان الكائنات والمخلوقات هي ذات الباري تظهر في صور وأشكال مختلفة وهذه الفكرة هي الأساس والصرح الذي تنهض عليه العقيدة العرفانيّة لجميع العرفاء لدى جميع الأُمم والشعوب والأديان والمذاهب.

فهل من الصواب القول ان المتصوّفة الشيعة استلهموا عقيدتهم من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ؟ مع التأكيد مرّة اخرى على ان هذه العقيدة هي نفسها لدى المتصوّفة

في جميع الأديان والمذاهب والقوميّات المختلفة؟

فكيف توصّل أولئك العرفاء والمتصوّفة إلى هذه الأفكار ولم يتّصلوا بأهل البيت ولم يأخذوا عنهم؟!

انّنا عندما نراجع القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لأهل البيت عليهم السلام حيث في طليعة مسؤولياتهم ايصال معرفة الله عزوجل للناس، فسوف لن نجد آية واحدة أو رواية تقول ان المخلوقات تجلّيات الخالق؛ وهي بالتالي هي عين ذاته وأن الخالق والمخلوق يشتركان في كلّ شيء وهما وجود واحد.

واذن فمن أين تنبع هذه العقيدة العرفانيّة الصوفيّة التي ظهرت منذ آلاف السنين واستمرّت إلى يومنا هذا؟!

ويقول الفلاسفة والحكماء:

«ان هذا الأمر من وجهة نظرنا موضوع عقلي».

ويقول العرفاء والصوفيّون:

«أمر كشفي وشهودي».

مع اننا رأينا ونرىٰ ان كلّ ما قاله الفلاسفة من آراء مجرّد كلام فارغ وتخريف وما قاله العرفاء والمتصوّفة في النفوس الفلكيّة والكشف والشهود وتطوافهم بالأفلاك ورؤيتهم الثوابت والسيارات وتأثير النفوس الفلكيّة على الحركات فوق الأرض وعوامل ايجاد هذه الحركات وما نقش فوق الأفلاك من جميع المعلومات في الماضي والمستقبل وامكانيّة الاطّلاع على شؤون الغيب من خلال العلاقة مع تلك الأفلاك و... إنّما هي أكاذيب وخرافات ليس إلّا!».

ومن المثير اننا نلاحظ اهتماماً متزايداً بهذه الأفكار في مضمار الذات الالهيّة وكيفيّتها وأن يستمر الاتّجاه العرفاني الصوفي في حركته بنفس الزخم الكبير ومحاولات لنشره في المجتمع الشيعي!

في الوقت الذي يقول فيه القرآن الكريم:

﴿ ٱتَّبِعُوا مَاأُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَاتَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ ﴾[1]

واذن فنحن ملزمون باتباع القرآن الكريم وتعاليم الرسول وبما أوصى الرسول ﷺ بأتباعهم وهم أهل الذكر والراسخون في العلم.

ان الفكر البشري ومهما بلغ من رقيّه لا يمكنه الخوض في علوم الوحي كما لا يمكنه أن تكون له نظريّة صائبة في الالهيّات وكلّ ما يبدعه في هذا المجال لا قيمة له أبداً.

ومن هنا يأتي ارسال الرسل وانزال الكتب السماويّة لهداية الانسان لأنّه عاجز عن التوصّل إلى الحقيقة في مجال قوانين التشريع بينما هو قادر على اكتشاف قوانين التكوين والطبيعة؛ اذ منحه الله عقلاً نافذاً في هذا المضمار يمكّنه من البناء والإعمار والاستفادة من خيرات الأرض.

ولهذا يحذّر أولياء الله وأوصياؤه من اعمال آرائهم الذاتيّة في مجال العقيدة الدينيّة.

يقول مولى الموحدين وأميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«**إنَّ المُؤْمِنِ أخَذَ دينَهُ عَنْ رَبّه وَلَمْ يأخُذْهُ عَنْ رأيِه**»[2].

---

١. الأعراف، الآية ٣.

٢. بحار الأنوار ٦٨/٣٠٩؛ وسائل الشيعة ٢٧/٤٤.

فهل للعقل والعلم والخيال والوهم طريق إلى معرفة كنه الخالق وكيفيّة ذاته وصفاته؛ ثمّ الحكم بأن ذات الله تجلّت في صور مخلوقاته؟!

إننا اذا رجعنا إلى مدرسة أهل البيت وجدنا الامام الحسين عليه السلام يقول: «احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار»[١].

أو قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«ما وحّده من كيّفه»[٢].

وفي ضوء الحديث أعلاه أليس القول بأنّ الله يتجلّى ويظهر بصور مخلوقاته هو خوض في موضوع كيفيّة الذات الالهيّة؟!

يقول ابن عربي:

«انّ هويّة الحق هي التي تعيّنت وظهرت بالصورة العيسويّة كما ظهرت بصورة العالم كلّه»[٣].

وهذا الكلام والتوصيف يردّده عرفاء السنّة والشيعة ومتصوّفتهم في حين ان الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه أبداً هكذا توصيف؛ وعند ما يتحدّث أهل العرفان والتصوّف في الذات الالهيّة وتجليّاتها فانّهم يتحدّثون بطريقة كما لو انّهم يحيطون احاطة تامّة بالذات المطلقة اللانهائيّة وعلى نحو يوحي بأنّه لا يوجد أمر محجوب عن رؤيتهم، بل انّهم وبحسب مزاعمهم تمكنوا من مشاهدة ظهور الله وتجليه في تعيناته ومخلوقاته في عالم الكشف والشهود!

---

١. بحار الأنوار ٤/٣٠١؛ تحف العقول ٢٤٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

٣. فصوص الحكم ٣٢٥.

في حين يقول سبحانه وتعالى:

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[١].

وفي ضوء أحاديث أهل البيت عليهم السلام ان العقل البشري لا سبيل له ولا طريق للخوض في مضمار كنه الذات الالهيّة وكيفيّة صفاتها وأفعالها حتّى يصدر أحكامه في ذلك الأمر الذي يعني ان كلّ ما نجم من أفكار وآراء ونظريّات من خلال الفلسفة والتصوّف والعرفان لا أساس لها من الحقيقة أبداً.

فلا مناص من أن يعترف الانسان بعجزه في معرفة كيفيّة الذات الالهيّة وما نراه من عرفان لدى بعض عباد الله الصالحين جاء لتعريف الله نفسه للصالحين من عباده وإلّا فان معرفة الله تعالى ليست أمراً اكتسابياً.

واذن فان الحديث في ذات الخالق وتوصيفه بغير ما وصف به نفسه ليس إلّا كفر وإلحاد يجتنبه عباد الله الصالحين.

يقول الامام موسى الكاظم عليه السلام:

«لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله في كتابه فتهلك»[٢].

ويقول ثامن أئمّة أهل البيت الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«مَنْ وَصَفَ اللهَ بِخِلافِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللهِ قَالَ اللهُ: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ هَذِهِ الْأَبْصَارُ لَيْسَتْ هِيَ الْأَعْيُنَ إِنَّمَا هِيَ الْأَبْصَارُ الَّتِي فِي الصُدُور»[٣].

---

١. الكهف، الآية ٥٢.

٢. بحار الأنوار ٤/٢٩٦؛ توحيد الشيخ الصدوق ٧٦.

٣. المصدر السابق ٤/٥٣؛ تفسير العياشي ١/٣٧٣.

الفصل الثاني

الردّ علىٰ كتاب « رسالة رفع الشبهات »

بعد التوضيح الاجمالي حول العرفان والتصوّف في الفصل الأوّل نناقش الآن ما ورد في كتاب «رسالة رفع الشبهات» التي تهدف إلى تفنيد الاشكالات الواردة في عقائد المتصوّفة:

يقول: «... والمهدي المنتظر هو الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله فرجه الشريف الوصي الثاني عشر للنبي صلّى الله عليه وآله والذي لقبه الخاص المهدي... وما يقوله البعض عن المهدويّة النوعيّة إنّما يقصد المعنى المذكور أعلاه ولا غير حتّى يكون مورد الاشكال...».

نلاحظ المؤلّف في رسالته يفسّر ما هو شائع لدى المتصوّفة بشأن المهدويّة النوعيّة بأنّها المهدويّة الخاصّة والتي من خلالها يثبت وجود الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله فرجه الشريف الامام الثاني عشر لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام والذي هو نسل الامام أميرالمؤمنين عليه السلام وذريّة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله.

وما قاله مؤلّف الرسالة خلاف الواقع فهذا مولانا جلال الدين وهو من زعماء الصوفيّة يقول بصراحة ووضوح في المثنوي:

«ففي كلّ عصر ولي قائم
والامتحان إلى يوم القيامة دائم
فالامام الحي والقائم ذاك الولي
كان من نسل عمر أو نسل علي»(١)

اذن فمولانا في شعره يقول انه لا ضرورة في أن يكون الامام الحي القائم من نسل علي عليه السلام.

ومن البديهي ان الامام الحي والوليّ القائم في ضوء مدرسة اهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن يكون إلّا المهدي الموعود يعني الحجّة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف.

فاذا كان المهدي الموعود من نسل عمر أيضاً كما يقول مولانا فلا يمكن أن يكون منتسباً للامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام ومن ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هنا فان مؤلّف الرسالة عند ما يقول ان المراد من المهدويّة النوعيّة لدى المتصوّفة هي مهدويّة الحجّة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف هو جزاف من القول ولا يرفع هذه الشبهة أبداً.

وإذا كان يدّعي المهدويّة النوعيّة شخص آخر غير مولانا فليذكره مؤلّف الرسالة ويستشهد بأقواله في ذلك حتّى يتأتّىٰ له رفع هذه الشبهة.

يقول مؤلّف الرسالة في مسألة العشق: «وعلى فرض عدم ورود هذا المصطلح في اللغة أو في الشريعة فان مقصود العرفاء هو شدّة الحب لا غير... طبعاً ان اطلاق كلمة «المعشوق» علىٰ حضرة الحق باعتباره اسم، ليس جائزاً ولا صحيحاً

---

١. المثنوي ٢ /٢٣٨.

لأن أسماء الله توقيفيّة وما لم يصرّح به الشارع المقدّس فلا ينبغي اطلاق هذا الاصطلاح «المعشوق» على الخالق عزّوجلّ ولكن في اطلاقه كوصف فأغلب الظن انّه لا إشكال في ذلك»[١].

ان مسألة توقيفيّة أسماء الله وعدم جواز وضع اسم لله تعالى تنهض على منع الشارع المقدّس.

يقول الامام علي الرضا عليه السلام:

«فليس لك أن تسمّيه بما لم يسمّ به نفسه»[٢].

١ ـ وجاء في القرآن الكريم:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

انّ الله عزّوجلّ يأمرنا أن ندعوه بأسمائه التي جاء بها الوحي الإلهي والكتب السماويّة ويأمرنا القرآن الكريم صراحة بالابتعاد عن وضع الأسماء لله طبقاً للأهواء والمشارب الذاتيّة وتسميته باسم لم يسمّ به نفسه.

٢ ـ انّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هم حملة علوم القرآن وهم معلّمو البشريّة وقد صرّحوا بالنهي عن اطلاق الأسماء التي لم ينزل بها من سلطان وكذا اطلاق التوصيفات، لأن الاسم والصفة خاصيّتين مشتركتين في كونهما دالتين ومعرّفتين للمسمّىٰ والموصوف.

---

١. رسالة رفع الشبهات ٣١.

٢. بحار الأنوار ١٠/ ٣٣٦، توحيد الشيخ الصدوق ٤٥١؛ عيون أخبار الرضا ١/ ١٨٩.

٣. الأعراف: الآية ١٨.

وبسبب عدم قدرة المخلوق المحدود الذات على الاحاطة بـالذات المـطلقة اللانهائيّة، ولذا فان انتخاب اسم أو صفة تليق بالذات اللانهائيّة أمر خارج عـن استطاعة الانسان.

ولهذا نجد الآيات القرآنيّة تنزّه الخالق تبارك وتعالى عن التوصيفات البشريّة:

﴿ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(١).

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٢).

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٣).

وهذه الآيات تفنّد القول بعدم اشكاليّة اطلاق بعض التوصيفات عـلى الذات الالهيّة.

وقد جاء في الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ما يؤيّد ذلك وطالما سئلوا أو قيل لهم: صف لنا ربّك.

فيقولون في الجواب:

«ما أصف إلّا بما وصف به نفسه»(٤).

واستنكروا اطـلاق التـوصيفات البشـريّة عـلى الذات الالهـيّة يـقول مـولى الموحّدين أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«كيف يصف الهه من يعجز عنه صفة مخلوق مثله»(٥).

---

١. المؤمنون: الآية ٩١.

٢. الأنعام: الآية ١٠٠.

٣. الصافات: الآية ١٨٠.

٤. بحار الأنوار ٤/٣٠٣، التوحيد ٤٧.

٥. نهج البلاغة الخطبة ١١٢.

وقوله عليه السلام: **«لا يشغله شأن عن شأن ولا يغيّره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان»**[١].

وهكذا يعجز البشر وتعجز اللغات عن إطلاق أسماء أو صفات تليق بالذات الالهيّة.

اللغة الوحيدة المؤهلة لذلك هي لغة الوحي السماوي وبالتالي فان الله سبحانه وحده القادر على ذلك.

فالانسان ملزم بترديد الأسماء والصفات التي جاء بها الوحي.

يقول الامام موسى الكاظم عليه السلام:

«أَنَّ اللهَ أَعْلَى وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَكُفُّوا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ»[٢].

وجاء في الروايات عن أحد أصحابه عليه السلام قال:

سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من الصفة فقال: **«لا تجاوز ما في القرآن»**[٣].

قال الامام علي بن موسى الرضا:

«إِنَّ الْخَالِقَ لا يُوصَفُ إِلّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَأَنَّى يُوصَفُ الَّذِي تَعْجِزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ وَالْخَطَرَاتُ أَنْ تَحُدَّهُ وَالْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتُونَ»[٤].

ان عجز الانسان عن توصيف الباري تعالىٰ أمر بديهي، لأن توصيف شيء أو

---

١. المصدر السابق الخطبة ١٧٨.
٢. الكافي ١/١٠٢؛ بحار الأنوار ٣/٢٦٦.
٣. المصدر السابق ١/١٠٢.
٤. المصدر نفسه ١/١٠٢.

شخص ما والحديث حول صفاته وخصائصه يستلزم وقوع ذلك الشيء أو الشخص في دائرة الاحاطة العلميّة والعقليّة والخياليّة للواصف.

وبسبب المحدوديّة العقليّة والعلميّة والخياليّة للانسان فانّه يستحيل عليه أن يصف الذات المطلقة واللانهائيّة، لأنّه لا يمكن للمحدود أن يصف المطلق في خصائصه الذاتيّة وأفعاله.

اذن فكلّ التوصيفات التي اطلقها زعماء العرفان والصوفيّة ومقولاتهم عن ذات الباري جلّ وعلا واعتقادهم بأنّ العالم هو تجليّات وظهور الخالق.

وان وجود العالم والعالمين هو ظهور للذات الالهيّة المقدّسة وانّه سبحانه يظهر بصور المخلوقات من انسان وحيوان كالحمار وغيره[1] وهذا الكلام لا يعدو أن يكون أوهاماً نفسيّة كمقولات الفلاسفة القدامىٰ حول الطبيعيّات والهيئة والنفوس الفلكيّة بل وأسوأ منها.

وحكم هؤلاء تبيّنه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[2].

وعندما يكون الانسان عاجزاً عن تصوّر واضح للمجرّات كمجرّة درب التبانة التي هي من مخلوقات الله فانّه عن تصوّر ذات الخالق أعجز.

ولا يقاس الانسان بهذا الوجود الفسيح فهو بالنسبة له أدنى من الذرّة.

فهل يمكن لهذا المخلوق ان يصف ذات الخالق تبارك وتعالى؟!

إن زعم العارف والمتصوّف في معرفة الذات المقدّسة ناجم عن جهل العارف

---

١. فصوص الحكم ٢٥٢. ٢. الحج: الآية ٨.

بنفسه وضعفه وعجزه وفقره، فوقع في حبائل الشيطان الذي ما انفك يسعىٰ في اغوائه وتضليله.

قال تبارك وتعالى يحذّر عباده من محاولات الشيطان الذي يسعىٰ دائماً في اغواء البشر:

﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُواتِ ٱلشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَٱلْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ولا يوجد انسان بمأمن من اغواء الشيطان فالشيطان يحاول جاهداً تضليل بني آدم جاهلهم وعالمهم بل انه يركز على العلماء لأنّه إذا نجح في تضليل العالم أمكنه أن يضلّ الكثير من الناس من خلال ما يكتبه وينشره العالم من أفكار وتصوّرات باطلة بين الناس.

ولذلك يحذّر القرآن الكريم الانسان من حبائل الشيطان ووساوسه:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[2].

وعليه فان ما يقوم به الانسان من رياضات وعبادات من ابداعه البشري هو مجهود عبثي لا خير فيه؛ بالرغم ممّا يحقّقه من امتيازات ماديّة من قبيل تقوية الجسم وبعض الملكات واذن فان المعيار والميزان في قبول الأعمال هو طاعة الله وطاعة رسوله.

فاذا قام شخص من دون أن يتعلّم علوم القرآن من مفسريه الحقيقيّين وهم أهل البيت عليهم السلام بتفسير آيات القرآن بآرائه الخاصّة فانّه سيضلّ الطريق ويكون مصيره

---

١. البقرة: الآيتان ١٦٨ ـ ١٦٩. ٢. محمّد: الآية ٣٣.

الهلاك الأبدي، ذلك ان رسول الله ﷺ أوصىٰ أُمّة الاسلام بالتمسّك بالقرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام وهذا هو الضمان الوحيد في هدايتهم وحمايتهم من الضلال والتيه:

«ما إن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعدِي».

وهذا أمر واضح جدّاً انّه من يريد تعلّم علوم القرآن فلابدّ له من معلم محيط بعلومه.

ولذا جاء في الحديث القدسي:

«مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلامِي وَمَا عَرَفَنِي مَنْ شَبَّهَنِي بِخَلْقِي»[١].

ومن هنا بقي شيعة أهل البيت عليهم السلام في مأمن من القاءات الشياطين لأنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام من آل الرسول ﷺ حذّروا شيعتهم من قبول آراء وأفكار الآخرين.

قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«يَا كُمَيْلُ لا تَأْخُذْ إلّا عَنَّا تَكُنْ مِنَّا»[٢].

«يَا كُمَيْلُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِنَا فَمَنْ تَخَلَّفَ عَنَّا قَصَّرَ عَنَّا وَمَنْ قَصَّرَ عَنَّا لَمْ يَلْحَقْ بِنَا وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا فَفِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّار»[٣].

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«شِيعَتُنَا الْمُسَلِّمُونَ لِأَمْرِنَا الآخِذُونَ بِقَوْلِنَا الْمُخَالِفُونَ لِأَعْدَائِنَا فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَّا»[٤].

---

١. الاحتجاج للطبرسي ٢/١٩٢؛ بحار الأنوار ٢/٢٩٧.

٢. تحف العقول ١٧١؛ وسائل الشيعة ١٨/٧٣.

٣. بحار الأنوار ٧٤/٤١٤؛ تحف العقول ١٧٣.

٤. تحف العقول ١٧١؛ وسائل الشيعة ١٨/٧٣.

وقال عليه السلام:

وهذه الآيات والروايات غيض من فيض في مسألة عجز الانسان عن توصيف الذات المطلقة المقدّسة والتحذير من الخوض في هذه المتاهات التي لا تعود على الانسان إلّا بالضياع والضلال والهلاك الأبدي.

ومن هنا يظهر بطلان ما ذهب إليه مؤلّف رسالة رفع الشبهات في «عدم إشكاليّة إطلاق كلمة المعشوق كتوصيف لذات الخالق».

انّ موضوع «العشق» لدى العرفاء والمتصوّفة من أهمّ الأُصول العرفانيّة والصوفيّة في «مرام» و«مسلك» الصوفيّين واعتباره الحق الذي يسري ويجري في الخالق والمخلوق.

وعندما تنهض عقائد الصوفيّين على ظنون فكيف سيكون موقف الإسلام؟ وهذا كتاب الله يذمّ الذين يتّبعون الظنون في قوله تعالىٰ:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰ﴾[1].

وقوله عزّوجلّ:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[2].

وقوله تبارك وتعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ ٱللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ

١. النجم: الآية ٢٣.
٢. الأنعام: الآية ١١٦.

كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(١).

انّ التأمّل في الآيات الآنفة الذكر يقودنا إلىٰ نتيجة واضحة في انتقاد الانسان علىٰ اتباعه الظن الذي لا يغني عن الحقّ شيئاً؛ فالعقائد الحقّة يجب أن تنهض على صرح اليقين ومن هنا يجب علينا الاقتداء بالقرآن الكريم وأتباع مفسّريه الحقيقيّين الذين اصطفاهم الله وأورثهم كتابه وهل يخفىٰ علىٰ أحد شأن الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام عدوّاً كان أو محبّاً؟

أليس هو مولى الموحّدين؟

وهل يخفىٰ على أحد شأن أبنائه الأئمّة الهداة المعصومين؟ وهل بلغ أحد ما بلغه أهل بيت الوحي في مضمار معرفة الخالق وصفاته؟

وهل أمكن لأحد أن يصل إلى ما وصل إليه الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه ومناجاته لله بهذه اللغة الأخاذة؟!

ولقد بلغ في عبادته شأواً رفيعاً حتّى عرف بـ«زين العابدين» وعرفت صحيفة دعائه (الصحيفة السجّاديّة) بـ«زبور آل محمّد».

ولو تأمّلنا في أدعية أهل البيت عليهم السلام ومناجاتهم فانّنا لن نجدهم مجدّوا الله عزّوجلّ بكلمة «العشق» مع الإشارة إلى انّها من مفردات اللغة العربيّة.

فاذا كان المتصوّفة والعرفاء صادقين في زعمهم وفي استلهام واقتباس العرفان من الأئمّة المعصومين عليهم السلام لكانت مفردة العشق والمعشوق متداولة في أدعيتهم ومناجاتهم!

---

١. الأنعام: الآية ١٤٨.

انّنا لن نجد أثراً للعشق في أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الوقت الذي نـجدهم صلوات الله عليهم يعبّرون عن عجزهم وفقرهم المطلق في رحاب الخالق تبارك وتعالى ويعبّرون عن ذلك بأُسلوب رائع جميل.

وهذا تراث أهل بيت عليهم السلام في الدعاء والمناجاة يملأ كتب الحديث حيث تزخر أدعيتهم بالعلوم والمعارف الربّانيّة.

وعرفاء أهل السنّة ومتصوّفتهم وبسبب عدم رجوعهم إلى أهل البيت عليهم السلام قـد حرموا من هذه النعمة العظمىٰ وبدل التمسّك بهم تمسّكوا بثقافة العشق والعاشق والمعشوق وهي ثقافة غريبة على الاسلام!

وتقليداً لأولئك العرفاء والمتصوّفة انتهج متصوّفة الشيعة طريقهم وطريقتهم.

انّ العقل السليم يوجب الاحتياط والحذر ازاء كلّ حكم وموضوع في الأُصول العقديّة لا ينهض علىٰ أسس علميّة ولم يصدر عن الشرع حكم فيه.

الشيخ الحرّ العاملي وهو من كبار محدّثي الاماميّة ومؤلّف «وسائل الشيعة» الذي يشتمل على (٣٦٠٠٠) حديث ورواية والتي تستنبط منها الأحكام العمليّة في الفقه الجعفري، يقول عن «العشق» و«الكشف»: «انّها من مخترعات العرفاء والصوفيّة ولم يرد في الشريعة بشأنهم إلّا الذمّ»[1].

وإضافة إلىٰ ما ذكرناه في بطلان توصيف الله تعالى بـ «المـعشوق» وبـطلان علاقة «العشق» بين الخالق والمخلوق فانّ من الضروري الإشارة إلىٰ ما يلي:

ـ انّ «العشق» جنون عار عن العقل لا ينتج عنه سوىٰ دمـار الفـهم والفكـر والاضطراب النفسي.

---

١. الاثناعشريّة ٥٦.

ـ وإنّ «العقل» هبة الهيّة يمتاز بها الانسان عن غيره من الكائنات والحيوانات وانّ الانسان بفقدانه لا يعدو أن يكون حيواناً يمشي على قدمين.

في حين انّ «الحبّ» مهما بلغ من القوّة لا ينأىٰ عن العقل ولا يفقد الانسان بسببه عقله بل انّه يؤدّي إلى نموّ فكري ويشعر الانسان بلذّة الفهم والادراك.

ـ العشق ينتج أوهاماً وخيالات جميلة يتصوّر وجودها العاشق في المعشوق واذن فان جماليّات المعشوق ليست إلّا اُمور خيالية وأوهام.

ـ أمّا الحبّ ومهما بلغ من شدّته فانّه ينجم عنه اكتشاف مظاهر الكمال لدى المحبوب لأنّه ينظر إليه من خلال العقل، فالحبّ لا يفصل بين الانسان وعقله.

ـ العشق ليس سوىٰ خدعة كبرىٰ بينما الحب ليس إلّا عاطفة نقية.

ـ العشق وبسبب انفصاله عن العقل يلقي بضبابية شديدة على رؤية الانسان طريقه واضحاً فيسقط في الهاوية أو يغرق في البحر فيما يمنح الحب الانسان فرصة التأمّل في البحر والسباحة في شواطئه الهادئة.

ـ العشق عاطفة عنيفة مضطربة أمّا الحب فعاطفة صادقة نقيّة.

ـ العشق مشوب بالشكّ لأنّه يفتقد العقلانيّة، بينما الحب مفعم باليقين.

ولعلّ السبب في عدم استخدام هذه المفردة «العشق» في كتاب الله وأحاديث المعصومين يكمن في ما ذكر أعلاه بينما نرى استخداماً واسعاً لمفردة «الحب» ومشتقاتها من قبيل قوله تعالىٰ:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَن

يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

وقوله تعالى في بيان شدّة هذه العاطفة:

﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾[٢].

فهل خفيت مفردة «العشق» على الله عزّوجلّ والعياذ به؟!

وجاء عن أئمّة الهدى من آل محمّد ﷺ في بيان علاقتهم بالله سبحانه وتعالىٰ ومسؤوليّتهم أمام الله عزّوجلّ:

«السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ وَالأَدِلَّاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»[٣].

وتأمّل في عبارة «التامّين في محبّة الله» فهل غابت عن الامام علي الهادي عليه السلام مفردة «العشق» فيقول: «العاشقين» أو يقول: «في عشق الله»؟

حاشا لأهل البيت عليهم السلام أن يقولوا شيئاً ما أنزل الله به من سلطان ولا أن يغيّروا قولاً فيضعون مكانه قولاً آخر من أنفسهم، وهذا القرآن الكريم ينعىٰ على الذين يبدّلون القول الذي قيل لهم ويعدّه من مصاديق الظلم والفسق:

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[٤].

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ

---

١. المائدة: الآية ٥٤.
٢. البقرة: الآية ١٦٥.
٣. الزيارة الجامعة.
٤. البقرة: الآية ٥٩.

ٱلسَّماءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾[١].

حتّى شخص رسول الله ﷺ لا يحق له أن يفعل ذلك فما بالك بغيره؟!

﴿ قُلْ مَايَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

يقول مؤلّف «رسالة رفع الشبهات»:

«يذهب بعض الكتّاب إلى أن منشأه (التصوّف) يعود إلى الديانة البوذيّة والأديان الهنديّة الاخرى واستدلّوا على ذلك بوجود الكثير من العقائد الصوفيّة التي تنسجم مع عقائد البوذيّة... وقال آخرون انها (الصوفيّة) مستقاة من الديانة الزرادشتيّة، وذهب غيرهم إلى انّها نابعة من الفلسفة الاشراقيّة وعدّها بعضهم من تأثيرات فلسفة الأفلاطونيّين وتحديداً من فلسفة افلوطين.

والأسوأ من كلّ هذا ما صرّح به أخيراً بعض الفضلاء وقوله بأنّها مقتبسة من الديانة المانويّة فيما ذهب آخرون إلى أنّها مأخوذة من المسيحيّة وتعاليم السيّد المسيح...

بينما التصوّف في الحقيقة من تعاليم الأنبياء وأوصيائهم في كلّ عصر وزمان... والتصوّف الاسلامي نبع من سيرة النبي الأكرم ﷺ ومن آيات القرآن الكريم وأخبار المعصومين عليهم السلام ولم يزعم زعماء التصوّف أبداً انّه من ابداعاتهم فكلّ ما لديهم اقتباس من مصباح النبوّة ومشكاة الولاية ومن معادن العلم والحكمة ومنابع الوحي واستلهام من سيرة أئمّة أهل البيت الأطهار عليهم السلام»[٣].

---

١. الأعراف: الآية ١٦٢. ٢. يونس: الآية ١٥.

٣. رسالة رفع الشبهات ٣٤.

ان ما ذكره المؤلّف في منشأ التصوّف وقوله بأنّه مقتبس من الدين الاسلامي ومن سيرة النبي ﷺ وأخبار المعصومين مجرّد مزاعم لا أساس لها من الصحّة وهو لم يقدّم دليلاً واحداً يدعم ما يزعم!

ما يوجد هو العكس فهناك من أحاديث النبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام ما يدخض مزاعمه؛ وأنّ الحقيقة الساطعة هي انّ التصوّف ميراث وصل إلينا من الأُمم والأديان التي سبقت ظهور الاسلام ولقد جاء دين الاسلام رسالة الله الأخيرة لينسخ جميع ما سبقه من أديان ومذاهب قال تعالىٰ:

﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال عزّوجلّ:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2].

وعلىٰ هذا فانّ «العرفان» أو «التصوّف» وأي «مرام» و«مسلك» آخر مرفوض ما لم يتطابق وينسجم مع شريعة الدين الإسلامي المحمّدي أي الاسلام كما جاء به رسول الله ﷺ وبيّنه أهل البيت عليهم السلام ولذا فان زعم مؤلّف الرسالة في «انّ التصوّف مرام ومسلك مقتبس من مصباح النبوّة ومشكاة الولاية ومستلهم من أهل بيت العصمة» تفنّده الأحاديث والروايات الواردة عن النبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام.

وقبل أن نورد الأحاديث الشريفة في هذا المضمار من الضروري الإشارة إلى

---

١. التوبة: الآية ٣٣. ٢. آل عمران: الآية ٨٥.

تصريحات المتصوّفة؛ وسوف نكتشف ان هذه التوصيفات الباطلة في التصوّف لا تنحصر في متصوّفة الشيعة فقط.

بل انّ متصوّفة أهل السنّة كانوا يعادون أساساً أهل البيت عليهم السلام ومن الطبيعي أن يناصبوا شيعتهم العداء.

ولهذا شرعنوا تمرّد معاوية ومحاربته للإمام علي عليه السلام باعتباره مجتهداً، وأفتوا بحرمة وعدم جواز لعن يزيد ومرتكبي مجزرة كربلاء وجريمة قتل الامام الحسين وأهل بيته وأنصاره عليهم السلام.

بل وأجبوا لعن الشيعة كما ان بعض زعمائهم لا يذكر الشيعة إلّا قال: «خذلهم الله».

يقول أبو حامد الغزالي ما هذا نصّه:

«وانكشف لي في أثناء تلك الخلوات أُمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي ينبغي أن نذكره لينتفع به، أنّي علمت يقيناً أنّ الصوفيّة هم السالكون لطريق الله خاصّة، وان سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أذكىٰ الأخلاق...

فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوّة وليس وراء نور النبوّة نور يستضاء به».

ويبدو أن ما قاله مؤلّف رسالة رفع الشبهات إنّما هو اقتباس من النص أعلاه.

ولأنّ الغزالي من أهل السنّة فقد قال عن الصوفيّة: «اقتباس من مشكاة النبوّة» لأنّه يخاطب المجتمع السنّي!

لهذا فان مؤلف رسالة رفع الشبهات وهو من الشيعة يقول بأنّ التصوّف اقتباس من «مصباح النبوّة ومشكاة الولاية واستلهام من أهل بيت العصمة» لأنّه يخاطب المجتمع الشيعي فأضاف ما قاله الغزالي قولاً يناغم مشاعر الشيعة وهو «مشكاة الولاية».

بينما الحقيقة انّ التصوّف غير التسنّن وغير التشيّع وهو مذهب مستقل لا يشبه التسنّن ولا التشيّع ولا يمتّ لهما بصلة.

فالصوفيّة لا تعرف السني ولا تعرف الشيعي بل لا تعرف المسلم وغير المسلم؛ غير ان الصوفيّين يتحدّثون بلغة تنسجم مع الوسط الذي يعيشون فيه.

فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر نشير إلى «مولانا جلال الدين الرومي» وإلىٰ «شاه نعمة الله ولي» وكلاهما من الصوفيّة وينتميان إلى المذهب الأشعري أحد مذاهب أهل السنّة ولا يوجد أدنىٰ اختلاف بين عقائدهما وآرائهما.

عاش شاه نعمت الله ولي في «ماهان» من توابع «كرمان» خمساً وعشرين سنة من أواخر عمره في مجتمع شيعي ولكي يعرّف المجتمع الشيعي بتصوّف محيي الدين بن عربي الجديد فقد انبرى لنظم الاشعار في مدح الامام علي عليه‌السلام وآله وبيان فضائلهم ومناقبهم من دون أن يبدي عداءه للشيعة فلم تصدر عنه كلمة واحدة تسيء لهم بينما نجد مولانا جلال الدين الذي يعيش في مجتمع سنّي ويقوم بنفس نشاط شاه نعمت الله ولي في الترويج لتصوّف محيي الدين بن عربي يتحدّث بلغة مجتمعة السنّي ويبدي عداءه السافر للشيعة وينظم الاشعار في ذمّهم فيها من قلّة الأدب الكثير.

وعوداً علىٰ بدء نقول انّ مراجعة الكتب الحديثيّة والروائيّة تكشف لنا انّ

النبي ﷺ والأئمّة من آله الأطهار كانوا يحذّرون أُمّة الاسلام من فتنة الصوفيّة والتصوّف وكانوا يذمّونهم بشدّة بل ويلعنونهم علىٰ رؤوس الأشهاد.

يكفي ان تراجع المصادر الحديثيّة أدناه لتعرف موقف أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة من التصوّف والصوفيّة:

ـ كتاب سفينة البحار للمرحوم المحدّث القمّي قدس سره، ٢ /٥٧ و٥٨ و٦٣.

ـ كتاب بحار الأنوار للمرحوم محمّد باقر المجلسي قدس سره ٢٥ /٣٤٥.

ـ كتاب حديقة الشيعة للمرحوم المقدّس الأردبيلي قدس سره ٢٦٢ باب الأحاديث الواردة في ذمّ الصوفيّة.

ـ كتاب الاثنا عشريّة للمرحوم المحدّث الكبير الشيخ الحرّ العاملي قدس سره، صاحب كتاب «وسائل الشيعة» ٣٢ و٤٤.

وفيما يلي نموذج من هذه الأحاديث:

«قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: قَدْ ظَهَرَ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمْ: الصُّوفِيَّةُ فَمَا تَقُولُ فِيهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ أَعْدَاؤُنَا فَمَنْ مَالَ فِيهِمْ فَهُوَ مِنْهُمْ وَيُحْشَرُ مَعَهُمْ وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَدَّعُونَ حُبَّنَا وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ وَيُلَقِّبُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيُأَوِّلُونَ أَقْوَالَهُمْ أَلا فَمَنْ مَالَ إِلَيْهِمْ فَلَيْسَ مِنَّا وَإِنَّا مِنْهُمْ بِرَاءٌ وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ كَانَ كَمَنْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صلّى الله عليه وآله»[١].

وهذه الرواية تصرّح بظهور جماعة متصوّفة من بين الشيعة؛ ذلك انّهم يدّعون حبّ أهل البيت فانتهجوا التصوّف وزعموا ان طريقتهم وعقيدتهم مستلهمة من أهل البيت عليهم السلام!

---

١. سفينة البحار ٢ /٥٧؛ الاثنا عشريّة ٣٢؛ مستدرك الوسائل ٢ /٣٢٣.

بينما نجد الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول بوضوح تام:

«لا يقول بالتصوّف أحد إلّا لخدعة أو ضلالة أو حماقة»(١).

ولدينا حديث جامع عن الامام الهادي صلوات الله عليه وهو من الأحاديث المتواترة الواردة في كتب الحديث يكشف عن موقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام من التصوّف والصوفيّة:

«قال الراوي كنت مع الإمام الهادي علي بن محمّد عليه السلام في مسجد النبي صلّى الله عليه وآله فأتاه جماعة من الصوفيّة وجلسوا مستديراً وأخذوا بالتهليل، فقال صلوات الله عليه: لا تلتفتوا إلىٰ هؤلاء الخدّاعين فانّهم حلفاء الشيطان ومخرّبوا قواعد الدين يتزهّدون لراحة الأجسام ويتهجّدون لصيد الأنعام... وأذكارهم الترنّم والتغنية فلا يتبعهم إلّا السفهاء ولا يعتقد بهم إلّا الحمقاء فمن ذهب إلىٰ زيارة أحد منهم حيّاً أو ميّتا فكأنّما ذهب إلىٰ زيارة الشيطان وعبدة الأوثان ومن أعان أحداً منهم فكأنّما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان.

فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟!

قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري إنّهم أخسُّ طوائف الصوفيّة، والصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وإن هم إلّا نصارىٰ ومجوس هذه الأُمّة، اولئك الذين يجهدون في اطفاء نور الله والله يتمّ نوره ولو كره الكافرون»(٢).

ومن خلال هذه الرواية نكتشف ان جميع طوائف الصوفيّة تقف علىٰ النقيض

---

١. سفينة البحار ٢/ ٥٨؛ حديقة الشيعة ٦٠٥؛ الاثنا عشريّة ٣٠.

٢. سفينة البحار ٢/ ٥٨؛ الاثنا عشريّة ٢٨.

من مذهب أهل البيت عليهم السلام حتّى تلك الطائفة التي تدّعي الاعتراف بحقوق الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

ان بداية انطلاق الفلسفة الاسلاميّة وكذلك العرفان والتصوّف الاسلامي كانت من عمق المجتمع السنّي فأهل السنّة هم من أسّسوا لكلّ ذلك ويعود السبب في ظهور الفلاسفة والعرفاء والصوفيّين إلىٰ جهود الحكومات الأمويّة والعبّاسيّة من أجل مواجهة مسار أهل البيت عليهم السلام ودورهم في نشر المعارف الاسلاميّة الحقّة، فالأئمّة الأطهار عليهم السلام هم في الحقيقة خلفاء الله في أرضه وحججه علىٰ خلقه وولاة أمور المسلمين لأنّهم حملة علوم القرآن الكريم.

ولأن انتشار علوم القرآن عن طريق أهل البيت عليهم السلام يعني زوال الحكومات اللاشرعيّة؛ ولذلك نرى الحاكمين ما انفكوا يضطهدون أهل بيت رسول الله ويحاصرونهم من أجل الحؤول دون انتشار النور الإلهي ورسالة الاسلام المحمّدي الأصيل.

ومن هنا ندرك لماذا كانت الحكومات الجائرة ترعىٰ مشاريع ترجمة المدارس الفلسفيّة الأجنبيّة وبذل الجهود من أجل انتشارها بين المسلمين الأمر الذي مهّد لظهور مختلف التيارات الفلسفيّة والكلاميّة في صفوف الأُمّة الاسلاميّة.

ولدىٰ بحثنا في تاريخ التصوّف في الاسلام نجد ان ظهور مصطلح «الصوفي» يعود إلى القرن الثاني الهجري[١] حيث ظهر شخص يدعىٰ أبو هاشم الكوفي الذي يعد المؤسّس الحقيقي للمسلك العرفاني والصوفي في المجتمع الاسلامي.

---

١. نبذة عن علوم الاسلاميّة، قسم العرفان ٩٥؛ كتاب مصباح الهداية ٨٦؛ كتاب اللمع ٢٥؛ كتاب النفحات ٣١.

وفيما يلي بيان لموقف الامام الصادق من هذه الشخصيّة:

عن قرب الاسناد للشيخ الأقدم علي بن بابويه القمّي... سئل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن حال أبي هاشم الكوفي، فقال عليه السلام:

«انّه كان فاسد العقيدة جدّاً وهو الذي ابتدع مذهباً يقاله التصوّف وجعله مفرّاً لعقيدته الخبيثة»[١].

فمن كان يزعم حبّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وكان صادقاً في زعمه وحبّه فانّ النماذج التي ذكرناها وما صرّح به أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين كافية في ردعه عن الاقتراب إلىٰ فرق الصوفية والعرفان.

يقول مؤلّف رسالة رفع الشبهات:

«يعتقد العرفاء انّ التوحيد الحقيقي لا يحصل إلّا باعتقاد بـ «وحدة الوجود» وهناك آيات كثيرة في القرآن المجيد ما يدلّ علىٰ ذلك من قبيل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ والآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ﴾ وأمثالها واضافة إلى الأحاديث الكثيرة من قبيل: «داخل في الأشياء لا بممازجة وخارج عنها لا بمباينة»[٢].

نقول:

انّ التوحيد ومعرفة الله هو الأصل والأساس في الأديان الالهيّة وانّ الهدف من وراء إرسال الأنبياء وتعيين الأوصياء هو تعريف الناس عقيدة التوحيد لأنّه عند

---

١. سفينة البحار ٢/ ٥٧؛ حديقة الشيعة ٥٦٤.

٢. رسالة رفع الشبهات ٣٩.

ما ينحرف الانسان عن توحيد الله فانّه يسقط في هاوية الشرك الذي يعني الهلاك الأبدي ذلك انّ الله عزّوجلّ يغفر الذنوب جميعاً باستثناء الشرك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[١].

وعليه فانّه مادام التوحيد أهم أركان الدين وأساسه المحوري فانّ الشرك بالمقابل أكبر الذنوب والخطايا التي يمكن أن يرتكبها الانسان.

يقول مولى الموحّدين أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه»[٢].

وبسبب عجز الانسان عن ربّه وخالقه بعث الله لهداية عباده الأنبياء والرسل وأنزل كتباً سماويّة تضيء لهم طريق التوحيد الإلهي وقد استمرّ إرسال الأنبياء منذ فجر التاريخ البشري إلىٰ حين ارسال آخر الأنبياء في التاريخ سيّدنا محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله يحمل آخر الكتب السماويّة وهو القرآن الكريم الذي يشتمل علىٰ بيان بليغ واضح مبين في ابلاغ عقيدة التوحيد ورسالة الاسلام واصطفىٰ أهل بيت رسوله وأورثهم علم كتابه ليكونوا الأمناء علىٰ رسالته؛ فهم الأئمّة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وهم معلموا القرآن يحملون علوم الوحي؛ فهم قادة المسلمين وسادتهم والهداة لهم وهم حجج الله على الناس كافّة، فهل من المعقول أن يقصّر خاتم الأنبياء وسيّد الكائنات وقد جاء بكتاب الله العزيز في بيان أساس الدين وهو معرفة الله وتوحيده في بيان ما يدّعيه المتصوّفة في: «وحدة الوجود»

---

١. النساء: الآية ٤٨.

٢. نهج البلاغة الخطبة ١.

وانّ المخلوقات هي تجلّيات الخالق واشتراكهما (الخالق والمخلوق) في الوجود؟! فيما يشير القرآن الكريم صراحة إلىٰ مالكيّة الله للوجود في قوله تعالىٰ:

﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[١].

وقوله عزّوجلّ:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٢].

والآيات التي تشير إلىٰ هذه الحقيقة وهي انّ الله المالك المطلق لكلّ شيء وان كلّ المخلوقات ملك الله سبحانه وتعالى.

أقول ان مثل هذه الآيات كثيرة في القرآن الكريم ولم يرد أبداً: «أنّ الله هو عين السماوات والأرض وسائر الكائنات» لا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الشريفة علىٰ لسان الرسول ﷺ والأئمّة من آله الأطهار.

انّ الله عزّوجلّ عرّف نفسه لعباده من خلال القرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام.

قال تعالىٰ:

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٣].

وقال عزّوجلّ:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٤].

---

١. البقرة: الآية ٢٨٤.
٢. البقرة: الآية ١٠٧.
٣. الأنعام: الآية ٣٨.
٤. النحل: الآية ٨٩.

وقال سبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

وبسبب علميّة القرآن الكريم فقد حذّر أهل البيت عليهم السلام من الخوض في تفسيره وفق رؤية ذاتيّة ذلك ان مهمّة تعليم كتاب الله العزيز تقع على عاتق الأئمّة الأطهار الذين اصطفاهم الله من بين عباده وأورثهم علم الكتاب.

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢) وعليه فان أيّ فهم ذاتي للنصّ القرآني من دون هدي معلّمي القرآن سوف يقود الإنسان إلى الشرك والكفر وأي حكم صادر من أيّ شخص كان يخالف ما بيّنه معلّموا القرآن فهو كافر وأيّ فرقة تنتهج طريقاً أو ترفع شعاراً أو تنادي بما يخالف أحكام الله تبارك وتعالىٰ فهي كافرة وفق قوله تعالى:

﴿ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾(٣).

وعند ما لا يوجد نص قرآني ولا حديثي يعني لا في القرآن الكريم ولا من معلميه يؤيّد مقولات الصوفيّة بل انّ آيات القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت الكريم تتناقض مع مقولات العرفاء والمتصوّفة فانّه يتّضح ان التصوّف والعرفان يتناقض مع التشيّع يقول العرفاء والمتصوّفة:

«انّ جميع المخلوقات هي تجلّيات وظهور لذات الباري وانّ الخالق يظهر بالتعيّن بصور المخلوقات وانّ المخلوقات ليست إلّا درجات لوجود ذات الخالق وبالتالي فهي هو».

---

١. الأعراف: الآية ٥٢.
٢. النحل: الآية ٤٤.
٣. المائدة: الآية ٤٤.

يقول القيصري في شرح فصوص الحكم:

«إنّ الذات الإلهيّة هي التي تظهر بصور العالم؛ ان أصل تلك الحقائق وصورها تلك الذات وانّها هي التي ظهرت في الصورة الجوهريّة المطلقة التي قبلت هذه الصور»[١].

يقول محيي الدين بن عربي:

«فكلّ ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات»[٢].

ولهذا فانّهم يقولون:

«انّ الشيطان وحتّى الجحيم أيضاً درجة من درجات الوجود الإلهي».

الأشقياء والخبيثون بعد دخولهم في جهنّم ونظرً إلى انّ جهنّم أيضاً شأن من شؤون الباري وبالتالي هي هو فانّهم يسعدون ويجدون أنفسهم قد التحقوا بلقاء الله ويتبدّل عذابهم إلى العذب.

«فان دخلوا دار الشقاء فانّهم علىٰ لذّة فيها نعيم مباين.. ويصير العذاب سبباً لشهود الحقّ وهو أعلىٰ ما يمكن من النعيم في حقّة».

«فانقلبت جهنّم في حقّهم نعيماً... انّ جهنّم مظهر كلّي من المظاهر الإلهيّة يحتوي على مراتب جميع الأشقياء كما انّ الجنّة مظهر كلّي يحتوي علىٰ جميع مراتب السعداء، فأعيان الأشقياء إنّما يحصل كمالهم بالدخول فيها (جهنّم) كما ان أعيان السعداء يحصل كمالهم بدخول الجنّة... وذلك الكمال عين القرب من الرب»[٣].

---

١. فصوص الحكم ٧٠.   ٢. فصوص الحكم ٢٣٤.

٣. المصدر نفسه ٢٤٧.

وإذا كانت الحقيقة كما يقول هذا المتصوّف فانّ الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام لم يبلغ هذا المستوىٰ الذي بلغه محييالدين بن عربي وأتباعه!!

ذلك انّ الامام عليه السلام كان يناجي ربّ العالمين في جوف الليل وبين باسقات النخيل قائلاً:

ـ «**فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي صَبَرْتُ عَلَى عَذَابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ وَهَبْنِي صَبَرْتُ عَلَى حَرِّ نَارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى كَرَامَتِكَ**»[1].

فإلىٰ أيّ الآيات القرآنيّة يستند مؤلّف رسالة رفع الشبهات في قوله بـ «وحدة الوجود» و «ظهور الخالق بصور المخلوقات» هل يستند إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾؟!

ان كونه عزّوجلّ الأوّل أمر بديهي لأنّه عزّوجلّ أخرج الوجود من العدم وكلّ ما له بداية له نهاية فهذا الوجود سائر باتّجاه العدم ويبقىٰ وجه ربّك ذوالجلال والإكرام.

أجل كلّ شيء يتّجه إلىٰ نهايته إلّا الله عزّوجلّ فهو الباقي واذن فمن البديهي أن يكون الآخر أيضاً.

فكلّ من له عقل يفكّر في آيات الله عزّوجلّ لابدّ وأن يفكّر ان ما يتمتّع به من سمع وبصر ومخ وقلب وسائر أعضائه لم تكن من صنعه ولا من صنع انسان آخر كما انه لا يملك سلطة علىٰ أعضاء جسمه.

كما ان اتّصال الانسان يتم من خلال حواسه من سمع وبصر ولمس وشمّ حيث

---

١. دعاء كميل.

تتولّد لديه المعرفة بالحقائق الماديّة في العالم الخارجي.

ولو انّ الله سبحانه لم يمنح الانسان هذه الأدوات إلىٰ جانب العقل القوّة المفكّرة لديه فانّه لن تتولّد لديه أيّة معرفة عن الحياة الماديّة حتّى لو كان حيّاً يتنفّس.

ان الانسان عاجز تماماً عن ادراك تكوينه وكيفيّة عمل أعضائه وأجهزة جسمه ضمن منظومة محيّرة.

عندها إذا أمعن الانسان في وجوده وما ينطوي عليه من أسرار وآيات فانّه سوف يرى خالقه ببصيرته وانه هو الذي أوجده بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً.

كما ان الانسان يشاهد التغيرات التي تطرأ على وجوده وعلىٰ سائر المخلوقات فهي في حالة تغير مستمر فيدرك ان لها بداية وان لها نهاية، حينئذٍ يدرك معاني الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

أمعن النظر في بناء ما أو في لوحة فنيّة فانّك سترىٰ مهارة البنّاء والرسّام وذوقه الفنّي ظاهراً فيهما.

وهذا هو معنى الظهور الإلهي.

ومن خلال التأمّل في خلق السماوات والمجرّات وما تشتمل عليه من مليارات النجوم والكواكب والشموس وحيث المسافات بين كلّ نجم وآخر وبين

---

١. النحل: الآية ٧٨.

كلّ مجرّة وأُخرىٰ تقاس بملايين بالسنين الضوئيّة هذا العالم الواسع الذي يستحيل على الانسان تصوّره يعكس عظمة الخالق الذي لا يمكن أبداً تصوّرها.

ان هذا الوجود يهتف بالحقيقة الكبرىٰ وهي ان له خالق عظيم مطلق العظمة وقادر مطلق القدرة.

ومن هنا ندرك عظمته من خلال التأمّل في أنفسنا وفي ما حولنا ويحيط بنا من آثاره التي لا يمكن توصيفها ولا عدّها.

وإذا كان الانسان عاجز عن وصف المخلوقات فهو أعجز عن وصف الخالق.

وهذه الحقيقة تتجلّىٰ في عبارة «الله أكبر» فهو تبارك وتعالى أكبر وأجل من أن يوصف.

وهذا هو معنىٰ الظهور الإلهي وليس كما يقول المتصوّفة انّ الله يظهر بصور مخلوقاته فهي هو وهو هي!!

وإلى هذا المعنى يشير الامام أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام بقوله:

«**فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِه**»[١]. و«**خَلَقَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِه**».

ان هذا الوجود بسماواته وأرضينه والذي لا يمكن للعقل البشري ولا لخياله الوثاب أن يدركه يحكي القدرة اللامتناهية للخالق تبارك وتعالىٰ وعظمته عزّوجلّ.

ولو صحّت مقولة العرفاء والمتصوّفة في ان المخلوقات هي عين الله ودرجة من درجات وجوده اذن لقال أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام: خلق الخلائق من قدرته؛

---

١. نهج البلاغة الخطبة ١ و١٨٣.

لأنّ القدرة فيه هي عين ذاته وذات الخالق كما يقول الصوفيّة ظهرت بصورة العالم والمخلوقات.

وأمّا ظاهريّة وباطنيّة الخالق عزّوجلّ كما جاء في نصّ الآية الكريمة: «هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن» والتي استند إليها مؤلّف «رسالة رفع الشبهات» فان باطنيّة الخالق عزّوجلّ تعني خفاؤه عن الحواس فهو سبحانه غير قابل للادراك واستحالة معرفته للجميع.

يقول الامام الحسين عليه السلام: «**احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ**».

وهذا معنى الأوّل والآخر والظاهر والباطن بايجاز شديد.

والآن فأيّ المعنيّين للظهور هو الصواب؟ ما أشرنا إليه آنفاً أو ما يذهب إليه المتصوّفة؟

ان معنى الظهور لدىٰ الصوفيّة ان كلّ ما نراه من ذباب وصراصير وغيرها من الحشرات فانّنا نرى الله لأنّه ظهر بصورها وصور جميع الكائنات!

«فكلّ من أدرك شيئاً من الأشياء بأيّ إدراك كان قد أدرك الباري»[1].

ويقولون: «الظهور هو رؤية الشيء بالعين» واذن فانّ الله وصف نفسه بالظهور في الآية الشريفة: «هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن» التي تؤيّد هذا المعنى!

وفيما يلي نورد بعض الآيات والأحاديث التي تدلّ علىٰ بطلان ما يذهب إليه مؤلّف الرسالة (رفع الشبهات).

قوله تعالى:

---

١. الأسفار الأربعة ١ / ١١٧.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١].

والبديع يعني المبدع وخالق الوجود من العدم.

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**وَكُلُّ صَانِعِ شَيْءٍ فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ وَاللهُ لا مِنْ شَيْءٍ صَنَعَ مَا خَلَق**»[٢].

ويقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«**الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ لا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلَ الاخْتِرَاعُ وَلا لِعِلَّةٍ فَلا يَصِحَّ الابْتِدَاع**»[٣].

وهذه الأحاديث الشريفة تفند ما يذهب إيه المتصوّفة في اعتقادهم بـ «وحدة الوجود» وقولهم بأنّ الكائنات والمخلوقات هي ذات الخالق وانّه تجلّىٰ بصور المخلوقات.

والآية الكريمة صريحة في الدلالة علىٰ بطلان عقيدة الصوفيّة: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار».

يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**... والظاهر لا برؤية**».

---

١. الأنعام: الآيات ١٠١ ـ ١٠٣.

٢. بحار الأنوار ٤/٢٦٩؛ توحيد الصدوق ٤١؛ الكافي ١/١٣٤.

٣. الكافي ١/١٠٥.

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة تصب في هذا المعنى واذن فان استناد مؤلّف الرسالة إلى الآية الكريمة: «هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن» في إثبات وحدة الوجود هو استدلال باطل».

وأمّا استناد مؤلّف الرسالة إلى قوله تعالى:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[1] وقوله ان معنى الآية الكريمة هي أينما يولّي الانسان فانّه يرى مخلوقاً من مخلوقاته ومخلوقات الله هي «وجه الله» واذن فانّ المخلوقات هي صورة الله وانّ الله ظهر بصورة مخلوقاته!

أمّا العلوم الوحيانيّة فانّها تصف الله بالمطلق اللامتناهي وفوق اللامتناهي!

ـ قال رسول الله ﷺ:

«ظَاهِرُهُ مَوْصُوفٌ لا يُرَى وَبَاطِنُهُ مَوْجُودٌ لا يَخْفَى يُطْلَبُ بِكُلِّ مَكَانٍ وَلَمْ يَخْلُ عَنْهُ مَكَانٌ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَاضِرٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَغَائِبٌ غَيْرُ مَفْقُودٍ»[2].

ـ وقال الامام علي عليه السلام:

«وَلا يَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلالِ عِزَّتِهِ لِبُعْدِهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي قُوَى الْمَحْدُودِينَ لأَنَّهُ خِلافُ خَلْقِهِ فَلا شِبْهَ لَهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَإِنَّمَا يُشَبَّهُ الشَّيْءُ بِعَدِيلِهِ فَأَمَّا مَا لا عَدِيلَ لَهُ فَكَيْفَ يُشَبَّهُ بِغَيْرِ مِثَالِه»[3].

ـ وقوله عليه السلام: **«فَمَعَانِي الْخَلْقِ عَنْهُ مَنْفِيَّةٌ وَسَرَائِرُهُمْ عَلَيْهِ غَيْرُ خَفِيَّةٍ الْمَعْرُوفُ بِغَيْرِ كَيْفِيَّةٍ لا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلا يُقَاسُ بِالنَّاسِ وَلا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَلا تُحِيطُهُ الأَفْكَارُ وَلا**

---

١. البقرة: الآية ١١٥.
٢. بحار الأنوار ٤/ ٢٦٤؛ معاني الأخبار ٦٠.
٣. بحار الأنوار ٤/ ٢٧٤؛ التوحيد ٥٢.

تُقَدِّرُهُ الْعُقُولُ وَلا تَقَعُ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ فَكُلُّ مَا قَدَّرَهُ عَقْلٌ أَوْ عُرِفَ لَهُ مِثْلٌ فَهُوَ مَحْدُود»[١]

وهذه الروايات أعلاه غيض من فيض كثير ممّا صدر عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار وكلّها تفيد بأنّ الله عزّوجلّ مطلق لا نهائي وخصائص اللانهائي حضوره في كلّ مكان في السماوات والأرض وفي جميع الأحوال فلا يخلو منه مكان، فأينما يولّي المرء يجد الله أمامه وحاضراً وناظراً وهذا ما أشار إليه سيّد الكائنات وخاتم المرسلين في قوله صلى الله عليه وآله:

«**لَمْ يَخْلُ عَنْهُ مَكَانٌ طَرْفَةَ عَيْن**».

ومثالاً علىٰ ذلك السمكة في البحر أينما تذهب تجد الماء أمامها حاضراً وهكذا الانسان أينما يذهب وفي أيّ اتّجاه يجد الغلاف الجوي للأرض من دون أن يكون بين السمكة والبحر اتّحاد أو وحدة وجود ولا الانسان مع الأجواء وإذن فان قوله تعالىٰ:

﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ** ﴾ تعبّر عن هذه الحقيقة وهي الحضور الإلهي في كلّ مكان وفي جميع الأحوال وذلك لمطلقيّة الوجود الإلهي وليس كون المخلوقات هو أو هو هي؛ كما يذهب إلىٰ ذلك مؤلّف رسالة رفع الشبهات وهي يستند إلىٰ قول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام.

«داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمباينة» حيث يزعم بأنّ النص أعلاه يعبّر عن وحدة الوجود؟ ان معنى النص كالتالي:

انّ الله عزّوجلّ داخل في الأشياء إلّا انّه ليس ممتزجاً بها وخارج عنها ولكن

---

١. المصدر السابق ٤/٢٩٣.

ليس منفصلاً.

وهذا من لوازم المطلقيّة واللانهائيّة إذ لا يمكن أن نتصوّر مكاناً يخلو منه ولا زماناً.

لاحظوا هذا المثال:

لنتصوّر أنفسنا داخل مكان مغلق تحيطنا جدران وسقف وقد أغلقت الأبواب والنوافذ وطريق الاتّصال بالخارج ينحصر بالمذياع والتلفاز واللاسلكي انّنا نشاهد صور التلفاز ونسمع صوت المذياع لأن الأمواج الرادويّة تملأ فضاء المكان بالرغم من الجدران لأنّها لا تحول دون نفوذ الأمواج الراديويّة إلى المكان المغلّق.

ومع انّنا نتحرّك داخل المكان إلّا ان أدوات الاستقبال في المذياع تستلم تلك الأمواج في كلّ الاتّجاهات وهذه الأمواج يمكنها النفوذ داخل الجدران وداخل الأجسام لا يحول دونها لحم ولا عظام.

اذن فان وجود الانسان داخل ذلك المكان المغلق لم يؤثّر على حجم الأمواج الراديويّة الموجودة فيه فحتىٰ جسم الانسان أصبح مجالاً لها فهي نافذة داخلة.

ومن هنا ندرك ان هكذا أمواج داخلة في الأشياء ومنها جسم الانسان من دون أن تمتزج بها أو تشكل وحدة وجود معها؛ فالأمواج الراديويّة بقيت كما هي والأشياء كذلك إذ لم يحدث بينها وبين الأشياء والأجسام امتزاج كما انها منفصلة عنها من دون أن يكون هذا الانفصال على شكل تباين بينها وافتراق؛ وإلى هذا المعنى يشير الامام الصادق عليه السلام بقوله:

«وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة».

فماذا تعني بينونة الصفة؟

انّها تعني عدم امكانيّة توصيف شيئين أو أكثر بصفة واحدة؛ ان وجود الأشعّة الكونيّة ووجود الانسان وسائر المخلوقات علىٰ نحو مستقل مع نفوذ هذه الأشعّة داخل الأجسام، لكن هذا النفوذ لا يعني توحدها في الصفات فالانسان انسان والأشعّة الكونيّة أشعّة كونيّة.

فبالرغم من نفوذها داخل جسم الانسان الّا انّها تختلف في الصفات عن الانسان.

وهذا معنى «داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمباينة، لأن «حكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة»».

ولهذا نجد الامام الصادق عليه السلام عند ما يصف الباريُ تعالىٰ ذكره يقول:

«هو شيء بخلاف الأشياء»[١].

واذن فان الخالق عزّوجل من حيث الذات يختلف عن مخلوقاته ولا سنخيّة أبداً بين الخالق والمخلوق يقول الامام الصادق عليه السلام أيضاً:

«مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يُشْبِهُ شَيْئاً وَلا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَ كُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلافِه»[٢].

هذه الأمواج الراديويّة والأشعّة الكونيّة مع نفوذها داخل الأجسام والأشياء واختراقها للجدران تحافظ على صفتها بالرغم من ماديّتها وماديّة الأجسام التي

---

١. الاحتجاج للطبرسي ٢/٣٣١؛ بحار الأنوار ٣/٩؛ التوحيد ١٠٤؛ الكافي ١/٨٣.

٢. بحار الأنوار ٣/٢٩٠؛ حديقة الشيعة ٦١.

تنفذ داخلها ولا يحدث أي امتزاج بينها وبين الأجسام فكيف بالله عزّوجلّ وهو:

ـ الذات المطلقة اللامتناهيّة.

ـ انعدام وجود الصفات المشتركة بينه وبين مخلوقاته للاختلاف من حيث الذات بين الخالق والمخلوقات.

وإذن لا مناص من هذه الحقيقة وهي وجود الله في كلّ مكان وفي كلّ حال وفي جميع الأشياء من دون أن يكون لهذا الحضور تأثير في كيفيّة وثبوته.

انّ الأشعّة الكونيّة والأمواج الراديويّة في حالة حركة دائمة مستمرّة ونفوذها وحضورها آني والخالق تعالىٰ ولمطلقيّته داخل في جميع الأشياء ولكن علىٰ نحو ثابت دائم ساكن من دون حركة.

من دون أن يحدث جرّاء الدخول امتزاج مع الأشياء وتوحّد في الوجود لأن ذات الخالق ليست ذات المخلوقات وخلافها وبالتالي عدم وجود السنخيّة بين الباري ومخلوقاته من حيث الذات.

ولهذا السبب لا يحدث الامتزاج بين الأشعّة الكونيّة والأمواج الراديويّة وبين الأشياء التي تنفذ داخلها لانعدام السنخيّة بين الأمواج والأشياء.

«سُئِلَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقَالَ: بِمَا عَرَّفَنِي نَفْسَهُ.

قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَّفَكَ نَفْسَهُ فَقَالَ لا تُشْبِهُهُ صُورَةٌ وَلا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ وَلا يُقَاسُ بِالنَّاسِ قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلا يُقَالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ وَلا يُقَالُ لَهُ أَمَامٌ دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لا كَشَيْءٍ فِي شَيْءٍ دَاخِلٍ وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لا كَشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ

خَارِجٍ سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلا هَكَذَا غَيْرُهُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَبْدَأٌ»[١].

ويقول صلوات الله عليه:

«لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَلا عَنْهَا بِخَارِجٍ»[٢].

وإلىٰ هذا السرّ تشير الآية الكريمة:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٣].

والآية الكريمة:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[٤].

والآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٥].

وإذن يتّضح من خلال العلوم الوحيانيّة في القرآن الكريم ومعارف أهل البيت الكرام عليهم السلام والتي أوردنا أمثلة منها ان المخلوقات لا تشترك مع الخالق في أيّ شيء حتّى في الوجود وافتراض أيّ وجه مشترك بين الخالق ومخلوقاته باطل وفق معطيات الشريعة الاسلاميّة ذلك ان افتراض وجه مشترك بين الخالق ومخلوقاته هو الشرك بالله وهذا هو معنىٰ الشرك في أن نفترض وجود اشتراك بين الخالق والمخلوقات يقول الراغب الاصفهاني:

---

١. بحار الأنوار ٤/٢٧؛ التوحيد ٢٨٥؛ الكافي ١/٨٦.

٢. نهج البلاغة الخطبة ١٨٦. ٣. الحديد: الآية ٤.

٤. المجادلة: الآية ٧. ٥. ق: الآية ١٦.

«الشرك هو أن يوجد شيء بين اثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء أو معنىً كمشاركة الانسان والفرس في الحيوانيّة... قال:

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[١].

وقد دعا النبي موسى بن عمران ربّه أن يشرك أخاه هارون في أداء رسالة الله.

من أجل هذا يردّد الانسان المسلم هذه العبارة يوميّاً مرّات ومرّات في أدائه الصلوات:

«أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكه له».

وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾[٢].

عليه انّنا عند ما نصف الخالق والمخلوق بصفة الوجود فلتشابه اللفظ فقط وبسبب محدوديّة الألفاظ في اللغة البشريّة.

لأنّ الوجود في ذات الله شيء مختلف وفي غيره شيء آخر.

ولدى مراجعتنا الكتاب الجليل «كتاب الكافي» في مجلّده الأوّل الباب ٤٠ فانّنا سنجد روايات عديدة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

ومفادها انّ الأسماء التي نستخدمها في ما يخصّ الذات الالهيّة هي من حيث المعنى تختلف عن الأسماء التي نستخدمها ونطلقها على المخلوقات.

فمثلاً عند ما نقول انّ الله تعالى «عليم» فان علمه غير قابل للقياس وهو غير العلم الذي يوجد لدى الانسان وهكذا بالنسبة لسائر الأسماء والصفات.

---

١. مفردات الراغب، الشرك.
٢. الكهف: الآية ٢٢٦.

وإذن لا يوجد أدنىٰ اشتراك أبداً حتّى في الوجود بين الخالق والمخلوق بل انّ الله عزّوجلّ هو خالق الوجود.

ولهذا السبب لا تجد في القرآن الكريم ولا في أحاديث أهل البيت الكريم عبارة «واجب الوجود» والتي توهم باشتراك الواجب والممكن في الوجود.

وانطلاقاً من المثال المذكور في الأشعّة الكونيّة والأمواج الراديويّة فاذا انطبقت العبارة: «داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عن الأشياء لا بالمباينة في مسألة المادّة والطاقة للذين كلاهما من المادّة ولكن في صورتين مختلفتين ودون أن يستلزم هذا الدخول والخروج امتزاجهما واتّحادهما من حيث المادّيّة في الحالة والنوعيّة فكيف بالله عزّوجلّ الذي تختلف ذاته عن ذات الأشياء وفقاً للمعطيّات القرآنيّة وبالتالي فهو سبحانه خلاف كلّ اشكال وأنواع المادّة من حيث الجوهر والعرض، فكيف أمكن للمتصوّفة أن يستندوا إلى العبارة أعلاه في إثبات «وحدة الوجود»؟! وهكذا في استدلال بعض المتصوّفة بقوله تعالىٰ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّماءِ إِلٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلٰهٌ﴾[1].

في إثبات مقولتهم في وحدة الوجود وقولهم انّ المراد من ذلك ان ذات الخالق هي عين السماء والأرض وانّه سبحانه ظهر بصور جميع المخلوقات.

مع ان الآية الكريمة لا تشتمل علىٰ هذه الدلالة لأنّه من لوازم الذات الالهيّة المطلقة اللانهائيّة بل فوق اللانهائيّة عدم خلو أيّ مكان منه تبارك وتعالى.

ولهذا يقول القرآن الكريم:

---

١. الزخرف: الآية ٨٤.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[١].

انّ هذه «المعيّة» والمرافقة دليل على التمايز بين الخالق والمخلوق لأنّ المعيّة لا تتحقّق إلّا بوجود شيئين مختلفين فاذا كان الانسان وسائر الكائنات هي ذات الخالق فلا معنى اذن لوجود الخالق مع نفسه أي مع مخلوقاته التي هي ذات الخالق كما يقول المتصوّفة.

ان هكذا شواهد لاثبات ظهور الخالق بصور المخلوقات وان المخلوقات ليست إلّا ذات الخالق كثيرة نجدها مبثوثة في كتب المتصوّفة السنّة والشيعة.

بل انّ جميع مقولاتهم تتمحور حول هذا الموضوع سعياً منهم لنشر هذه العقيدة الموروثة من قدماء الفرس المشركين بعد الباسها حلّة «العرفان الاسلامي» بالرغم من تناقضها مع شريعة الاسلام ووضوح بطلانها عند كلّ من لديه عقل سليم.

وانّه لموضوع بديهي فطري وهو موضوع مغايرة واختلاف الذات المقدّسة مع ذات الانسان.

ترىٰ ما هي العلاقة بيني أنا الانسان المخلوق من ذرّة مهينة وبين الذات المقدّسة؟! أنا الانسان العاجز عن تصوّر وادراك ذات المخلوقات فكيف بذات الخالق؟!

اذن كيف يجرؤ المتصوّف على الحديث عن الحقيقة التي تستحيل عليه أن يتصوّرها أبداً؟! لكنّه يتحدّث عنها كما لو كانت بين يديه كما تكون الكرة الملوّنة

١. الحديد: الآية ٤.

بين يدي طفل يلعب بها ويقول ان طرفها هذا اللون الفلاني وطرفها الثاني اللون الفلاني!

هكذا يتحدّث المتصوّف فيقول:

أنّ الخالق هكذا كان وهكذا أصبح وهكذا يكون.. أجل بهذه الطريقة يتحدّث المتصوّف عن ذات الخالق تبارك وتعالى.

انّ الله تعالى ليس كما يتحدّث عنه الصوفيّون ويطلقون عليه توصيفاتهم على الرغم من التحذير القرآني والنهي عن الخوض في هذا المضمار!

«سبحان الله عمّا يصفون».

وتحذير الأئمّة الكرام من آل رسول الله ﷺ وأقوالهم الشريفة:

«ما وحّده من كيّفه»[١].

و**«ومن قال كيف فقد استوصفه»**[٢].

وعليه فانّ الذين يعرفون الله تعالىٰ على انّه الوجود الذي هو قوام ووجود جميع الكائنات به ومنه وهم الفلاسفة والمتصوّفة الاسلاميّون هم في ضوء العقيدة الاسلاميّة قد جهلوا الله ولم يعرفوه.

يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«مَنْ وَصَفَ الله بِوَجْهٍ كَالْوُجُوه فَقَدْ كَفَرْ»[٣].

واذن فانّ الشخص المتصوّف الذي يدّعي الاسلام والولاء لأهل البيت عليهم السلام

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩. ٢. المصدر السابق، الخطبة ١٥٢.

٣. الاحتجاج ٢/٣٩٨؛ التوحيد للصدوق ص ٣٤؛ عيون أخبار الرضا ١/١٤٩.

(متصوّفة المجتمع الشيعي) إلى أيّ أساس يستند ويصدر هكذا أحكام قطعيّة وتوصيفات في الذات الالهيّة ليس لها أثر لا في كتاب الله ولا أحاديث رسول الله وآله الأطهار من هنا ندرك أن منهج المتصوّفة والعرفاء في معرفة الخالق مستقىٰ من فلاسفة اليونان وديانات الفرس القديمة وهو منهج يتقاطع مع ما وصلنا عن طريق الوحي الالهي وأحاديث أهل بيت الوحي.

وإذا كانت معرفة الله تعالى وكيفيّة نظام الخليقة وعلاقة الوجود بخالق الوجود ممكنة للانسان كما هو الحال في سائر الحقول المعرفيّة من قبيل علوم الطبيعة والقوانين السائدة فيها وأمثال ذلك! فانّه لا ضرورة في إرسال الأنبياء والرسل الالهيّين من أجل هداية البشريّة؛ لأن هذا العمل بعد عملاً عبثياً فالانسان غني عن هؤلاء الهداة!

وفي معرض الاجابة عن السؤال التالي وهو لماذا لا يتحدّث الفلاسفة والعرفاء والمتصوّفة بلغة الأنبياء الالهيّين والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم؟!

يقولون: لأنّ الأنبياء لم يُأمروا بافشاء السرّ!

يعني انّ الأشخاص الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده لهدايتهم وتعليمهم معرفة الله وحقائق التوحيد وأسراره لم يأمروا بكشف الأسرار!

أمّا الأشخاص الذين امضوا فترة في رياضة النفس والعزلة في صوامعهم وانتهجوا مذهب العرفان الذي ورثوه عن أجدادهم الوثنيين هؤلاء يبلغون مقام المرشد والقطبيّة ولديهم اجازة في افشاء الأسرار والكشف عن الخفايا؟!

ومن المفارقات أن يكون الذين يكشفون الأسرار أشخاصاً لعنهم إمام العصر والزمان صلوات الله عليه من قبيل الحلّاج وأحمد بن هلال الصوفي وانّك لتجد

النصوص في هذا الموضوع موجودة في كتاب «الدرّ المنثور»[١] لسبط الشهيد الثاني وكتاب «الاحتجاج»[٢] للطبرسي وموسوعة «بحار الأنوار»[٣] للمجلسي وكتب أُخرىٰ من قبيل «قرب الاسناد» لابن بابويه القمّي وكتاب «الغيبة» للشيخ الطوسي رضوان الله عليهما واذن فان عرفاء ومتصوّفة الشيعة يعتقدون بأنّهم وجدوا الحقيقة التي لم يُأمر أنبياء الله ورسله بافشائها وأوكلت هذه المهمّة إلى العرفاء والصوفيّة وكانوا أكثر شجاعة.

يقول حافظ الشيرازي:

قال ان ذلك الحبيب صلب مرفوع الرأس

وكانت جريرته افشاؤه الأسرار

والحبيب الذي صلب مرفوع الرأس هو الحسين منصور الحلّاج أمّا السرّ الذي أفشاه فهو مقولته الشهيرة «أنا الحق» وهذه المقولة يتبناها جميع العرفاء والمتصوّفة لكنّهم لا يجهرون بها خوفاً من الناس، ولو لا هذا الخوف لكان أوّل شيء ينطقون به هو:

ـ أنا الحق!!

يقول القيصري متحدّثاً عن ابن عربي في فتوحاته:

«قال في فتوحاته: انّ الله تجلّىٰ لي مراراً وقال: انصح عبادي! فهو مأمور بإظهار هذه الأسرار»[٤].

---

١. الدرّ المنثور ٢٨.
٢. الاحتجاج ٢ / ٢٩٠.
٣. بحار الأنوار ٥٠ / ٣١٨.
٤. فصول الحكم ٢٤٤.

ان عدم اطّلاع عرفاء ومتصوّفة أهل السنّة على تعاليم أهل البيت عليهم السلام أمر طبيعي فنحن لا نتوقّع من الغزالي وابن عربي ومولانا جلال الدين الرومي وشاه نعمت الله ولي[1] أن يتحدّثوا عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام.

ولكن العرفاء المنسوبين إلى الشيعة ويدّعون حبّ أهل البيت عليهم السلام ويعتبرون الأئمّة الأطهار أئمّتهم لماذا يتحدّثون بنفس الطريقة ونفس اللغة التي يتحدّث بها عرفاء المدارس الأخرىٰ؟!

قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[2].

وإذن فانّ الحديث في الخالق بغير علم أمر محظور وكلّ طالب علم يحتاج إلى معلّم ولذا أرسل الله الأنبياء والرسل معلّمين يعلّمون عباده معرفة الله.

ومن هنا فان معرفة الله لا تتيسّر إلّا من خلال الأنبياء والأوصياء الذين اصطفاهم الله ليكونوا أدلّاء للبشر ومعلّمين وهداة؛ ولذا فان من طلب معرفة الله من غيرهم وعن طريق غير طريقهم تاهت به السبل وكان مصيره الهلاك الأبدي.

من هنا فانّه كلّما سئل المعصوم عن توصيف الله وقيل له: صف لنا ربّك! أجاب: لا أصف إلّا بما وصف به نفسه.

بهذه الدقّة والحذر يتحدّث أهل البيت عليهم السلام في هذا الموضوع الخطير وهو الذات الإلهيّة والصفات الربّانيّة فلا يقولون شيئاً خارج نطاق القرآن الكريم وسنّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

---

١. سيأتي الحديث حول السبب في نظمه الأشعار في مدح أصحاب الكساء.

٢. الحجّ: الآية ٣.

ومن هنا يتعيّن على شيعتهم أن ينتهجوا نهجهم فلا يحقّ لنا أن نبدي رأياً ذاتيّاً من عندياتنا في موضوع عقائدي محوري أساسي خطير!

غير انّنا نشاهد العرفاء والمتصوّفة يصرّحون بأنّ الله يظهر ويتجلّى بصور مخلوقاته وينزلون مقام الرب من عليائه ليكون درجة من درجات الوجود فيظهر بصورة أشرف المخلوقات إلى أدناها درجة ويزعمون انّهم بلغوا مرحلة الكشف والشهود!

ترىٰ ماذا يعني الكشف والشهود؟!

في ضوء العلوم الوحيانيّة القرآنيّة فانّ العقل والعلم والخيال لا يوجد طريق لمعرفة كنه الذات المقدّسة إطلاقاً فهو سبحانه محجوب عن أبصارنا وكلّ قوىٰ الادراك لا يمكن لها أن تدرك ذاته.

من هنا نعرف بطلان مزاعم أهل العرفان والتصوّف في تمكّنهم من الاحاطة التامّة بالذات المطلقة اللانهائيّة للخالق تبارك وتعالى وكذا بطلان مزاعمهم في مرافقتهم له عزّوجلّ في جميع الحالات فيعرفون كيف هو والوقت الذي تجلّىٰ فيه بصور مخلوقاته ومعرفتهم كذلك الوقت الذي يتجلّىٰ بالتعينات التالية لمخلوقات من قبيل الملائكة والإنسان والحيوان والنبات والبحار!!

ان استحالة احاطة شيء محدود وضعيف جدّاً وهو عقل وعلم وخيال الانسان بالذات المطلقة اللانهائيّة من البديهيّات والمسلّمات العقليّة.

انّ القرآن الكريم ينفي ويستنكر مثل هذه المزاعم في وجود كائن يرافق الخالق ويشهد أفعاله وظهوره بصورة مخلوقاته ومشاهدته لكيفية خلق السماوات والأرض:

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[١].

وعليه فلا أساس ولا حقيقة لما يقوله العرفاء والمتصوّفة في ما يعرف بالكشف والشهود وباطل ماكانوا يزعمون.

وإذا كان للأنبياء والأولياء حديث في هذا المضمار فليس من علمهم الذاتي وإنّما من الله عزّوجلّ:

﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾.

انّ التعاليم الدينيّة مصدرها الوحي الإلهي فقط وليس الكشف والشهود. وإلّا فهل بمقدور كائن ضعيف محدود القوىٰ قد منح الحياة لفترة وجيزة أن يحيط بذات خالقه اللانهائيّة المطلقة حتّى يمكنه أن يصدر أحكاماً في قضايا الوجود والخليقة هي في واقع الأمر أوهام وخيالات.

ونظراً لأهميّة هذا الموضوع وخطورته ومنع الانسان من عبادة الأهواء قال تعالىٰ:

﴿ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[٢].

ولأن تربية الأُمّة وتعليمها وتزكيتها هي من مسؤوليّات أهل البيت عليهم السلام فانّهم كانوا يحذّرون باستمرار من الخوض في قضايا العقيدة وابداء الآراء الذاتيّة من عندياتهم وعدم الرجوع في هذه القضايا إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام أو تبني عقائد الأجداد التي يسعىٰ الأعداء في نشرها لذلك يقول الامام المعصوم عليه السلام:

«كُلُّ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بِغَيْرِ قَوْلِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ طَاغُوت»[٣].

---

١. الكهف: الآية ٥١. ٢. البقرة: الآية ٣٢.

٣. دعائم الاسلام ٢ / ٥٣٠؛ عوالي اللآلي ٢ / ١٦١؛ مستدرك الوسائل ٣ / ١٧٣.

بالرغم من صراحة هذه الأحاديث في النهي عن اصدار الأحكام في قضايا العقيدة إلّا بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام إلّا انّ العرفاء والمتصوّفة اقتبسوا تعاليم الفلاسفة والعرفاء من اليونانيّين وقدماء الفرس قبل ظهور الاسلام وتهافتوا عليها بـ«عشق» واعجاب ودهشة ثمّ راحوا يحاولون تبريرها من خلال بعض الآيات المتشابهات أي الآيات التي لا يمكن فهم مدلولها بسهولة!

وهكذا راح الفلاسفة الايرانيّون والعرب المسلمون يستلهمون التراث اليوناني القديم ويفخرون بنفخ الروح في تلك العقائد القديمة والتي مضىٰ عليها آلاف السنين.

فما الذي أخذوه من الإسلام؟!

أخذوا منه ما يبرّر ويؤيّد مقولات الافلاطونيّين والارسطيّين ان أحد المجدّدين لنظريّة «وحدة الوجود» هو «افلوطين» الذي توفي في سنة ٢٧٠م وما ظهور العرفان والتصوّف في البيئة الإسلاميّة إلّا احياء لتلك النظريّات والأفكار والعقائد القديمة لأشخاص ماتوا قبل ظهور الاسلام بعدّة قرون وقد اعترفوا أنفسهم بذلك.

فعلىٰ سبيل المثال «الشيخ شهاب الدين السهروردي»[١] المعروف بـ«شيخ الاشراق» والشافعي المذهب ويعدّ المؤسّس للفلسفة الاشراقيّة في إيران.

ووفقاً لما صرّح به صدر المتألّهين المعروف بـ«ملّا صدرا» وهو من كبار الفلاسفة والعرفاء صاحب كتاب الحكمة المتعالية الذي جمع فيه كلّ العقائد

---

١. الأعلام ٣٦٩.

الفلسفيّة بشأن السهروردي في قوله:

«ومن القادحين في هذا المذهب أشدّ قدح «شيخ أتباع المشرقيّين المحيي رسوم الفرس في قواعد النور والظلمة»[١].

وعليه فانّ الفلسفة والفلاسفة لا شأن لها مع الدين والشريعة كما ان تعريف الفلسفة يصب في هذا المعنى وللعرفاء من فلسفة الاشراق النصيب الأوفر.

انّ القرآن الكريم هو آخر الكتب السماويّة ويشتمل علىٰ كلّ قضايا العقيدة الحقّة والاسلام دين كامل فيه بيان كلّ شيء:

«فيه تبيان كلّ شيء».

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.

وقد نسخت شريعة الإسلام جميع الشرائع وعقيدته جميع العقائد.

فمن الظلم الرجوع إلى العقائد القديمة التي ظهرت قبل الاسلام في مجالات الفلك والطبيعة التي ثبت انّها مجرّد خرافات، نعم هو ظلم كبير لكتاب الله العزيز وتمرّد على ارادة الله عزّوجلّ الذي يأمرنا بقوله عزّ من قائل:

﴿ٱتَّبِعُوا مَاأُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾[٣].

---

١. الأسفار الأربعة ٣/١٦٢.

٢. الأعراف: الآية ٣.

٣. آل عمران: الآية ١٤٤.

ومن أجل حماية أُمّة الإسلام من وساوس الشيطان فقد نهىٰ رسـول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المسلمين عن الرجوع إلى العقائد والمـدارس التـي لا تـمت إلى الإسلام والقرآن بصلة، فالقرآن وأهل البيت وهم حملة القرآن ومفسّروه المرجعيّة الوحيدة للمسلمين كافة:

«**مَنِ الْتَمَسَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيم**»[1].

وقوله عليه السلام:

«**مَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله**»[2].

وقوله عليه السلام:

«**مَنْ طَلَبَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ (القرآن) أَضَلَّهُ الله**»[3].

أمّا زعماء العرفان والصوفيّة من قبيل محيي‌الدين بـن عـربي وصـدرالديـن القونوي فيقولون:

«نحن إذا قابلنا وطبقنا عقائدنا علىٰ ميزان القرآن والحديث وجدناها منطبقة علىٰ ظواهر مدلولاتها من غير تأويل، فعلمنا أنّها الحق بلا شبهة ولا ريب، ولما كانت تأويلات المتكلّمين والظاهريّين من العلماء في القرآن والحديث مـخالفة لمكاشفاتنا المتكرّرة طرحناها»[4].

من خلال النص أعلاه يصرّح هذا العارف الأندلسي وامثاله ويعلنون صراحة

---

١. بحار الأنوار ٩٢/٣٥؛ تفسير العياشي ١/٣.

٢. بحار الأنوار ٩٢/٢٧؛ تفسير العياشي ١/٦.

٣. بحار الأنوار ٨٩/٣٦.

٤. الأسفار الأربعة ٢/٣٤٢.

بأنّهم أخذوا علومهم من غير القرآن الكريم فعقائدهم مقتبسة من تراث قديم مندثر فجاءوا ونفخوا فيه الروح وراحوا يسعون في نشر تلك العقائد، كما أشار صراحة إلىٰ ذلك «ملّا صدرا» لدى حديثه عن السهروردي شيخ الاشراق.

ووفقاً للروايات وهي كثيرة جدّاً ذكرنا طائفة منها فان أخذ العقائد والتعاليم من غير القرآن الكريم لا يؤدّي إلّا إلى الضلال والتيه فمن ابتغىٰ الهداية والعلم من غير القرآن أضلّه الله.

ان اقتباس عقائد الآخرين وممارسة أنواع الرياضات النفسيّة سوف يؤدّي إلى رسوخها في أعماق الفرد المرتاض فتصبح معتقداته الحتميّة بحيث يعتبرها عقيدة مطابقة للحق والحقيقة؛ لا يساوره فيها أدنىٰ شكّ وحينئذٍ يصمّ سمعه عن سماع كلّ ما لا ينسجم مع عقيدته وينبذ كلّ ما يخالفها بعيداً لأنّه يتصوّر نفسه سائراً في طريق الحق ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

بينما المطلوب من الانسان المسلم أن يطابق عقائده مع القرآن الكريم وفي ضوء تعاليم معلمي القرآن وأهل الذكر وحملة علم الكتاب وهم الأئمّة المعصومين عليهم السلام فهم وحدهم بمأمن من وساوس الشيطان قد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

أمّا نحن فلسنا بمأمن من وساوس الشيطان الذي ما انفك يحاول اغواء الناس والايحاء إليهم بمختلف الأفكار الهدّامة.

﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُواتِ ٱلشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ

---

١. الأنعام: الآية ٤٣.

وَٱلْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[١].

انّ الشيطان يحاول اغواء الناس ويدفعهم إلىٰ ارتكاب المعاصي ولا يوجد انسان في مأمن من كيد الشيطان إلّا انه يركّز علىٰ الأشخاص النابهين من الذين يحترمهم عوام الناس والبسطاء ويصغون إلىٰ آرائهم؛ لأنّه في حالة نجاحه في اغواء مفكر وعالم وأوحىٰ إليه ببعض الأفكار المضلّلة فانّه يكون قد أضلّ العشرات بل المئات والألوف من الذين يتّبعون ذلك العالم.

لذلك يسعىٰ الشيطان إلى تضليل الفلاسفة والعرفاء بالقاء مختلف الأفكار والعقائد التي تناقض الحقيقة وخاصّة في مسألة الذات الالهيّة وعند ما يتصوّر العارف والمتصوّف انّه قد أدرك حقيقة وكنه الذات الالهيّة وسرعان ما يتصوّر انه هو الاله «أنا الحق» ان المصدر الشرعي الوحيد لمعرفة الخالق هو القرآن الكريم ومن يحمل علوم القرآن وهم أهل بيت الوحي الذين اصطفاهم الله عزّوجلّ وأورثهم الكتاب.

انّ سورة الاخلاص هي أفضل وأيسر تعريف لذات الخالق عزّوجلّ ومن أجل ذلك كانت هذه السورة وقرائتها في الصلوات الخمس التي يؤدّيها الانسان المسلم يوميّاً: ﴿ بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ ۞ ٱللهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾.

وهذه السورة تفند ما يذهب إليه العرفاء والمتصوّفة في «وحدة الوجود» وتثبت بطلان هذه العقيدة التي تقول بظهور وتجلّىٰ ذات الخالق بصور المخلوقات.

---

١. البقرة: الآيتان ١٦٨ ـ ١٦٩.

فهم يقولون: «إنّ الفرق بين الخالق والمخلوق يكمن فقط من حيث الاطلاق والتقييد واللامحدود والمحدود ان الخالق المتعال وجود مطلق ولا محدود والمخلوقات هي أيضاً وجود ولكنه وجود محدود ومقيّد!!

ولكي يوضحون هذه الفكرة فانّهم يضربون مثلاً في ماء البحر الموجود في أوان متعدّدة فالماء الموجود فيها هو ماء البحر ولكن بحسب سعة كلّ اناء فماء البحر موجود فيها ولكن بصورة محدودة ومقيّدة بينما ماء البحر مطلق ولا محدود وعليه فانه من حيث الوجود يشترك الماء الموجود في الأواني والماء الموجود في البحر بوجود الماء فالجميع من جنس واحد ومن سنخ واحد!!

وأيضاً يقولون:

«انّ أقرب مثال لبيان وتعريف العلاقة بين ذات الخالق ومخلوقاته هو مياه وأمواج البحر فكما أنّ الأمواج حالة عارضة للبحر ولا يوجد إلّا البحر فان حكم المخلوقات والممكنات بالنسبة لذات الخالق هي كذلك عين هذه العلاقة فالمخلوقات ليست إلّا حالة عارضة على ذات البارئ وأن حقيقة جميع المخلوقات من أدناها إلى أعلاها عدم إلّا ذات البارئ».

غير انّنا نرى ان سورة التوحيد أو الاخلاص وأحاديث أهل البيت عليهم السلام في تبيين هذه السورة تثبت بوضوح بطلان ما يقوله المتصوّفة والعرفاء من أفكار وآراء ورثوها من أسلافهم قبل الاسلام.

انّ أمواج البحر الهادئة والمتلاطمة تحدث بفعل الرياح والرياح العاتية فالرياح هي تولّد الأمواج، فالعلاقة بين الخالق والمخلوق إذا تضمّنت حالة التوليد فان بطلانها يتّضح لتناقضها مع سورة التوحيد التي تنصّ على توصيف

الخالق بأنّه «لم يلد».

يقول الأئمّة من أهل بيت الوحي:

«لم يلد فيورث».

والحال ان أمواج البحر أخذت خاصية وجودها من البحر والمخلوقات والممكنات في ضوء تعريف الصوفيّين تأخذ وجودها وترثه من الخالق:

«الباري يبدع الأشياء من نفسه».

ولهذا جاء النهي القرآني الشديد عن ضرب الأمثال.

﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وبالرغم من وجود هذا النهي الصريح الذي يعني عدم الالتزام به من كبائر الذنوب وبالرغم من تحذير الامام أميرالمؤمنين عليه السلام للمسلمين عن الخوض في هذا المضمار:

«مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ»[2].

إلّا إنّنا نلاحظ هؤلاء المتصوّفين يضربون لنا الأمثال في معرفة ذات الخالق!!

يعتقد الماديّون بوجود «المادّة» وهؤلاء ملحدون لا يؤمنون بوجود الله وهذه «المادّة» لدى الفلاسفة والصوفيّين تأخذ اسماً آخر هو «الوجود» فالمادّة والوجود هي مصدر العالم والكائنات فمن المادّة ومن الوجود انبثق العالم بما يشتمل عليه من كائنات وهذه العلاقة علاقة توليد فالعالم وليد المادّة أو الوجود وهذه العلاقة يستنكرها القرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام ولذا فان الفرق بين

١. النحل: الآية ٧٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

المادّي الملحد والصوفي العارف هو في التسمية فقط؛ المادّي يقول انّ المادّة هي أصل العالم والعارف يقول ان الوجود هو أصل العالم؛ المادّي لا يعتقد بحياة المادّة وشعورها بينما الفلاسفة والعرفاء والصوفيّين بأن «الوجود» يتّصف بالحياة والشعور.

قال الله عزّوجلّ:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

ترىٰ ما هي الأسماء الحسنىٰ؟

وهل أن هذه الأسماء من كشوفات الانسان أم ان الله عزّوجلّ عرّفنا لندعوه بها؟!

ومن البديهي انّنا إذا وضعنا اسماً لله لم يسمّه هو فانّنا نتّجه نحو الالحاد والكفر به حتّى لو كنّا نؤدّي النوافل هذا هو القرآن الكريم كتاب الله فهل تجد فيه اشارة إلى «الوجود» أو «واجب الوجود» هل هناك تعريف لله عزّوجلّ بهذه الاصطلاحات؟[٢]

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾[٣].

أليس هذا الذي يعبد «الوجود» أو الذي يعبد «المادّة» هو من تقصده الآية

---

١. الأعراف: الآية ١٨.

٢. سيأتي الحديث في بطلان هذه الأفكار في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

٣. الأعرافل: الآية ٧١.

الكريمة أعلاه وتستنكر مجادلته في أسماء ما أنزل الله بها من سلطان؟!

ان القول بالتشكيك لدى الفلاسفة يعني اشتراك الخالق والخلق في الوجود وهو اشتراك يتمركز بشدّة في الخالق ويضعف في المخلوق أو انّه متقدّم في الخالق متأخّر في المخلوق.

والقول بالتطوّر والتشأن لدى العرفاء والصوفيّة يعني ظهور وتجلّي الخالق بصور المخلوقات من أدناها إلىٰ أرقاها من قبيل المكروبات في النفايات والبعوض والذباب إلى أعلاها من الكائنات واشتراك الخالق والمخلوق السنخيّة وتوحدهما وشعار: «ليس في الدار غير ديّار» هو شعار أهل العرفان يعني «وحدة الوجود» معبّر عن عقيدتهم.

يقول أبو حامد الغزالي:

«... ولم يكن علمه بالعالم إلّا علمه بنفسه إذ لم يكن في الوجود إلّا هو... وان كلّ ما يتصوّر المتصوّر فهو عينه لا غيره»[١].

أو يقول صدر المتألّهين (ملا صدرا» مصرّاً علىٰ هذه الفكرة:

«الفصل في ان واجب الوجود تمام الأشياء وكلّ الموجودات»[٢].

ما ذكرناه نماذج وأمثلة ممّا يقول به زعماء العرفان والصوفيّة وكتبهم مليئة بأمثال ذلك.

وهكذا نلاحظ انّه على صعيد المعتقد لا يوجد فرق بين أعداء أهل البيت عليهم السلام والعرفاء ممّن يتظاهرون بحبّ أهل البيت عليهم السلام.

---

١. الأسفار الأربعة ٧/ ١٨١.

٢. المصدر السابق ٦/ ١١٠.

فعلىٰ سبيل المثال لاحظنا المثل الذي ساقه العارف (الشيعي) في ذكره البحر وأمواج البحر لبيان العلاقة بين ذات الخالق والمخلوقات، انّه نفس المثل الذي ذكره العارف (السني) الأشعري المذهب لبيان طبيعة هذه العلاقة بين الخالق والمخلوق!

ان هذه الشهادة وهي قولنا: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له» والتي نكرّرها يوميّاً في صلوتنا لهي أفضل دليل علىٰ بطلان عقائد العرفاء والصوفيّين.

لأن عبارة «لا شريك له» تنفي كلّ أنواع الشراكة والاشتراك مع الخالق من الذرّة إلى أكبر مجرّة لأن نفي الشريك هو نفي على نحو الاطلاق.

لهذا لا مناص من نفي الاشتراك بين الخالق والمخلوق في جميع الصفات حتّى في مسألة «الوجود» يقول الامام:

«**انّه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين**»[١].

وهذا النص يدلّ على المباينة والافتراق والاختلاف والمغايرة بين صفات الله والصفات الموجودة لدى الخلق.

واذن فان صفة «الوجود» و«العلم» و«القدرة» و... في الله تعالى تختلف عمّا هي عليه من وجود وعلم وقدرة لدى المخلوق وان هو إلّا تشابه في الألفاظ وإلّا فإنّه من حيث الواقع لا يوجد وجه مشترك بين الخالق والخلق اطلاقاً.

واذن فان وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته و... هي غيرها الموجود لدى المخلوق أو لدى الانسان.

---

١. بحار الأنوار ٤ / ٣٠١؛ تحف العقول ٢٤٤.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«وَ تَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحُكْمُ التَّمْيِيزِ بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لا بَيْنُونَةُ عُزْلَةٍ إِنَّـهُ رَبٌّ خَالِقٌ غَيْرُ مَرْبُوبٍ مَخْلُوقٍ مَا تُصُوِّرَ فَهُوَ بِخِلافِهِ»[١].

وهنا نلاحظ التناقض الصارخ بين ما يقوله مولى الموحّدين عليه السلام:

ـ «كلّ ما تصوِّر فهو بخلافه».

وبين ما يقوله ابن عربي:

ـ «كلّ ما يتصوّر المتصوّر فهو عينه لا غيره»[٢].

وهذا هو التناقض بين العلوم الوحيانيّة وبين العرفان والتصوّف؛ انّنا عندما نراجع قواميس جميع اللغات نجد أن مفهوم «المباينة» و «البينونة» بين شيئين يعني المغايرة التامّة والانفصال التام بينهما علىٰ نحو ينفي وجود كلّ اشكال الاشتراك بينهما.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«وَ لَمْ يُولَدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكا»[٣].

وعليه فانّه عندما نقول توجد صفات في الانسان وكمال تلك الصفات موجودة في الذات الالهيّة فهذا ليس مباينة وإنّما تفاوت؛ فالآنية التي تختلف في السعة التي ملئت بسائل ليست متباينة من حيث نوع المادّة، وإنّما اختلاف وتفاوت في السعة فهذا الاناء فيه مادّة سائلة أكثر وذاك فيه مادّة سائلة أقل.

---

١. بحار الأنوار ٤/٢٥٣. ٢. الأسفار الأربعة ٧/١٨١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

واذن عند توصيف الخالق تبارك و تعالى بلفظ «البينونة» والمباينة مع الخلق كما ورد في الأحاديث الشريفة فهذا دليل علىٰ عدم وجود أيّ إشتراك له مع الخلق على الاطلاق؛ فلا يوجد إشتراك بين الخالق والمخلوق لا في الوجود ولا في الصفات، فليست هناك صفة مشتركة بين الخالق ومخلوقاته فنقول انها موجودة لدى الذات المقدّسة علىٰ نحو الكمال وهي موجودة لدى الانسان على نحو ناقص.

هذه هي لغة الشارع المقدّس صريحة وواضحة في انه لا يوجد أبداً أيّ شيء مشترك بين الخالق والخليقة.

أمّا العارف والصوفي فانّه يقول: «تمام الأشياء هو، ولا شيء إلّا هو وجميع المخلوقات هي ذاته المتعيّنة، وفي النتيجة ان المخلوق شريك مع الخالق في جميع الصفات مع فرق في ذلك، فهي في ذات الخالق تامة الكمال ولكنها في ذات المخلوق بصورة ناقصة».

وخلاصة ما يقوله العرفاء والصوفية هو قولهم بالسنخيّة بين الخالق والمخلوق وهما من حيث المادّة الأصليّة مشتركان.

ومن هنا ندرك مدىٰ التناقض الحادّ بين مقولات العرفاء والصوفيّين وبين الشريعة الاسلاميّة.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته»[1].

---

١. دعاء الصباح؛ بحار الأنوار ٨٤/ ٣٣٩.

هكذا يعبّر أهل البيت عليهم السلام عن الذات الالهيّة:

«وَ كُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِه»[١].

«فقد جهل الله من استوصفه»[٢].

بينما يطلق العرفاء والصوفيّة التوصيفات جزافاً كما لو انّ طفلاً في يده كرة ملوّنة فيقول هذا الجزء من الكرة باللون الفلاني وهذا الجزء باللون الفلاني.

من أجل ذلك شدّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم عن الذات المقدّسة على مسألة المباينة والانعدام المطلق لأيّ وجه من وجوه الاشتراك بين الخالق والمخلوق في الصفات.

يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«فَلَيْسَ اللهُ مَنْ عَرَفَ بِالتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ وَلا إِيَّاهُ وَحَّدَ مَنِ اكْتَنَهَهُ وَلا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَه... وَكُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَغُيُورُهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ فَقَدْ جَهِلَ اللهَ مَنِ اسْتَوْصَفَه... وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ شَبَّهَه... فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِه»[٣].

فهل هناك ما هو أوضح من هذا البيان الساطع في ابطال «وحدة الوجود»؟ وفي ابطال الاشتراك بين الخالق والخلق في الوجود والصفات أو ظهور الخالق بصور المخلوقات؟!

«فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه».

---

١. الاحتجاج ٢/٣٩٨؛ بحار الأنوار ٤/٢٢٧؛ توحيد الشيخ الصدوق ٣٤؛ عيون أخبار الرضا ١/١٤٩.

٢. المصادر السابقة.

٣. بحار الأنوار ٤/٢٢٧؛ تحف العقول ٦١؛ التوحيد ٣٤؛ عيون أخبار الرضا ١/١٤٩.

«وكلّ ما يمكن فيه يمتنع في صانعه».

بينما العرفاء الصوفيّة يقولون: «كلّ ما يتصوّر المتصوّر فهو عينه لا غيره».

ليس من حقّنا التقليد في العقائد ويجب علينا أن نتعلّم علوم القرآن ومعارفه من معلّميه الحقيقيّين وهم أهل بيت الوحي والرسالة فهم وحدهم المنزّهون عن الخطيئة المطهّرون من الرجس تطهيراً والقرآن الكريم لا يمسّه إلّا المطهّرون يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ**»[1].

ولكن إذا كانت المخلوقات صادرة من ذات الخالق كما يزعم العرفاء والصوفيّون، بل وانّها تعيّنات الذات المقدّسة وهي هو وهو هي، ظهر بصور مخلوقاته من ذباب وبعوض وسائر المخلوقات الاخرىٰ واذن ما هي المادّة والأصل أقدم وما قبل الأزل من ذات الخالق؟!

وعليه نكتشف مدى البون الشاسع بين أحاديث معلمي القرآن الكريم وأهل بيت الوحي وبين مقولات العرفاء والصوفيّة!

وحتّى عند ما يقوم الفلاسفة والعرفاء بالاستناد إلى آية ما ورواية ما فانّهم يقومون بلوي النص وتفسيره بما يطابق وينسجم مع نظريّاتهم وآرائهم ولنتأمّل الآن في هذا النص الروائي، يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**وَلا يَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلالِ عِزَّتِهِ لِبُعْدِهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي**

---

١. نهج البلاغة الخطبة ١٦٣.

قُوَى الْمَحْدُودِينَ لأَنَّهُ خِلافُ خَلْقِه»[١].

ويقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«سُبْحَانَكَ مَا عَرَفُوكَ وَلا وَحَّدُوكَ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَصَفُوكَ سُبْحَانَكَ لَوْ عَرَفُوكَ لَوَصَفُوكَ بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ سُبْحَانَكَ كَيْفَ طَاوَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يُشَبِّهُوكَ بِغَيْرِكَ اللَّهُمَّ لا أَصِفُكَ إلّا بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَلا أُشَبِّهُكَ بِخَلْقِكَ»[٢].

«مَا تَوَهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَوَهَّمُوا اللهَ غَيْرَه»[٣].

ويقول الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلافُهُ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ خِلافُ مَا يُعْقَلُ وَخِلافُ مَا يُتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ إِنَّمَا يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلا مَحْدُودٍ»[٤].

ان العلوم الوحيانيّة تقول بمغايرة الخالق مع الخلق وتنفي عنه كلّ اشكال الاشتراك مع الخلق.

وعليه فان «الوجود» لا يمكنه أن يكون الخالق أبداً بل انه هو الآخر مخلوق كسائر المخلوقات، ناهيك عن كون المخلوقات التي قوامها بـ «الوجود» من حيث الذات هي الخالق!

والآن لنتحدّث عن «وحدة الوجود» التي طالما يردّدها أهل العرفان

---

١. بحار الأنوار ٤/٢٧٤؛ التوحيد ٥٢.

٢. بحار الأنوار ٤/٣٩؛ التوحيد ١١٣؛ الكافي ١/١٠١.

٣. بحار الأنوار ٤/٣٩؛ التوحيد ١١٣؛ الكافي ١/١٠١.

٤. بحار الأنوار ٣/٢٦٦؛ الكافي ١/٨٢.

والتصوّف فما هي «وحدة الوجود» هذه؟!

وما مدىٰ تطابقها مع الشريعة الإسلاميّة؟! وفيما يلي أمثلة ممّا يقوله زعماء العرفان والتصوّف في هذا المضمار:

يقول محي الدين بن عربي:

«سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها»[١].

ويقول أيضاً: «فانّ الوجود منه أزلي ومنه غير أزلي وهو الحادث فالأزلي وجود الحق لنفسه وغير الأزلي وجود الحق بصور العالم الثابت فيسمّىٰ حدوثاً لأنه يظهر بعضه لبعضه وظهر لنفسه بصور العالم فكمل الوجود وكانت حركة العالم حبة للكمال»[٢].

ويقول القيصري في توضيح ذلك:

«هو المسمّىٰ بالمحدثات، بحسب تنزلاته في منازل الأكوان»[٣].

ويستدلّ محي الدين بن عربي في اثباته نظريته في وحدة الوجود واتّحاد الخالق والمخلوق أو تجلّي وظهور الخالق بصور المخلوقات بالحديث القدسي التالي:

«مَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ»[٤].

---

١. الفتوحات المكيّة ٢/٤٥٩.
٢. فصوص الحكم ٤٥٧.
٣. المصدر السابق ١٥٩.
٤. الوسائل ٣/٥٣.

يقول ابن عربي بشأن الحديث القدسي أعلاه:

«وقد قال تعالىٰ عن نفسه انه عين قوىٰ عبده في قوله: كنت سمعه وهو قوّة من قوىٰ العبد وبصره وهو قوّة من قوى العبد ولسانه وهو عضو من أعضاء العبد ورجله ويده ما اقتصر في التعريف على القوى فحسب حتّى ذكر الأعضاء وليس العبد بغير هذه الأعضاء والقوى فعين مسمّىٰ العبد هو الحق لا عين العبد هو السيد»[١].

اذن فانّ الصوفيّين والعرفاء يقولون بـ «وحدة الوجود» ويستندون في تبرير هذه النظريّة إلى الحديث القدسي بزعمهم انّ الانسان ليس سوىٰ الأعضاء والجوارح من قبيل الاذن والعين واليد والرجل وسائر الأعضاء الأخرىٰ.

بينما نرى القرآن الكريم يفند هذه المقولة «ان الانسان ليس سوىٰ الأعضاء».

يقول تبارك وتعالىٰ:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

انّ هذه الآيات الشريفة تتحدّث عن شهادة الأعضاء والجوارح يوم القيامة ضدّ الانسان، والانسان يحتج عليها وينتقدها على شهادتها ضدّه؛ واذن فانّ الانسان ليس الجوارح والأعضاء كما يذهب إلىٰ ذلك بن عربي، بل ان الانسان في ذاته

١. فصوص الحكم ٤٣٣.

٢. فصّلت: الآيات ١٩ ـ ٢١.

شيء آخر غير الأعضاء وقد جهّزه الله بهذه الأدوات.

وهذه حقيقة يدركها الانسان بالفطرة لأنّه مع بتر بعض أعضائه من قبيل اليد والرجل تبقىٰ شخصيّته الآدمية كما هي واذن يتبين بطلان القول بأن الانسان ليس سوىٰ الأعضاء.

وإذا افترضنا انّ الله عزّوجلّ وبعد أن يتقرّب إليه عبده يظهر بصورة أعضائه ان هذه المعنى لا يتضمّن سوى الاهانة للذات الربوبيّة فمع ذلك فهو لم يظهر بصورة عبده كما هو ولو افترضنا صحّة ذلك فلماذا لم يقل سبحانه وتعالى: «أنا ذاته»؟

إنّما قال: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به».

جاء في الحديث الشريف:

«المُؤْمِنُ يَنظر بِنُورِ الله»[١].

ما ورد في الحديث القدسي ليس بمعنىٰ ان الذات المقدّسة تصبح حاسة البصر لدى الانسان وانّما تحصل زيادة في إيمانه زيادة في هداه:

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدىً﴾[٢].

إنّ الانسان يدرك بفطرته ان الله:

﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣].

الله سبحانه مالك السماوات والأرض وكلّ مخلوقاته:

---

١. بحار الأنوار ٧/٣٢٣؛ الكافي ١/٢١٨.

٢. مريم: الآية ٧٦. ٣. البقرة: الآية ٢٥٥.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[١].

ولم يرد في القرآن الكريم ولا في الأحاديث القدسيّة؛ ان الله هو عين السماوات والأرض وسائر الكائنات أو ان السماوات والكائنات والمخلوقات هي عين الخالق!

والمالكيّة غير العينيّة فاذا صحّت «وحدة الوجود» لفقدت المالكيّة حينئذٍ معناها؛ ان بين الأشياء التي خلقها الله بين السماوات والأرض هو الانسان أضعف مخلوقات الله، قال تعالى:

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقال عزّوجلّ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[٣].

واذن فان ذات الانسان عبارة عن ضعف وعجز، ولو ان ذات الانسان ذات الخالق كما يقول العرفاء أفلا تكون نسبة الضعف والعجز إليه اهانة وقلّة أدب؟!

ولتوجب عليه أن يقول: الله خلقكم من قوّة ثمّ جعل من بعدها ضعفاً وعجزاً! كما يقول عرفاء «وحدة الوجود» في قوس النزول وقوس الصعود.

ومع تزايد وتنامي الايمان في قلب الانسان فانّه يدرك أكثر فأكثر حقيقة ضعفه

١. المائدة: الآية ١٧.
٢. غافر: الآية ٥٧.
٣. الروم: الآية ٥٤.

وعجزه الذاتي وفقره المطلق وموته! وفي المقابل يدرك عظمة وقدرة ربّه الخالق الكريم الرحيم الذي وهبه نعمة الحياة وأخرجه من العدم إلى الوجود وأفاض عليه نعمه التي لا تحصىٰ.

ان الانسان الذي هو في ذاته ضعف وفقر وجهل و... يتدرج في سلم الكمال بتوفيق من الله سبحانه ويصل إلى أعلىٰ درجات الكمال ولكنّه لا يصبح الهاً لأنّ الذاتيّات غير قابلة للتغيير.

وعند ما يشعر العارف والصوفي من خلال ممارسة بعض الرياضات النفسيّة انه قد أصبح رباً وخالقاً للسماوات والأرض فان هذا من القاءات الشيطان الذي يوحي إليه بالاوهام والتصوّرات الباطلة والتخيّلات التي لا أساس لها من الحقيقة.

فالانسان ومن خلال التفكّر والتدبّر في نفسه وفي ما حوله في الأعماق والآفاق يدرك مدىٰ ضعفه الشديد المطلق وعجزه وفقره وجهله ليس وحده فقط بل وسائر المخلوقات وفي نفس الوقت يدرك مدى عظمة الخالق المطلقة وحنانه ورحمته التي وسعت الوجود بأسره ومن هنا يقول الامام المعصوم:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

أمّا نظريّة «وحدة الوجود» فتقول: كلّ من أدرك ان الخالق ظهر بصورته فقد عرف ربّه!!

وبتزايد ايمان الانسان الذي يتبعه زيادة في هداه ويترتّب على ذلك ان الانسان يكتشف المزيد من الحقائق ويدرك ان ما ينعم به من حياة وما يفاض عليه من النعم هو من أجل طي رحلة العمر القصيرة وان كلّ ما لديه إنّما هو أمانة وهبة تعود لمالكها الحقيقي.

فمن هو الواهب ومن هو المودع؟

الله تبارك وتعالى وهو مالك الوجود والكائنات وهو لعدم محدوديّته وبسبب مطلقيّته ولا نهائيّته فهو شاهد وحاضر في كلّ مكان وهو وحده الذي يراقب كلّ شيء ولا يخلو منه شيء فهو محيط بجميع الأشياء مطلع على كلّ الخفايا والنوايا في أعماق البشر.

قال تعالىٰ:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾[١].

ومع هذه الاحاطة التامّة من الخالق بأفعال الانسان الذي منحه الله النعم علىٰ غير استحقاق منه فان هذا المخلوق يستخدم قواه وأعضاءه في القيام بأعمال لا ترضي الرب تبارك وتعالى فيمهله ويغدق عليه نعمه.. فليخجل الانسان من ربّه! ولو آمن الانسان ما عصىٰ الله خالقه ومالكه وربّه.

جاء في الأحاديث الشريفة:

«**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**».

و: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

ومن خلال نمو الايمان ومعرفة الباري وحضور الخالق في القلب في جميع الأحوال فان الشخص المؤمن يصل إلى حدود العصمة بحيث يجتنب الانسان ارتكاب الخطيئة ويشعر بالخجل من ارتكاب الذنب الصغير.

---

١. النساء: الآية ١٠٨.

وهذا هو معنى العصمة في الأنبياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام ذلك ان العصمة تعني اجتناب ارتكاب والأفعال التي لا ترضي الله سبحانه مهما تضاءلت.

وبواعث ظهور ونمو هذه الملكة في أعماق الانسان هو عرفان الرب ومعرفة عظمة الخالق وادراك حقيقة الانسان وفقره الذاتي وعجزه وجهله وضعفه وفي المقابل وعي الانسان المؤمن عظمة الخالق تبارك وتعالى ومجده المطلق فيقبل على عبادته والالتزام بأوامره ونواهيه فيؤدّي ما عليه من واجبات ويجتنب المحرّمات.

وكلّما زادت هذه الحالة من الايمان رسوخاً في داخل الانسان تضاعفت عبادته إلى أن يصل ذروة العبادة في وعي المؤمن ان عليه أن يعبد الله لأنّه تبارك وتعالى أهل للعبادة يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في دعاء له:

«إِلَهِي مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ عِقَابِكَ وَلا طَمَعاً فِي ثَوَابِكَ وَلَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ»[(١)].

ومن هنا ندرك علّة العبوديّة لله تعالىٰ والأسباب التي تكمن وراء اجتناب الانسان المؤمن للمعاصي والذنوب وكلّ ما يؤدّي إلى سخط الربّ تبارك وتعالىٰ.

هذا هو معنى العصمة انّه اجتناب المعاصي والورع عن محارم الله وملكة تعصم الانسان وتصونه عن الانزلاق والانحراف عن الطريق القويم وهي تنشأ وتنمو داخل النفس الانسانيّة بسبب رسوخ الايمان ووعي عظمة ومجد ورحمة وحنان الخالق تبارك وتعالى.

---

١. بحار الأنوار ٤١ / ١٤.

الآن لاحظ كيف يفسّر العرفاء العصمة لدى الأنبياء انّها تنبثق وتتولّد نتيجة الخوف من العقاب:

«العصمة لدى الأنبياء تتبع الايمان... فعند ما تؤمن وتصدّق بأن شخصاً شاهراً سيفه يتهدّدك إذا قلت كلمة ضدّه فانه سيهوي بالسيف على عنقك فانّك تصبح معصوماً فلا تنطق بكلمة ضدّه، لأنّك تحبّ نفسك فلا يمكنك أن ترتكب ما يذهب بحياتك»!

أين هذا الكلام من الايمان انه أقرب إلى الغطرسة، كما ان حالة الخوف على النفس لا تصون الانسان من ارتكاب الخطأ ولا تردعه عن القيام بفعل يعود بالضرر علىٰ حياة الانسان هؤلاء الأطبّاء أكثر الناس وعياً بمخاطر الخمر واضرار التدخين إلّا انك ترىٰ بعضهم مدمنين على تناول المشروبات الكحولية والتدخين، لا يردعهم وعيهم عن ارتكاب وممارسة ما يعود بالضرر الشديد على حياتهم.

تأمّل ما يقوله الامام أميرالمؤمنين عليه‌السلام انه يعبد الله سبحانه لأنّه وجده أهلاً للعبادة.

«**وجدتك اهلاً للعباة فعبدتك**».

وهذا جوهر العبادة وحقيقتها التي لا تؤثّر فيها عوامل مثل الاكراه والخوف والاطماع والتهافت علىٰ مقام أو موقع ما.

وتأمّل في قوله عليه‌السلام:

«**إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ**

الْعَبِيدِ وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ»[١].

انّ العبادة التي تأتي جرّاء الخوف ليست لها قيمة تذكر وهكذا فان اجتناب المعاصي بسبب الخوف؛ وإذن فانّ القول بأنّ العصمة ناجمة عن الخوف خطأ كبير.

يردّد الشخص المؤمن في صلواته اليوميّة لدىٰ قيامه وركوعه هذه العبارة: «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد».

فقدرته على القيام بالأعمال وتحرّكه هنا وهناك هي هبة الله عزّوجلّ له وهو عندما يستمد هذه القدرة ويطلبها يؤمن بشكل قاطع انه لا حول وقوّة لديه إلّا بالله وهو مصدر هذه القوّة ولا يقصد بأنّ الله تجسّم وتعيّن في مفاصله وسائر أعضائه كما يذهب إلىٰ ذلك المتصوّفة.

بل ان المؤمن يعي ان كل ما لديه هو من الله وان كلّ ما يقوم به من أعمال فهو بسبب منحه القدرة علىٰ ذلك ولهذا فهو يحمد الله علىٰ ذلك.

قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢].

لقد أنعم الله على الانسان فأخرجه من العدم إلى الوجود ووهبه السمع والبصر وسائر الأعضاء والجوارح وهو خالق السماوات ومن فيها من الكائنات السماويّة التي يعجز الانسان عن تصوّرها وأدائها فكيف يمكنه ادراك كنه الخالق.

---

١. نهج البلاغة كلام ٢٣٧.

٢. النحل: الآية ٧٨.

فهل ثبت لعقل الانسان المحدود وعلمه القليل الضئيل ان الله تعالى ظهر بصورة الأعضاء والجوارح ؟ !

«سبحان الله عمّا يصفون».

يتحدّث مؤلّف رسالة رفع الشبهات عن الصوفيّين في ما يعرف من اتباع «نعمت الله» قائلاً:

«من خصائص السلسلة العلية «النعمة الهية» كما أشرنا فيما مضىٰ هو التقيّد بآداب الشريعة المطهرة ووظيفتنا نحن فقراء النعمة الهية» هي الحفاظ النواميس المقدسة للشريعة المطهرة والعمل طبق أوامر الشرع المقدس حيث تكميل الباطن لا يحصل أبداً بدون حفظ الظواهر فلا نعمل بخلاف رضا الله وقادة الدين والّا نسوءهم كما ورد في تفسير الآية الشريفة:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

فقد جاء في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**ما لكم تسوءون رسول الله صلى الله عليه وآله**»:

فقيل: كيف نسوءه؟

فقال: «**أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فاذا رأىٰ فيها معصية ساءه ذلك؛ فلا تسوءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه**».

والمراد من «المؤمنون» وفي الآية هو علي والأئمّة عليهم السلام .

وهذه مجرّد مزاعم يدّعيها جميع الصوفيّين في جميع الأُمم والشعوب فعلىٰ

---

١. التوبة: الآية ١٠٥.

سبيل مؤلّف كتاب «نشان از بي نشانها»[١]:

«ليعلم الجميع ان طريقتي تلتزم بجميع أحكام الشريعة عكس سائر الطرق الآخرىٰ التي لا تكترث للشريعة»[٢].

ونلاحظ في هذا النص موضوعين:

١ ـ تكذيب صريح ورسمي لكلّ الطرق الصوفيّة التي تدّعي الالتزام بالشريعة بما في ذلك «طريقة النعمة الهية، الصوفيّة».

٢ ـ إنّ جميع الصوفيّين يدّعون انّ طرقهم مقتبسة من الشريعة وهذا يستلزم عدم وجود مصدر آخر لاقتباس التصوّف في حين انّنا نلاحظ مؤلّف «نشان از بي نشانها» يعلن بصراحة في ان:

«مطالب الطريقة مطالب أُخرىٰ».

لاحظ النصّ التالي:

«انّني مخلص لأهل بيت العصمة والطهارة، آمل أن يوفّقني الله للبقاء علىٰ هذا الاخلاص، لكن مطالب الطريقة مطالب أُخرىٰ».

ويجمع الصوفيّون علىٰ انّ عقائدهم الصوفيّة اقتباس من الدين والشريعة غير ان لهم عقائد تتناقض مع العلوم الوحيانيّة للاسلام وهي عقائد باطلة بحسب الحكم الصريح الصادر عن أهل البيت عليهم السلام.

... فضيل قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام (الإمام الباقر) يقول:

«**كُلُّ مَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ**»[٣].

---

١. علامة عن المجهولين.
٢. نشان از بي نشانها ١٢٦.
٣. بحار الأنوار ٢ / ٦٤؛ وسائل الشيعة ٢٧ / ٧٤.

وقال الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**يا كُميل لا تأخذ إلّا عنّا تكن منّا**»[١].

وفي تعريف «التصوّف» يقول مؤلّف «نشان بي نشانها»:

«... من هنا فانّ للتصوّف ظاهر وباطن وظاهره الشريعة المصطفويّة وباطنه الاتّصال بولي الوقت أو الاتّصال بمن هو متّصل بوليّ الوقت وهذا هو الدين الحقّ للاسلام الذي قال عنه أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ الدين عند الله الإسلام والإسلام هو التسليم» وعلىٰ هذا فان من لا يكون متّصلاً بالولاية وإن تطابق ظاهر أعماله مع الشرع النبويّ فليس له من الإسلام والتصوّف نصيب»[٢].

والجملة الأخيرة من النصّ: «ليس له من الإسلام والتصوّف نصيب» تؤيّد قوله السابق: «مطالب الطريقة مطالب أُخرىٰ» ما يعني انّ الاسلام غير التصوّف والتصوّف شيء والاسلام شيء آخر؛ وتأمل قوله أيضاً:

«أيّها العزيز! إنّ التصوّف طريقة جميع الأنبياء والأولياء وبما ان لكلّ شيء ظاهر وباطن فانّ التصوّف أيضاً هكذا... وباطن التصوّف أيضاً ليس إلّا الولاية.. التصوّف هو طريق الوصول إلى الله، ولا يختصّ بالاسلام وحده، بل كان موجوداً في جميع الأديان غير انه ظهر بصورة كاملة في الاسلام. التصوّف ليس إلّا الشريعة...

والمراد من الولاية في هذا النص هي ولاية الصوفيّين على غيرهم وليست الولاية العامّة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام «وباطنه الاتّصال بوليّ الوقت أو الاتّصال

---

١. بحار الأنوار ٧٤/٢٦٨؛ الوسائل ٢٧/٣٠؛ تحف العقول ٨١.

٢. نشان بي نشانها ٢٣٤.

بمن له اتّصال بوليّ الوقت».

أما اسناد الصوفيّين التصوّف إلى الاسلام ليس إلّا من أجل استحمار بسطاء الناس؛ ذلك انّ التصوّف لا صلة له بالاسلام ولا بالأديان الأُخرى وبالتالي فلا علاقة له لا بالتسنّن ولا بالتشيّع وإنّما هو من بقايا الزندقة الموروثة من ثقافة قدماء الفرس؛ فعمد الصوفيّون إلى بعثها من جديد وتمريرها تحت غطاء كاذب من الآيات والروايات الملفقة لإلباس التصوّف ثوباً دينيّاً[١].

أضف إلىٰ ذلك انّ هكذا توصيفات كاذبة واسناد التصوّف إلى الشريعة علىٰ نحو ما هو أُسلوب جميع الصوفيّين ولا يقتصر على جماعة دون أُخرى.

والصوفيّون في المجتمع السني يستخدمون نفس هذا الأُسلوب في اسناد التصوّف إلى الاسلام.

فهناك جماعة وبسبب تصوّفهم ناصبوا أهل البيت عليهم‌السلام بالاصالة وناصبوا شيعتهم العداء بالتبع وابدوا عداءهم نهاراً جهاراً؛ من قبيل أبوحامد الغزالي الذي قام بما يلي:

١ ـ برّر لمعاوية تمرّده على الامام علي عليه‌السلام ومحاربته فمعاوية اجتهد في موقفه وحربه للامام عليه‌السلام[٢].

٢ ـ اصدار فتوىٰ في عدم جواز لعن يزيد ولعن قتلة الامام الحسين عليه‌السلام[٣].

٣ ـ اساءة الأدب ازاء مقام أهل البيت عليهم‌السلام[٤].

---

١. انظر قاموس دهخذا مصطلح «صوفي».

٢. احياء العلوم ١ / ١٧٧.

٣. المصدر السابق ٣ / ١٢١.

٤. الاثنا عشريّة ١٦٣.

٤ ـ تاكيده علىٰ ضرورة لعن الشيعة وتعريف ذلك لأهل السنّة[١].

٥ ـ استخدام عبارة «خذلهم الله» لدى ذكره الشيعة[٢].

يقول الغزالي في كتابه احياء العلوم:

«وانكشف لي أثناء تلك الخلوات أُمور لا يمكن احصاؤها والقدر الذي ينبغي أن نذكره لينتفع به انّ الصوفيّة هم السالكون لطريق الله خاصّة، وانّ سيرتهم أحسن السيرة وطريقته أصوب الطرق واخلاقهم أذكىٰ الاخلاق... فانّ جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوّة، وليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نور يستضاء به»[٣].

ونلاحظ انّ المتصوّف السني يقتصر علىٰ ذكر مشكاة النبوّة في قوله انّ التصوّف اقتباس من شريعة الاسلام بينما التصوّف الشيعي ولأنّه يعيش في وسط شيعي يضيف إلىٰ ذلك ذكره الولاية فيقول انّ التصوّف مقتبس من:

«مصباح النبوّة ومشكاة الولاية وأهل بيت العصمة».

في حين بات واضحاً انّ ثقافة التصوّف لا صلة لها بالتسنّن ولا بالتشيّع ولا حتّى بالاسلام فهو ثقافة مستقلّة بذاتها.

غير انّ الصوفيّين يتحدّثون بلغة تناغم الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه فعلىٰ سبيل المثال:

مولانا جلال‌الدين الرومي وشاه نعمة الله ولي فكلاهما صوفيان ومن أشاعرة

---

١. احياء العلوم ٣/ ٧٥.

٢. الاثناعشريّة ١٦٦.

٣. احياء العلوم ٥/ ١٥.

أهل السنّة وكلاهما كانا يروّجان للتصوّف الجديد الذي أسس له ابن عربي.

عاش شاه نعمة الله ولي سنواته الأخيرة (٢٥ سنة) في ماهان من توابع كرمان بين ظهراني مجتمع شيعي ولكي ينفذ في قلوبهم راح يتغنّى بمناقب الامام علي عليه السلام وآل البيت عليهم السلام ويخفي في باطنه كراهيته للشيعة لكن لم تصدر عنه كلمة اساءة بشأنهم.

غير ان مولانا جلال الدين الذي سبقه كان يعيش في مجتمع سني فأبدى ما يضمره في قلبه من الكراهيّة لهم يقول في بعض أشعاره:

كيف يمكن أن تحدّث الشيعة عن عمر

كيف يمكن أن تعزف على «البربط» للأصم؟![1].

ويقول أيضاً:

وعداؤهم منذ يوم ألست

ان طبع السبزواري ميراثهم[2].

ويقصد مولانا جلال الدين ان العداء الشيعي ربما للخلفاء الثلاثة الأوائل أو لعمر وأبي بكر موجود في قلوبهم منذ يوم ألست «ألست بربكم» وطبيعة السبزواري ميراث انتقل إليهم منذ ذلك اليوم وسبزوار مدينة تقع شمال شرق إيران يقطنها الشيعة.

وواضح ان الخطاب الصوفي السني يحاول النفوذ داخل المجتمع السني من خلال هذه اللغة لغة التحامل على الشيعة واذكاء الروح الطائفيّة؛ وإلّا فانّهم أبعد ما

---

١. المثنوي ٣/ ٥٤١.   ٢. المصدر السابق ٥/ ٨٦٢.

يكون عن الدين؛ ففي عقيدتهم لا يجوز تأسيس الطريقة أو اقامة الطريقة إلّا بعد بلوغ مرحلة القطبيّة التي لا توجد إلّا في خيال الصوفي وأوهامه ولدى وصولهم هذه المرحلة فانه تبطل الشريعة فهم يقولون:

«لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع» ويشبّهون ذلك بتحوّل النحاس إلى ذهب!

وقولهم: «طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم».

فالشريعة لديهم كعلم الطب أمّا الطريقة فهو الحمية بموجب علم الطب وتناول الدواء ثمّ تأتي مرحلة الحقيقة وهي مرحلة العافية الأبديّة والخلاص من الشريعة والطريقة[١].

وجدت الله وأبصرت الحقيقة... فتخلّصت من عين الشريعة.

وهذا يعني بطلان جميع الأديان بعد بلوغ الحقيقة أجل هكذا يتحدّث جميع الصوفيّة، من قبيل مؤلّف رسالة رفع الشبهات ومؤلّف كتاب «نشان بي نشانها» وغيرهما من المتصوّفة ولذلك فان مزاعمهم بالتزام الشريعة والاقتباس من الدين ومن مشكاة النبوّة ومن مصباح الولاية هي مزاعم كاذبة ومحاولة لذر الرماد في العيون.

ان اللجوء إلى سيرة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام حملة علوم الوحي هو السبيل الوحيد لصون عقائدنا من خداع وفذلكة المتصوّفة وسعيهم الحثيث في تزريق عقائد وأفكار الصوفيّة بشتّىٰ الوسائل ومنها الايحاء بأن عقيدة الصوفيّة استلهام واقتباس من أهل البيت عليهم السلام.

---

١. المصدر نفسه ٥/ ٨١٨.

يقول الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«**انْظُرُوا أَمْرَنَا وَمَا جَاءَكُمْ عَنَّا فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُ لِلْقُرْآنِ مُوَافِقاً فَخُذُوا بِهِ وَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ مُوَافِقاً فَرُدُّوهُ وَإِنِ اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَيْكُمْ فَقِفُوا عِنْدَهُ وَرُدُّوهُ إِلَيْنَا حَتَّى نَشْرَحَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا شُرِحَ لَنَا**»[١].

ويقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«**وَاللهِ مَا جَعَلَ اللهُ لِأَحَدٍ خِيَرَةً فِي اتِّبَاعِ غَيْرِنَا وَإِنَّ مَنْ وَافَقَنَا خَالَفَ عَدُوَّنَا وَمَنْ وَافَقَ عَدُوَّنَا فِي قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ فَلَيْسَ مِنَّا وَلا نَحْنُ مِنْهُمْ**»[٢].

وقال عليه السلام:

«**كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا**»[٣].

«**كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُنَا وَهُوَ مُسْتَمْسِكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا**»[٤].

وجاء في جانب من رسالة جوابيّة بعثها الامام موسى الكاظم عليه السلام ومن داخل أحد سجون بغداد:

«**وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ يَا عَلِيُّ مِمَّنْ تَأْخُذُ مَعَالِمَ دِينِكَ لا تَأْخُذَنَّ مَعَالِمَ دِينِكَ عَنْ غَيْرِ شِيعَتِنَا**»[٥].

وقال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في توصيف أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم:

---

١. بحار الأنوار ٢/٢٣٥؛ وسائل الشيعة ١٨/٨٦.

٢. وسائل الشيعة ٢٧/١١٩.

٣. بحار الأنوار ٢٧/١١٧؛ وسائل الشيعة ١٧/٨٤؛ الفصول المهمّة ٢٢٥.

٤. بحار الأنوار ٣/٨٣؛ معاني الأخبار ٣٩٩.

٥. بحار الأنوار ٢/٨٢؛ وسائل الشيعة ٢٧/١٥٠.

«شِيعَتُنَا الْمُسَلِّمُونَ لِأَمْرِنَا الْآخِذُونَ بِقَوْلِنَا الْمُخَالِفُونَ لِأَعْدَائِنَا فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَّا»[١].

وهذا بعض ما ورد من الروايات في وصايا أئمّة أهل البيت عليهم السلام في طلب العلوم الدينيّة وهي روايات كثيرة جدّاً.

واذن فانّ المنهج في طلب العلم من منابعه الصافية هو في عرض الأخبار والروايات والأحاديث على القرآن الكريم، فما وافق كتاب الله أُخذ به وما عارض القرآن الكريم نبذ بعيداً ولذا تنقسم الأحاديث إلى: حسن وموثق وصحيح و...

وقد أكّد الأئمّة الأطهار من آل رسول الله صلى الله عليه وآله على وحدة المجتمع المسلم وعلى الاتّحاد وعدم التفرقة.

جاء في أحاديثهم عليهم السلام:

«أَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ حُبّاً مُقْتَصِداً وَلا تَغْلُوا وَلا تَفَرَّقُوا وَلا تَقُولُوا مَا لا نَقُول»[٢].

وبالرغم من وجود جماعات وتجمّعات مختلفة مع بعضها البعض على صعيد العقيدة إلّا انّنا مأمورون بالاتّحاد فيما بيننا.

ففي مسائل الفقه نجد أتباع المذهب الشافعي يختلفون مع غيرهم من أتباع المذهب المالكي وهكذا في عقائد الأشاعرة واختلافها مع عقائد المعتزلة، وهكذا بالنسبة إلى الشيعة فهم يتّبعون مذهب أهل البيت.

واتّحاد الأُمّة الاسلاميّة لا يستلزم تنازل أتباع كلّ مذهب عن عقائدهم، فكلّ

---

١. بحار الأنوار ٦٥/١٦٧.

٢. بحار الأنوار ٥/٢٦٩؛ قرب الاسناد ٦٦.

له عقيدته المحترمة، ولا يمنع هذا الاختلاف والتنوّع المذهبي من أن تتوحّد كلمة الأُمّة كما لا يمنع من اجراء حوار بينها أو دراسة عقائد وأفكار كلّ مذهب من المذاهب وتقييمها.

حول شاه نعمة الله ولي ومن زعماء العرفان والتصوّف جاء في مقدّمة كتاب «الديوان»: «ظهر في القرن السابع صدرالدين القونوي ثمّ أعقبه ظهور شاه نعمة الله ولي في القرن الثامن، ثمّ جاء بعده سيّد محمّد نوري‌بخش فنشر طريقة التصوّف لابن عربي (محي‌الدين) الغريبة على التصوّف الايراني في صفوف الايرانيّين، وكان شاه نعمة الله ولي قد دمج تصوّف (ابن عربي) مع معتقدات الشيعة أو عليه فان طريقة النعمة الهية أول طريقة صوفيّة في الشيعة والتي ينحصر وجودها في إيران والهند»[١].

من هو محي‌الدين بن عربي؟

جاء في مقدّمة الديوان:

«ولد محي‌الدين بن عربي الأندلسي في عام ٥٦٠ في مدينة مرسية وتوفّي عام ٦٣٨ وكان اسبانياً»[٢].

كيف وصلت أفكار وعقائد هذا الشخص الاسباني إلى إيران وكيف انتشرت؟

جاء في مقدّمة ديوان شاه نعمة الله ولي حول هذا الموضوع ما يلي:

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي كرماني ١٠؛ نبذة عن العلوم الاسلاميّة، مرتضى مطهّري ١١٥.

٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ١٢.

«كان صدرالدين محمّد بن اسحاق القونوي المتوفى سنة ٧٦٦ هـ ايرانيّاً وكان يعيش في آسيا الصغرىٰ، استاذه ابن عربي وزوج والدته، وهو أوّل من أدخل تصوّف ابن عربي في التصوّف الايراني ثمّ تبنّت بعض عقائده «النعمة الهيون» و «النور بخشيون»».

وشاه نعمة الله ولي من أهالي ماهان من توابع كرمان ولد في سنة ٧٣٠ هـ فان «التصوّف النعمة الهي» هدية من اسبانيا جاء بها صدرالدين القونوي من زوج أُمه وقدّمها إلى الايرانيّين.

كلّ الأفكار والعقائد التي يعتنقها الناس محترمة والاسلام يقول «لا إكراه في الدين» لذلك لا يحق لأحد أن يسخر من عقائد الآخرين غير ان مناقشة هذه الأفكار والعقائد وتقييمها أمر علمي متاح للجميع.

يشتمل ديوان شاه نعمة الله ولي على مدائح في أئمّة أهل البيت عليهم السلام من دون أن يستشهد في تأييد مقولاته العرفانيّة بحديث من أحاديثهم!

فهل أخذ شاه نعمة الله ولي مقولاته في العرفان من أهل البيت عليهم السلام ؟!

وفي معرض الرد على كتاب «رسالة رفع الشبهات» سنكتشف حقيقة هذا الموضوع؛ ذلك لأن مؤلّف الرسالة كثير ما يستند في كلامه إلى شاه نعمة الله ولي وإلى آرائه؛ وهذا الأخير يستقي أفكاره وعقائده العرفانيّة من ابن عربي الأندلسي الذي لا يمت بأية صلة مع مذهب أهل البيت عليهم السلام كما سنرى ذلك لاحقاً.

وما مدائحه في أهل البيت عليهم السلام والأئمّة الأطهار من آل رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا غطاءً لتمرير وضخ الأفكار والعقائد العرفانيّة الجديدة في داخل المجتمع الايراني الذي لم يكن يعرفها.

يقول القرآن الكريم:

﴿ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[١].

بينما يقول شاه نعمة الله ولي:

علمنا ليس موجوداً في الكتاب

مثل سرّ الماء لا يوجد في السراب[٢].

وسوف نجد في البحوث القادمة كيف تتناقض هذه المزاعم مع آيات القرآن الكريم وأحاديث معلمي القرآن وحملة علومه.

تظهر في اسبانيا شخصيّة شهيرة لدى الصوفيّة تؤسّس لتصوّف جديد ومن خلال (مريدين) لمحي‌الدين بن عربي تنفذ هذه العقائد إلى إيران يتلقّفها البعض من الزنادقة ويساعدون علىٰ نشرها تحت غطاء كاذب من الآيات القرآنيّة والأحاديث.

وفي ضوء تعاليم القرآن الكريم ومعارف أهل البيت الكرام عليهم السلام فان أفكاره من قبيل الاشراق والتصوّف والتي تنهض على الأوهام والخيال في قضايا الدين مستمدّة الفلسفات الايرانيّة القديمة وهذا قوله تعالى يؤكّد بوضوح:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٣].

انّ علماء الدين الحقيقيّين يسعون جاهدين في تلقي معالم الاسلام عن طريق النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين من دون أن ابداء رأي خاص ورؤية ذاتيّة.

---

١. الأنعام: الآية ٥٩.
٢. الديوان ٨٤.
٣. الحشر: الآية ٧.

فهل يصحّ أن يأخذ الشيعة عقائدهم وأُصول دينهم من شخص اسباني على انها تعاليم الاسلام ؟!

لهذا من الضروري أن نتحدّث أكثر عن شخصيّة ابن عربي ونتعرّف علىٰ فكره وآرائه يقول ابن عربي على سبيل المثال:

«وكذلك أخذ الخليفة عن الله عين ما أخذ منه الرسول فنقول فيه بلسان الكشف خليفة الله وبلسان الظاهر خليفة رسول الله، ولهذا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وما نصّ بخلافة عنه إلى أحد ولا عيّنه، لعلمه أنّ في أُمّته من يأخذ الخلافة عن ربّه فيكون خليفة عن الله مع الموافقة في الحكم المشروع، فلما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحجر الأمر»[1].

وفي هذا النص ينكر ابن عربي صراحة مسألة استخلاف الرسول صلى الله عليه وآله للامام علي عليه السلام وواقعة غدير خم وحديث الغدير ان امامة الامام علي عليه السلام من أُصول المذهب الجعفري، وقد تحدّثت مذاهب أهل السنّة عن موضوع الامامة وسيأتي الحديث عن ذلك فيما بعد؛ أضف إلىٰ ذلك ان موضوع اسلام أبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وآله ووالد الامام علي عليه السلام أمر اتّفق عليه جميع علماء الشيعة اتباعاً لأهل البيت عليهم السلام[2].

وأحاديثهم الشريفة التي تقطع في ذلك.

غير ان ابن عربي له رأي آخر يقول:

«لم يكن أحد أكمل من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أعلىٰ وأقوىٰ همة منه وما أثرت في

---

١. فصوص الحكم ٣٧٣.

٢. انظر موسوعة الغدير ج٧ باب الاجماع في إيمان أبي طالب.

اسلام أبي طالب وفيه نزلت الآية التي ذكرناها:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[١].[٢]

ومن عقائد الشيعة الاماميّة التي يتّفق معهم فيها معظم أهل السنّة هي أفضليّة الامام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي يقول بقوّة:

«فانّه أفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأحقّ بالخلافة من جميع المسلمين، لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الاسلام وانتشار الكلمة لحسد العرب له وضغنهم عليه»[٣].

ويضيف قائلاً:

«واعلم إنّ عليّاً كان يدّعي التقدّم على الكل والشرف على الكل والنعمة على الكل، بابن عمّه صلى الله عليه وآله وبنفسه وبأبيه أبي طالب، فانّ قرأ علوم السير وعرف ان الاسلام لو لا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً»[٤].

ويصرّح ابن أبي الحديد باجلال واعجاب ودهشة:

«وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت انه استولىٰ بنواميّة على سلطان الاسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكلّ حيلة في اطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له ولعنوه علىٰ جميع المنابر، توعّدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً حتّى حظروا

---

١. قصص: الآية ٥٤.
٢. فصوص الحكم ٢٩٦.
٣. شرح نهج البلاغة ١/١٤٠.
٤. المصدر السابق ١/١٤٢.

أن يسمىٰ أحد باسمه فما زاده ذلك إلّا رفعة وسموّاً وكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه وكلّما كتم تضوّع نشره وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة»[١].

وشواهد من هذا القبيل كثيرة جدّاً يكفي أن يراجع المرء موسوعة الغدير الكبرىٰ «باب اجماع الأُمّة على تفضيل عليّ علىٰ غيره بالعلم»[٢] و«باب أنّ عليّاً وارث علم رسول الله»[٣].

وأمام هذا الاجماع لدى الأُمّة الاسلاميّة ينبري ابن عربي ليقدّم عليه الخلفاء الذين سبقوه قائلاً:

فليس بين أبي بكر وصاحبه
اذا نظرت إلى ما قلته رجل
هذا الصحيح الذي دلّت دلائله
بالكشف عند رجال الله إذ عملوا[٤]

من مناقب أهل البيت عليهم السلام التي خصّوا بها من دون العالمين أنّهم كانوا محدّثون أي انّهم كانوا يتلقّون الحقائق من الله عزّوجلّ دون واسطة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مِنْ وُلْدِيَ اثْنَا عَشَرَ نَقِيباً نُجَبَاءُ مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ آخِرُهُمُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ يَمْلأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً»[٥].

---

١. المصدر نفسه ١/١٦.
٢. موسوعة الغدير ١/١٠٠.
٣. المصدر السابق ٥/٥٣؛ ٧/١٨٣.
٤. الفتوحات المكيّة ٢/٢٦٠.
٥. الكافي ١/٥٣٤.

ويقول الامام جعفر الصادق عليه السلام بشأن سلمان الفارسي:

«إِنَّهُ كَانَ مُحَدَّثاً عَنْ إِمَامِهِ لا عَنْ رَبِّهِ لِأَنَّهُ لا يُحَدَّثُ عَنِ اللهِ إِلّا الْحُجَّةُ»[١].

ولكن ابن عربي يمنح هذا الامتياز إلى الخليفة الثاني مستنداً إلى كشفياته ربما:

«ومنهم رضي الله عنهم المحدّثون وعمر بن الخطّاب رضيّ الله عنه عنهم»[٢].

ويتحدّث هذا العارف الاسباني عن احدى رحلاته الفضائيّة قائلاً:

«ولما شهدته صلّى الله عليه وسلّم في ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد محفوظ المشاهد منصوراً مؤيّداً وجميع الرسل يديه مصطفّون... والصدّيق على يمينه الأنفس والفاروق على يساره الأقدس والختم بين يديه وعلي صلّى الله عليه وسلم يترجم عن الختم بلسانه...»[٣].

وهو يرى شيعة أهل البيت عليهم السلام في كشفيّاته وكما يراهم الرجبيّون على صور الخنازير:

«ومنهم رضي الله عنهم الرجبيّون وهم أربعون نفساً في كلّ زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله.. لقيت واحداً منهم بدنيسير من ديار بكر... وكان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة فكان يراهم خنازير وهي العلامة التي جعلها الله في أهل هذا المذهب»[٤].

وما ذكر أمثلة ممّا قاله ابن عربي فهو يصل في انتقاده للشيعة وتحامله عليهم

---

١. بحار الأنوار ٢٣/٣٤٩؛ وسائل الشيعة ١٨/١٠٦.

٢. الفتوحات المكيّة ٢/٢١. ٣. الفتوحات المكيّة ١/٢.

٤. المصدر السابق ٢/٨.

حدوداً قاسية جداً ويفترى عليهم الكثير من قبيل «القدح برسول الله ﷺ وفي جبرئيل عليه السلام وفي الله جلّ جلاله حيث لم ينصّوا على رتبتهم (أهل البيت) وتقديمهم للخلافة للناس»[١].

ومن الشخصيّات التي عملت علىٰ نشر وترويج تصوّف وعقائد ابن عربي مولانا جلال‌الدين الرومي صاحب المثنوي والأشعري المذهب ولذلك يعرض عن المعتزلة لأن للأشاعرة عقائدهم الخاصّة التي تختلف عن عقائد المعتزلة.

وللاماميّة شيعة أهل البيت عليهم السلام عقائدهم أيضاً وهي تختلف عن عقائد الأشاعرة والمعتزلة وبسبب هذا الاختلاف في العقيدة فانك لا تجد أشعريّاً يتّبع اماميّاً.

ونجد في كثير من الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام نهياً شديداً للشيعة في أخذ عقائدهم عن غير أهل البيت عليهم السلام وقد مرّ آنفاً نماذج من تلك الأحاديث الشريفة وتأكيداً على ان مصدر العلوم الوحيانيّة هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

إلّا ان جماعة وبسبب هيامهم بالشعر وآفاقه الخالية يتأثرون بأشعار الصوفيّين ويسوغون عقائدهم ويعتبرونهم من أتباع أهل البيت عليهم السلام ومن هؤلاء الذين احتلوا موقعاً كبيراً لدى الكثيرين مولانا جلال‌الدين الرومي؛ فمن هو هذا العارف والمتصوّف الشهير؟

يقول أحد الأساتذة:

«مولانا محمّد الرومي صاحب كتاب المثنوي كان أشعري المذهب أيضاً»[٢].

---

١. المصدر نفسه ١/٢٨٢.

٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة قسم الكلام ٥٠.

يؤمن الشيعة الاماميّة والتزاماً بأمر الرسول ﷺ بولاية الامام علي عليه السلام ففي حجّة الوداع وفي طريق العودة توقّف النبي ﷺ في منطقة غدير خم وعرّف وصيّه والامام والخليفة من بعده قائلاً:

- **«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».**

وقد أوردت كتب الفريقين خطبة الرسول ﷺ واعلان النبي ﷺ إمامة وصيّه.

ولذا فانّ الشيعة الاماميّة يعتقدون بأنّ الخليفة الشرعي بعد رسول الله ﷺ هو الامام علي عليه السلام ثمّ الأئمّة الأطهار من ذريّته وصولاً إلى الامام الثاني عشر الحجّة بن الحسن العسكري صلوات الله عليه.

فالولاية العامّة حتّى في زمن الغيبة له خاصّة لا يشاركه فيها أحد غيره ولكن مولانا يقول:

ففي كلّ عصر وليّ قائم

والامتحان إلى القيامة دائم

فالامام الحيّ القائم ذاك الولي

كان من نسل عمر أو من علي[1]

ويقول أيضاً:

ومتى يمكن التحدّث للشيعة عن عمر

ومتى يمكن أن تعزف على البربط للأصم

ولو كان في احدىٰ زوايا الريف شخص

---

١. المثنوي الدفتر الثاني ٢٣٨.

لكفىٰ ان اصرخ بما فيّ اليه[١]

انّ الخليفة بعد النبي ﷺ هو علي عليه السلام وقد أوصىٰ الرسول ﷺ بذلك وبلّغ أُمّته الأمر الالهي وقد اعترف العديد من علماء السنّة بذلك إلّا ان بعضهم يبرّر ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ بأنّ الامام رأىٰ من المصلحة أن يتولّىٰ الخلافة غيره لأنّه عليه السلام أدرك عمق الكراهيّة التي يضمرها العرب له!

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي:

«أمّا الوصيّة فلا ريب عندنا أنّ عليّاً عليه السلام كان وصيّ رسول الله ﷺ وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد... فانّه أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ وأحقّ بالخلافة من جميع المسلمين لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحة وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الاسلام وانتشار الكلمة لحسد العرب له وضغنهم عليه»[٢].

ومن هنا نكتشف ان زعماء السنّة وكبار علمائهم يسلّمون بأحقيّة الامام علي في الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ وأنّه رأى من المصلحة ألا يتصدّىٰ لها.

أمّا نحن فنقول انه أقصي عن الخلافة وصودر حقّه الأكيد.

ولذا أعلن النبي بالاجتهاد

اسمه واسم علي بالولاء

قال من كنت مولاه فهذا

ابن عمّي علي مولىٰ له

---

١. المصدر السابق الدفتر الثالث ٥٤٠. ٢. شرح نهج البلاغة ١/ ١٣٩.

من هو المولى هو من

يكسر الأغلال عن قدميك[١]

واذن فان مولانا جلال‌الدين يعترف بولاية الرسول ﷺ وأن هذه الولاية هي للامام علي عليه‌السلام أيضاً.

وقد نقلت معظم كتب الحديث والتاريخ لدى الفريقين خطبة الرسول ﷺ في غدير خم.

وقد بحث مؤلّف هذه الدراسة موضوع «الامامة في ضوء التشيّع» في كتاب يحمل هذا الاسم بالتفصيل وسوف يجد القارئ ان تكذيب هذا الموضوع جاء لأسباب سياسيّة فقط وكان مولانا قد مجّد قبل هذا المقطع الشعري أعلاه الخلفاء الثلاثة الأوائل علىٰ نحو يوحي بأفضليّة عثمان على الامام علي عليه‌السلام.

ويتطرّق مولانا في أشعاره إلى خلافة عثمان وأنّ الناصح العامل بفعله أفضل من الناصح القوّال بقوله:

جاء الدور لعثمان ليجلس

حيث يجلس السعيد الطالع

وبعد أن ألقى خطابه ظل ساكتاً

الى قريب العصر لم ينبس ببنت شفه

جالساً في هيبة شملت الخاص والعام

وامتلأ الصحن والسقف بنور الله

---

١. المثنوي الدفتر السادس ١٢٦٠.

فالبصير كان يرى نوره

والأعمى كان يشعر بحرّ الشمس

هنالك أدركت عيون العميان طلوع الشمس الساطعة دون فتور.

وتوحي هذه الأبيات بأنّه يردّ على خطب الامام علي عليه السلام التي انتقد فيها عثمان[1].

ومولانا الأشعري كان علىٰ خصومة مع المعتزلة وكان شاه نعمة الله ولي أيضاً على خصومة مع مذهب الاعتزال لأنّه أشعري المذهب وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً.

يقول مولانا:

غلبوا اللحس أهل الاعتزال

أن يروا أنفسهم سنة هذا ضلال

كلّ من يبقىٰ أسير الحس فهو المعتزلي

وهو إن قال أنا سنّي فهذا جاهلي

كلّ من يخرج من الحس فهو سنّي

ثاقب الرؤية حسن الرقص

وهو لا يخفى كراهيّته للشيعة وهي كراهيّة تفوق كراهيّته للمعتزلة وقد ذكرنا شعره في الشيعة آنفاً.

عداؤهم في القلب من يوم «ألست»

---

١. المثنوي الدفتر الرابع ٦٥٠.

والطبع السبزواري ميراثهم[١]

يقول صاحب قاموس دهخدا:

«مولانا جلال الدين يعدّ أفضل من ترجم وعرّف أفكار افلوطين والفلسفة الافلاطونيّة الجديدة، وكلّ من طالع ديوان و«مثنوي» هذا العارف الكبير الذي يمثّل موسوعة العرفاء فانّه سيجد معظم قضايا الفلسفة الافلاطونيّة الجديدة»[٢].

واذن فان مثنوي مولانا جلال الدين يعد موسوعة للفلسفة الافلاطونيّة الجديدة أي الفلسفة اليونانيّة التي هي انبعاث للفلسفة الزرادشتية قبل الاسلام ولمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة كتاب «العرفان وأهل البيت» للمؤلّف.

ان جهل «مولانا» بالعلوم الوحيانيّة للاسلام كما هي مبيّنة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أمر طبيعي، ذلك انه لم يكن سوى مترجماً للأفكار العرفانيّة الافلاطونيّة المستحدثة التي أسّس لها فلوطين قبل الاسلام والتي عمل محي الدين بن عربي على نشرها داخل الامة الاسلاميّة.

فالتصوّف لا صلة له بالتشيّع ولا بالتسنّن ولهذا يعد من أعداء أهل البيت عليهم السلام بسبب تصوّفه.

واذن فان الذين يتمسّكون بأُصول عقائدهم يعني: معرفة الله والتوحيد بآثار مولانا على انها علوم ومعارف دينيّة فهم ينتمون إلى الزمر التي قال عنها أهل البيت عليهم السلام:

---

١. المصدر السابق الدفتر الخامس ٨٦٢.

٢. قاموس دهخدا مصطلح « صوفي ».

«كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا»[١].

وهذه التأكيدات التي يطلقها أئمّة أهل البيت عليهم السلام في ضرورة أخذ العقائد الدينيّة من منابعها الأصليّة إنّما يؤشّر إلى ظاهرة انكار بعض من يتلقّون التعاليم الدينيّة بسبب تأثّرهم بالأفكار المستوردة.

بعبارة أُخرىٰ ان الذين ينكرون بعض الحقائق المعرفيّة الدينيّة إنّما يفعلون ذلك بسبب تشرّبهم للأفكار الواردة من خارج مدرسة أهل البيت وتلقيهم لها على أنّها معارف دينيّة.

ذلك ان فتره تلقي العلوم هي فترة يصعب فيها على الطالب أن يميز بين ما هو مطابق ومنسجم مع القرآن الكريم أو مناقض له وبالنهاية يصبح الانسان من تلك الفئة التي تحدّث عنها القرآن الكريم في قوله تعالىٰ:

﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٢].

ان مقولات هذا العارف الصوفي في قضايا العقيدة تتناقض تماماً مع العلوم الوحيانيّة للقرآن الكريم وتعاليم أهل البيت عليهم السلام ومن الطبيعي أن يحصل ذلك لأنّ العلوم القرآنيّة لا توجد إلّا لدى معلمي القرآن الكريم وحملة علم الكتاب.

ومن هنا تأتي تأكيداتهم صلوات الله عليهم في ضرورة الأخذ عنهم فقط.

ولقد عمل الحاكمون على محاصرة أهل البيت عليهم السلام ومنعهم وقهرهم واضطهادهم خوفاً من انتشار الحقيقة الكبرى ألا وهي ان الولاية لهم وهم أولوا

١. بحار الأنوار ٣/٨٣؛ معاني الأخبار ٣٩٩؛ وسائل الشيعة ٢٧/١٢٩.

٢. يونس: الآية ٧٤.

الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وهم من أمرنا الله أن نرجع إليهم ونسألهم عن الحقيقة.

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[١].

ولهذا اعلنوها صراحة قائلين:

«نَحْنُ أَهْلُ الذكْر وَنَحْنُ المَسؤولُون»[٢].

أجل ان أهل البيت عليهم السلام هم أساتذة مدرسة الوحي وهم حملة علوم الاسلام المحمّدي الأصيل.

شاه نعمة الله ولي الكرماني

كما بينّا سابقاً انّ شاه نعمة الله ولي أحد الذين نشروا العرفان الاندلسي (عرفان ابن عربي) في صفوف المجتمع الشيعي في إيران ولكي يقوم بتمرير هذه الأفكار الغريبة المستوردة فقد انبرىٰ إلىٰ نظم الأشعار في مدح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مثل مولانا جلال‌الدين أشعري المذهب يقول في ديوانه:

أيّها المحبّ لآل علي

مؤمن كامل من دون بدل

اسلك طريق السنّة مذهبنا

وإلّا كان في سيرك خلل

من هو الرافضي؟ هو عدو أبي‌بكر

ومن هو الخارجي؟ هو عدو علي

١. النحل: الآية ٢٣.

٢. الكافي ١/ ٢١١؛ بحار الأنوار ١٧/ ٢٧٨.

من أحب الخلفاء الأربعة

فهو في المذهب طاهر وهو الولي

أحب الصحابة كلّهم

انصر السني وأعادي المعتزلي[١]

وفي هذا الشعر اعلان صريح لعقيدته وانه وبالرغم من مدائحه لأهل البيت عليهم السلام الّا انّه لم يأخذ طريقته الصوفيّة كما يزعم مؤلّف «رسالة رفع الشبهات» من أهل البيت عليهم السلام لسبب بسيط هو أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تتناقض مع التصوّف وأن المتصوّفة علىٰ اختلاف طرقهم وأصنافهم هم أعداء تقليديون لأهل البيت الكرام عليهم السلام.

وما لم يأخذ الشيعة علوم الدين عن أئمّة الهدى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله فانّهم لن يحصلوا علىٰ معارف الدين الحقّة فكيف إذا أخذوا علوم الدين عن أعداء أهل البيت عليهم السلام ؟! والمتصوّفة من هؤلاء.

وما ورد في رسالة رفع الشبهات في الغالب مقولات وآراء شاه نعمة الله ولي وسنتعرّف من خلال ردوده (المؤلّف) على الاشكالات والتساؤلات الخياليّة حول العرفان والتصوّف على الشخصيّات التي روّجت لذلك العقائد المناقضة للاسلام.

يذكر شاه نعمة الله ولي انهم «خصم المعتزلي» ويكرّر ذلك في أشعاره مرّات ومرّات في إشارة إلى مذهب المعتزلة الذي ظهر في مدينة البصرة ومؤسسه

---

١. ديوان نعمة الله ولي ٥٦٨.

«واصل بن عطاء» أحد تلامذة «الحسن البصري» وظروف ظهور هذا المذهب جاءت على خلفية جدل ساخن دار بين التلميذ والاستاذ حول موضوع عقلي فما كان من الاستاذ إلّا أن يقوم بطرده من حلقة الدرس قائلاً له: «اعتزل عنّا»[١].

وقام التلميذ المطرود واصل بن عطاء بالقاء محاضرات في العقيدة والالهيات منطلقاً من التعاليم الفلسفيّة وهكذا تبلور مذهب جديد في الحياة الفكريّة عرف بـ «مذهب المعتزلة» أو «الاعتزال» وهو مصطلح مشتق من فعل «اعتزل».

ومن الطبيعي أن يقف مريدو الحسن البصري موقفاً عدائيّاً من مؤسّس المعتزلة ومن أتباعه.

ولا يحظىٰ الحسن البصري في الثقافة الاماميّة بأيّة مكانة بسبب ما ورد بشأنه من الذم في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وبالتالي فلا توجد صلة بينه وبين علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام ولطالما سعى في ابعاد الناس مذهبهم عليهم السلام.

وعليه فان حالة العداء الحاصلة بين المدارس الكلاميّة والمعتزلة لا يعود سببها إلى قيام الحسن البصري بطرد واصل بن عطاء مؤسّس «الاعتزال» بل لأنّ الذين يدينون بآراء الحسن البصري يعلنون عداءهم للمعتزلة ولأهل البيت عليهم السلام أيضاً بسبب موقف الحسن البصري السلبي من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

اضافة إلىٰ ذلك فقد تضاعفت حدّة العداء بين الأشاعرة والمعتزلة بعد تأسيس الفرقة الأشعريّة مدرستها الكلاميّة نسبة إلى زعيمها «أبو الحسن الأشعري» وقد وصلت مستويات الخصومة إلى حد اصدار الأشاعرة فتوىٰ بتحريم تعاليم

---

١. نبذة عن العلوم الاسلاميّة ٣٤ قسم الكلام.

المعتزلة الكلاميّة والحكم ببطلانها.

وهكذا استمر العداء والكراهيّة التي يحملها الأشاعرة ازاء المعتزلة ينتقل من جيل إلى جيل إلى أن وصل إلى «مولانا جلال‌الدين الرومي» و«شاه نعمة الله ولي الكرماني».

ومن هنا جاء نهي أهل البيت عليهم السلام شيعتهم عن أخذ عقائدهم من الآخرين والابتعاد عن الأفكار الغريبة المستوردة من قبيل «وحدة الوجود» ونظريّات التصوّف ذلك ان «وحدة الوجود» في ضوء تعاليم القرآن الكريم شرك محض.

ولذا فان مزاعم البعض بأن فلان العارف والصوفي قد أخذ أو اقتبس عقائده من القرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام كما يدّعي مؤلّف رسالة رفع الشبهات لا يغيّر من الواقع شيئاً فهو لا يستطيع اثبات ما يذهب إليه أبداً.

من هنا ينبغي للشيعة التزام الحذر واجتناب الصوفيّين أعداء أهل البيت عليهم السلام ورفض كلّ ما يطرحونه من أفكار وآراء في أُصول العقيدة الّا بعد التأكّد من صدورها عن أهل بيت الوحي عليهم السلام فهم وحدهم المطهّرون من وساوس الشياطين.

أمّا الآخرون وخاصّة اولئك الذين يصدرون آراءهم الذاتية حول الذات الالهيّة المقدّسة فانهم عادة ما يكونون عرضة لهجوم الشيطان يوحي إليهم بالأفكار الخطيرة ويلقي إليهم بالعقائد المنحرفة الباطلة وبالتالي تضليل أتباعهم.

والسؤال كيف نتحقّق من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في مضمار أُصول العقيدة؟

انّ مدرسة التشيّع في هذا المجال تتمتّع بالغنى والوفرة حيث تزخر الكتب الروائيّة بأحاديث أهل البيت الكرام في جميع المجالات غير انه في رأي أهل

العرفان لا يحق لشخص العارف الاهتمام بمثل هذه التعاليم وتعلّمها.

ذلك انه يقول كلّما ازداد المرء جهلاً ازداد ادراكه لذات الباري وازداد ادراكه للحقيقة، بل ان العقل والعلم حجاب ومانع كبير يحول دون الوصول إلى الحقيقة.

يقول بايزيد البسطامي وهو من زعماء العرفان والتصوّف الشهيرين:

«التصوّف صفة الحق ألبسها العبد.. ولا يزال العبد عارفاً مادام جاهلاً فاذا زال جهله زالت معرفته»[١].

ويقول شاه نعمة الله ولي:

إلى أن اخبر عنك

افقد خبري عنك[٢]

ويقول ابن عربي:

«فمن أراد العثور على هذه الحكمة الالياسية... فلينزل من حكم عقله إلى شهوته ليكون حيواناً مطلقاً حتّى يكشف ما تكشفه كلّ دابّة»[٣].

لهذا يحظر الصوفيّون على أتباعهم حضور حلقات الدراسة وطلب العلم لأنّ العلم حجاب كبير يحول دون معرفة الخالق تبارك وتعالى.

يقول ابن عربي:

«فما هو ذكرىٰ لمن كان له عقل»[٤].

ويقول شاه نعمة الله ولي:

---

١. كشكول الشيخ البهائي ١/١١٥. ٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ٧٤٦.

٣. فصوص الحكم ٤٢٦. ٤. المصدر السابق ٢٧٩.

دع العقل وكن عاشقاً

فمن العقل الدني وفاءً لن تجد[١]

ويقول صفي عليشاه وهو من مشاهير العرفان والتصوّف:

اولئك الذين سلكوا طريق العقل والبرهان ورحلوا

واولئك الذين انتهجوا العلم والايمان ورحلوا

لم يبحثوا واعين عن سرّ الوجود

جاءوا إلى الدنيا حيارىٰ وحيارىٰ رحلوا[٢]

هذا هو موقف جميع أهل العرفان والتصوّف من العقل والعلم وهو موقف يتناقض بشدّة مع ثقافة الاسلام.

يقول القرآن الكريم:

﴿ **وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾[٣].

ويقول أيضاً:

﴿ **إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لاَيَعْقِلُونَ** ﴾[٤].

كما نجد في أحاديث أهل البيت الكرام عليهم السلام تمجيداً للعقل وحثّاً على طلب العلم لهذا نجد في كتاب الكافي للشيخ الكليني باباً يختصّ بالعقل يشتمل على أحاديث أئمّة الهدى من آل محمّد صلى الله عليه وآله في تمجيد العقل سماه «باب العقل» وكتاب الكافي أحد الكتب الأربعة لدى الاماميّة.

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٥٦٠.

٢. عرفان الحق ١١٣.

٣. يونس: الآية ١٠٠.

٤. الأنفال: الآية ٢٢.

قال رسول الله ﷺ:

«مَا قَسَمَ اللهُ لِلْعِبَادِ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِ الْجَاهِلِ»[١].

وقال الامام موسى الكاظم عليه السلام:

«يَا هِشَامُ إِنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ فَقَالَ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»[٢].

«يَا هِشَامُ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُول»[٣].

وقال رسول الله ﷺ:

«أَكْثَرُ النَّاسِ قِيمَةً أَكْثَرُهُمْ عِلْماً وَأَقَلُّ النَّاسِ قِيمَةً أَقَلُّهُمْ عِلْماً»[٤].

وقال صلوات الله عليه و آله:

«مَنْ تَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ»[٥].

وقال ﷺ لأبي ذرّ:

«يَا أَبا ذرّ الْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ قِيَامِ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُصَلَّى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفُ رَكْعَةٍ وَالْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ أَلْفِ غَزْوَةٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مُذَاكَرَةُ الْعِلْمِ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ؟

---

١. الكافي ١/١٦؛ بحار الأنوار ١/٩٦.

٢. الكافي ١/١٤؛ بحار الأنوار ١/١٣٤؛ تحف العقول ٣٨٣.

٣. المصدر السابق.

٤. بحار الأنوار ١/١٦٤؛ معاني الأخبار ١٩٥.

٥. وسائل الشيعة ١٨/١٤.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ الْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ»(١).

وقال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ أَلا وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَوْجَبُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ»(٢).

وقال الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«عَالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ»(٣).

وهذا غيض من فيض ممّا ورد من الأحاديث والروايات عن أهل البيت عليهم السلام في تمجيد العقل والحث على طلب العلم الأمر الذي يبرز حالة التناقض بين توجّهات أهل العرفان وأهل التصوّف وتوجّهات أهل البيت عليهم السلام.

والآن لنتأمّل هذا الحديث الوارد عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في توصيف الشيعة الحقيقيّين لأهل البيت عليهم السلام:

«شِيعَتُنَا الْمُسَلِّمُونَ لِأَمْرِنَا الْآخِذُونَ بِقَوْلِنَا الْمُخَالِفُونَ لِأَعْدَائِنَا فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَّا»(٤).

فهل يمكن بعد كلّ هذه الأحاديث الشريفة اعتبار العرفاء والمتصوّفة من قبيل ابن عربي و«مولانا» صاحب المثنوي وشاه نعمة الله ولي ومن يتبنىٰ عقائدهم

---

١. بحار الأنوار ١/٢٠٣؛ جامع الاخبار ٣٧.

٢. الكافي ١/٣٠؛ بحار الأنوار ١/١٧٥؛ تحف العقول ١٩٩؛ وسائل الشيعة ١٨/١٢.

٣. الكافي ١/٣٣؛ بحار الأنوار ٧٨/١٧٣؛ وسائل الشيعة ١٦/٣٤٧.

٤. بحار الأنوار ٦٥/١٦٧؛ تحف العقول ١٧١؛ وسائل الشيعة ١٨/٧٣.

شيعة لأهل البيت عليهم السلام ؟!

ربما يخطر في ذهن البعض تساؤل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا سلك فلان وفلان هذا الطريق وهم بهذا المستوى من الادراك والفهم ؟!

والجواب: انه وفقاً لأحكام الاسلام القطعيّة حرمة التقليد في أُصول العقيدة إذ يتوجب على الانسان أن يعتنق عقيدته عن وعي كامل وادراك.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«كَلِمَتَانِ غَرِيبَتَانِ فَاحْتَمِلُوهُمَا كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفِيهٍ فَاقْبَلُوهَا وَكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكِيمٍ فَاغْفِرُوهَا»[١].

وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«لا يُعْرَفُ الْحَقُّ بِالرِّجَالِ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه»[٢].

وقال سلام الله عليه:

«إنَّ دِينَ اللهِ لا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ فَاعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه»[٣].

ان ما ورد من أحاديث شريفة في ذمّ الصوفيّة والنعي على من اتّبعهم قد بيّنت الأحكام الفقهيّة ذات الصلة بهم وهذا لم يحصل إلّا بعد أن استبان فساد وبطلان عقائدهم وقولهم «أنا الحق» «أنت الحق» وبالتالي أن الباري تجلّى بصور مخلوقاته وليس لاقتراف بعضهم المعاصي.

---

١. وسائل الشيعة ١١/٢١٢ كتاب الجهاد.

٢. بحار الأنوار ٤/١٢٦؛ الطرائف ١/١٣٦.

٣. بحار الأنوار ٦/١٧٨؛ وسائل الشيعة ٢٧/١٣٦.

يقول مؤلّف رسالة «رفع الشبهات»:

«ان بعض الفرق (الصوفيّة) لم يكن لها وجود أساساً من قبيل العشاقية والحلولية والاتحاديّة»[١].

ان إنكار مؤلّف الرسالة أن يكون للفرق المذكورة أعلاه وجود خارجي لن يجدي نفعاً في طمس الحقائق التاريخيّة.

يقول الشهيد مرتضى مطهري:

«ويقال ان عرفاء خراسان في الغالب كانوا من «الملامتية» ويعتقد ان حافظ منهم أيضاً».

ويقول المرحوم الشيخ الحرّ العاملي رضوان الله عليه صاحب كتاب وسائل الشيعة في باب ابطال التصوّف وذمّه:

«وجميع الشيعة أنكروهم (أي الصوفيّة) ونقلوا عن ائمّتهم أحاديث كثيرة في مذمّتهم وصنّف علماء الشيعة كتباً كثيرة في ردّهم وكفرهم منها كتاب الشيخ المفيد في الردّ على أصحاب الحلّاج وذكر فيه انّ الصوفيّة في الأصل فرقتان حلوليّة واتحاديّة»[٢].

وقال المحدّث القمي رضوان الله عليه:

«وقال (ابن الجوزي) وقد تسمّىٰ قوم من الصوفيّة بالملامتية فاقتحموا الذنوب، فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين»[٣].

---

١. رسالة رفع الشبهات ٤٣.
٢. الاثنا عشريّة ٥٣.
٣. سفينة البحار ٢/٦٣.

وهذا يكفي لتفنيد ما قاله مؤلّف رسالة رفع الشبهات في نفيه وجود الفرق الصوفيّة الثلاث الآنفة الذكر.

يقول مؤلّف الرسالة:

«ولكن هناك من اتّبعوا الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام وكان لهم شرف الامتثال لأهل البيت عليهم السلام في أخذ عقائدهم من معدن العلم وأهل الوحي والرسالة والحكمة وثبتوا على عقيدتهم ولم ينحرفوا عنها»[١].

وهذا مجرّد ادّعاء فارغ؛ ذلك انه كما أشرنا سابقاً ان مؤسّس الفرقة «النعمة الهية» نفسه أشعري المذهب وصوفي وجميع الصوفيّة أعداء لأهل البيت عليهم السلام فكيف يأخذ العلم والمعرفة عن آل النبي صلى الله عليه وآله.

ان مهمّته الوحيدة هي نشر وترويج تصوّف ابن عربي ونقله من اسبانيا إلى إيران ودمجه مع التصوّف الايراني كما جاء في مقدّمة ديوانه[٢].

ومن المؤكّد ان زعيم هذه الفرقة في الوقت الحاضر وهو مؤلّف رسالة رفع الشبهات لا يمكن أن يكون غيره يعني انه يسير على خطى شاه نعمة الله ولي في العمل على تزريق اذهان بسطاء الناس بتصوّف ابن عربي متّخذاً من أهل البيت غطاءً في تمرير الأفكار الصوفيّة لهذه الفرقة وما المدائح في شأن أهل البيت عليهم السلام إلّا خطط تكتيكيّة لتحقيق هدف استراتيجي.

وإلّا أين وجه الشبه بين فكر أهل البيت عليهم السلام وأفكار هذه الفرقة الصوفيّة؟!

وقد أشرنا في ما مضىٰ إلى انه لا يوجد حتّى حديث واحد لأهل البيت عليهم السلام في

---

١. رسالة رفع الشبهات ٤٢.

٢. ديوان شاه نعمة الله ولي كرماني ١٠.

تأييد الصوفيّة وامتداح التصوّف؛ وفي المقابل تزخر كتب الحديث بانتقادهم وذمهم جميعاً سنّة وشيعة على حدّ سواء.

ان العلوم الوحيانيّة لأهل البيت عليهم السلام هي المعيار الوحيد والدقيق في تمييز الصحيح من غير الصحيح في مضمار العقائد والأفكار وفي غير هذه الحالة فان أتباع هكذا العقائد إنّما هو اتباع للأهواء النفسيّة التي تفضي إلى الضياع والضلال بالرغم من الاحساس الذي يخامر الانسان الضال بأنّه يسير في الطريق الصحيح وهو احساس باليقين الكاذب فتتولّد لديه قناعة راسخة بأنّه على الحق!

﴿فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾[1].

وقد جاء في حديث للامام علي الهادي عليه السلام قوله:

«الصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا»[2].

واذن فالتصوّف منهج يختلف عن منهج أهل البيت عليهم السلام وكلّ الطرق الصوفيّة تنتهج طرقاً مناقضة لطريق أهل البيت عليهم السلام، ولذا فان المزاعم في أخذ العقائد من أهل البيت عليهم السلام لدى بعض الصوفيّين كاذبة تماماً.

ان تعبير كلّهم يفيد الاطلاق الذي يشمل جميع اشكال وطرق الصوفيّة سنّة وشيعة.

انّنا نجد في أحاديث الأئمّة الأطهار استخدام بعض المصطلحات التي تشير في الدلالة إلى أتباع أهل البيت من قبيل: الشيعة، الاماميّة، الرافضة، الاثنا عشريّة

---

١. الأعراف: الآية ٣٠.
٢. سفينة البحار ٢/ ٥٨.

وامثال ذلك الّا انّنا لم نجد حديثاً يوحي بالدلالة على الصوفيّة كفرقة اسلاميّة، ما نجده هو أحاديث في ذمّهم والتحذير من الاتّصال بهم والأخذ عنهم!

وهذا ما يدلّ علىٰ بطلان عقائدهم التي لا يعدو كونها من الخرافات والأوهام والتي تتناقض بشدّة مع العلوم الوحيانيّة القرآنيّة.

ولنفترض ان الذم الوارد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام لا يشمل صوفيّة الشيعة وهو ليس كذلك لأن الفقه الاسلامي الامامي يوجب التزام جانب الاحتياط في التعامل مع الصوفيّة وينهىٰ عن الاقتراب منهم حتّى لو كانوا محسوبين على الشيعة؛ ذلك ان النهي الصادر عنهم عليهم السلام هو نهي عام مثلما كان ذمّهم أيضاً إذ لا يوجد استثناء لفرقة من فرقهم.

فلو كانت فرقة من فرق الصوفيّة على حق لكان لها استثناء في أحاديث الأئمّة لأن في طليعة مهامهم هي هداية الناس إلى الحق.

يقول مؤلّف رسالة رفع الشبهات:

«ان التعميم في ذم جميع أفراد فرقة ما بسبب وجود بعض الطالحين بينهم أمر يخالف الوجدان والانصاف والشريعة»[1].

ان أهل البيت عليهم السلام وعلماء الاماميّة عندما يصرّون علىٰ موقفهم من التصوّف وذم الصوفيّة فانّهم يفعلون ذلك لفساد عقيدتهم والترويج للبدع المضلّة.

وعندما يذمّ القرآن الكريم الكفّار والمشركين فان ذلك بسبب فساد وبطلان عقائدهم لا لوجود أفراد طالحين بينهم وهكذا الأمر بالنسبة للصوفية، فحتىٰ لو

---

١. رسالة رفع الشبهات ٤٤.

اقتصر أمرهم في اثارة الشبهات للزم الحذر واتّخاذ جانب الاحتياط في التعامل معهم.

ذلك ان «**الْوُقُوفَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ خَيْرٌ مِنَ الاقْتِحَامِ فِي الْهَلَكَاتِ**»[١].

جاء في رسالة رفع الشبهات:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

«من أصل الاسلام أن تكف عمّن قال لا إله إلّا الله ولا تكفره بذنب»[٢].

حقاً لا يجوز تكفير الانسان بسبب ارتكابه ذنباً وان أحداً لم يكفّر الصوفي بسبب ارتكابه المعصية من قبيل شرب الخمر ان ما يوجب التكفير هو فساد العقيدة.

﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلْ ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٣].

ان كلّ من يطرح عقيدة تناقض عقيدة التوحيد فهو كافر وهذا حكم قطعي.

يقول ثامن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«**مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ الصُّوفِيَّةُ وَلَمْ يُنْكِرْهُمْ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَكَأَنَّمَا جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله**»[٤].

واذن فان استنكار التصوّف والصوفيّة والردّ عليهم لم يكن بسبب ارتكاب أحد أفرادهم للمعاصي وإنّما بسبب الانحراف العقائدي وانشقاقهم عن مسار الاسلام الفكري.

---

١. بحار الأنوار ٢/٢٢٠؛ الكافي ١/٦٨؛ وسائل الشيعة ٢٧/١٠٦٧.

٢. رسالة رفع الشبهات ٤٧.

٣. البقرة: الآية ١٠٨.

٤. الاثنا عشرية ٣٢.

ورد في الحديث أعلاه ان من يردّ على الصوفيّة ويستنكرهم فكأنّما يجاهد الكفار بين يدي النبي ﷺ وتحت رايته؛ ماذا يعني ذلك انه يعني ان رسول الله ﷺ كان يجاهد الكفّار من أجل نشر عقيدة التوحيد ومكافحة كلّ اشكال الشرك والعقائد الباطلة الفاسدة.

من أجل ذلك فانّ الامام الرضا يدعو المسلمين الموحدين إلى الوقوف بوجه العقائد الفاسدة التي تتناقض مع عقيدة التوحيد من قبيل مقولة الصوفيّة عن الذات المقدّسة: «هو كلّ الأشياء» وانه تعالىٰ عمّا يقولون ظهر بصورة المخلوقات وهذه عقائد الزنادقة.

يقول مؤلّف الرسالة:

«في هكذا أخبار على عكس أخبار أدلّة السنن التي يمكن التسامح فيها فانه يجب التدقيق والتحقيق وما لم يتم الوصول إلى درجة اليقين فلا ينبغي اصدار أحكام التكفير والتفسيق»[١].

أجل ان الانسان حرّ في ما يعتنق من العقائد ولا يحق لأي كان الاعتراض على عقائد الآخرين؛ ولكن أليس اطلاق المزاعم في ان العقيدة الفلانيّة مستقاة من شريعة الاسلام في حين أن حملة رسالة الاسلام يحذرون الامة من هؤلاء المدّعين.

اننا نرىٰ النبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام قد ذموا الصوفيّة من خلال أحاديثهم الشريفة ولم يكن ذمّهم بسبب ارتكاب بعضهم الذنوب وإنّما بسبب ما يحملونه من

١. رسالة رفع الشبهات ٥٥.

العقائد التي لا تنسجم بل وتتناقض مع العقيدة الاسلاميّة.

يقول المرحوم الشيخ الحرّ العاملي وهو من كبار المحدّثين في الاسلام:

«إجماع الشيعة الاماميّة واطباق جميع الطائفة الاثني عشريّة علىٰ بطلان التصوّف والردّ على الصوفيّة من زمن النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام إلى قريب من هذا الزمان ومازالوا ينكرون عليهم تبعاً لأئمّتهم في ذلك»[١].

وعليه فانّ الشيعة في ردّهم على الصوفيّة ورفض عقائدهم وأفكارهم إنّما يسيرون على خطى النبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام وهم في موقفهم القاطع لم يستثنوا فرقة من فرقهم ولا طائفة من طوائفهم؛ وقد جاء في أحاديثهم «**الصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا**»[٢]. فكيف يزعم حبّ آل الرسول ﷺ ويدّعي اتباعهم والسير في هداهم ثمّ ينتظم داخل فرقة من فرق الصوفيّة؟! أو تنفذ في أعماقه فكرة باطلة من أفكارهم وعقيدة فاسدة من عقائدهم على نحو ما.

ولنفترض ان عقائد الصوفيّة حق فكيف سوغوا لأنفسهم قبول لقب الصوفيّة وهم يعلمون ان رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة قد ذموهم أليس في هذا دليل على انهم لا يكترثون لأهل البيت عليهم السلام وكسب رضاهم؟! ورضا أهل البيت يعني رضا الله عزّوجلّ.

فهل يعقل من شخص يدّعي حب أهل البيت عليهم السلام وينتخب لنفسه اسماً من أسماء أعداء الله من قبيل أبو لهب وأبو جهل ومعاوية ويزيد وشمر؟!

حتّى لو قيل له ان انتخاب هكذا أسماء لا يعدّ دليلاً على عدم الايمان بالقرآن

---

١. الاثنا عشريّة ٤٤.
٢. سفينة البحار ٢/ ٥٨.

الكريم وسنة النبي الأكرم ﷺ.

فانه سوف يقول:

انّ روحي وبدني ممتزج بحب أهل البيت عليهم السلام فكيف أنتخب لنفسي وأبنائي أسماء أعداء الله وبينما المطلوب مني اعلان البراءة منهم؟! ان قلبي لا يطاوعني في ذلك أبداً ان هذا يؤلم قلوب آل محمّد ﷺ.

لهذا فانّ الشيعة يجتنبون من يطلق على نفسه اسم الصوفي لأن أهل البيت يعتبرون الصوفيّة أعداءً لهم.

وقد جاء في الحديث الشريف عن صادق آل محمّد ﷺ الامام جعفر الصادق عليه السلام هذه الرواية:

«الْبَزَنْطِيِّ عَنِ الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: قَدْ ظَهَرَ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ الصُّوفِيَّةُ فَمَا تَقُولُ فِيهِم؟

قال ـ صلوات الله عليه ـ انّهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون أقوام...»[١].

وهل يوجد تصريح أكثر من هذا «انّهم أعداؤنا».

ولقد عمدت الحكومات الجائرة للامويّين والعباسيّين ومن أجل الحؤول دون انتشار المعارف الاسلاميّة الحقّة إلى ترجمة الفلسفات والعقائد والأفكار اليونانيّة القديمة ونقلها إلى داخل الحياة الفكريّة في البلاد الاسلاميّة لتظهر بثوب جديد تحت شعار العرفان والفلسفة الاسلاميّة.

---

١. مستدرك الوسائل ٢/٣٢٣.

ومنذ وقت مبكر جدّاً كان الحاكمون يعملون جاهدين لفصل الأُمّة والمجتمع المسلم عن أهل البيت عليهم السلام حملة العلوم الوحيانيّة وقد نجحوا أيما نجاح من خلال ظهور المدارس الفلسفيّة ومن خلال ظهور الفرق الصوفيّة في الحياة الفكريّة.

وسيأتي الحديث حول هذا الموضوع في الفصل الخاص بالفلسفة والكلام.

أجل لقد تعاضدت القوى الشيطانيّة ومتابعة الأهواء النفسيّة وجرّت المجتمع المسلم إلى ميادين البحث في معرفة الله من دون الرجوع إلى مرجعيّة صالحة تفصل في قضايا العقيدة وكانت النتيجة ضياع في متاهات الفلسفة وتخبط في تيارات فكريّة بعيدة عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام حملة العلوم القرآنيّة فكانت الفوضىٰ والتشتّت واقع أكثريّة الأُمّة.

قال تعالى:

﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[1].

﴿أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3].

يقول مؤلّف رسالة رفع الشبهات:

«وعليه وبناءً على أخبار هي خلاف الأخبار المذكورة أعلاه (يعني الأخبار الواردة في ذمّ الصوفيّة) وردت في مدح التصوّف ونقلها كبار من العلماء من قبيل ابن أبي جمهور الاحساوي وغيره فانه ينبغي مراجعتها واتّخاذ أُسلوب الاحتياط

١. المائدة: الآية ١٠٣. ٢. الأنعام: الآية ٣٧.

٣. هود: الآية ٤٠.

أو قانون التعادل والتراجيح، من قبيل الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ:

«من سرّه أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوّف»[١].

ان الماماً بعلم الفقه ولو كان قليلاً يكفي في إثبات عكس ما يدّعيه مؤلّف الرسالة.

ان استخدام قانون التعادل والتراجيح يحصل عندما تتعادل الروايات الواردة حول موضوع من دون رجحان لطرف على آخر.

فمن اصول الفقه:

«وإنّما يحصل التعادل مع اليأس من الترجيح بكلّ وجه».

وعليه فان ذكر مورد أو موردين والنقل عن كتب الصوفيّة من قبيل كتاب «مجالس المؤمنين»[٢] وقد عرف عن الصوفيّة تجويزهم وضع الحديث ونسبته إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام والاعراض عن الأحاديث الكثيرة في ذمّ الصوفيّة في الكتب الروائيّة الشيعيّة دليل على عدم اطّلاع مؤلّف الرسالة على أُصول الفقه.

وفيما يخص وضع الصوفيّة للحديث ونسبته إلى أهل البيت وتجويزهم ذلك يقول الشيخ الحرّ العاملي رضوان الله عليه:

«وقال الشهيد الثاني رحمه الله في شرح بداية الدراية: ذهب الكرامتيه وبعض المبتدعين من الصوفيّة إلى جواز وضع الحديث للترغيب والترهيب ترغيباً للناس في الطاعة وزجراً عن المعصية»[٣].

---

١. رسالة رفع الشبهات ٥٥.

٢. لمعرفة المزيد من التفصيل حول هذا الكتاب انظر كتاب الذريعة ١٩ / ٣٧٠.

٣. الاثنا عشريّة ٢٦.

ووفقاً لتعاليم أهل البيت عليهم السلام انه يجب نبذ الأحاديث وروايات الآحاد التي تعارض القرآن الكريم والروايات القطعيّة الصدور؛ واذن فان التمسّك بهكذا أحاديث عمل يرفضه الشارع والعقل فهل رأيتم في الكتب الروائيّة المعتبرة للاماميّة والتي تشتمل على جميع العقائد والآراء وحتّى الفقه والأحكام العمليّة التي تنهض على تلك الروايات المنقولة فيها؛ حتّى ولو رواية واحدة فيها ذكر للتصوّف والصوفيّة وتأييد لهم؟!!

ان كلّ ما ورد من روايات بشأن الصوفيّة هي في ذمّهم وذمّ عقائدهم!

يقول الشهيد مرتضى مطهري:

«انه من المسلّم به انه لا توجد جماعة بين المسلمين تحمل اسم العرفان والصوفيّة في القرن الأوّل للهجرة على الأقل وان اسم الصوفيّة ظهر في القرن الثاني للهجرة»[١].

يكفي حديث الامام الصادق عليه السلام في مؤسس فرقة الصوفيّة «أبو هاشم الكوفي» في تكوين صورة عن ماهيّة التصوّف[٢].

يقول مؤلّف رسالة رفع الشبهات:

«وما يثير العجب ان أحد المغرضين يقول ان في سند بعض الأحاديث الواردة في مدح الصوفيّة ضعف أمّا أخبار الذم فقطعيّة الصدور، وحتّى لو افترضنا صحّة ذلك فانه الذم يتعلّق بأهل السنّة من الذين اطلقوا على أنفسهم اسم الصوفيّة الّا ان (الكاتب) عمم ذلك ليشمل الصوفيّة من الشيعة مستنداً إلى أوهامه وتصوّراته.

---

١. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، قسم العرفان ٩٥؛ نفحات الانس ٣١؛ مصباح الهداية ٨٦.

٢. انظر سفينة البحار ٢/ ٥٧.

ومثله مثل الأحاديث الواردة في ذم علماء السنّة فنقوم بتعميم هذه الأحاديث على علماء الشيعة أيضاً؛ في حين انه عكس ذلك وان علماء الشيعة الخلّص كانوا موضع مدح أئمّة أهل البيت عليهم السلام وان كلّ ما ورد عن أئمّة الهدىٰ من أهل البيت عليهم السلام هو حول علماء وصوفية أهل السنّة»[١].

أقول ما هو موقفنا من الروايات التالية:

ـ قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفيّة فما تقول فيهم؟

قال عليه السلام: انّهم اعدائنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم؛ وسيكون أقوام يدّعون حبّنا ويميلون إليهم ويتشبّهون بهم ويلقّبون أنفسهم ويأوّلون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم، فليس منّا وإنّا منهم براء ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

أليس في هذا الحديث اشارة إلى بعض الصوفيّة الذين يدّعون حبّ أهل البيت عليهم السلام؟!

ـ قال الامام علي الهادي عليه السلام: «**الصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا**»[٣].

أليس في هذا الحديث اطلاق على جميع فرق الصوفيّة شيعة وسنّة ان كلّ من لديه المام بسيط باللغة العربيّة تتبيّن له هذه الدلالة بكلّ وضوح وهي أن الحديث يشمل كل أنواع الصوفيّة وفرق التصوّف ولو كان هناك من استثناء لفرقة من فرقهم

١. رسالة رفع الشبهات ٥٦.
٢. سفينة البحار ٢/٥٧.
٣. سفينة البحار ٢/٥٨.

لكان الامام قد أشار إليها وهو الامام الهادي الذي تقع عليه مهمّة هداية الناس إلى الحق؛ كما هو الحال في الاشارة إلى حقانيّة الشيعة الاثني عشريّة.

فمن كان في قلبه ذرّة ايمان ويعرف لغة أهل البيت عليهم السلام فانّه لا يردّ أحاديثهم الكثيرة الواردة في كتب الحديث المعتبرة ويشكّك في صحّتها في ما يخصّ ذمّ الصوفيّة وفساد عقائدهم، فيدع كلّ هذه الأحاديث الصحيحة ويتشبّث بحديث أو حديثين موضوعين لفقهما الصوفيّة وضمنوا كتبهم بهما من أجل تبرير ما هم عليه من البطلان والحفاظ على أتباعهم.

ان هذا العمل في ضوء الشريعة ذنب عظيم غير انه من الصعب عليهم الاذعان للحقيقة وقبول ما ورد من معارف قرآنيّة على لسان أهل البيت عليهم السلام حملة علوم الكتاب العزيز:

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[١].

وقد تساءل أحد أصحاب الامام الهادي عليه السلام لما سمعه يهاجم الصوفيّة ويصفهم بالمخادعين وحلفاء الشيطان قائلاً: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟!

فنظر الامام الهادي عليه السلام إليه نظرة فيها غضب وقال: دع ذا منك! من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا!

واذن فان جميع الصوفيّة هم متمرّدون على أهل البيت عليهم السلام ولم يستجيبوا لأوامرهم ولم ينتهوا.

وقد طلب منّا أهل البيت أن نستنكر الصوفيّة ونرفض آراءهم وأفكارهم

---

١. يونس: الآية ٧٤.

ونهجهم في الحياة لكي نؤكّد تشيعنا لأهل البيت الكرام:

«مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ الصُّوفِيَّةُ وَلَمْ يُنْكِرْهُمْ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَكَأَنَّمَا جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»[١].

ولا ننسىٰ ان الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام كانوا مراقبين وكان الحكام يضيّقون عليهم ولم يكن بوسعهم في أغلب الأحيان اعلان موقفهم ممّا يجري على الصعيد السياسي والثقافي خاصّة وأن أجهزة الدولة كانت ترعىٰ مباشرة مشاريع ثقافيّة كبرى من قبيل الترجمة وترصد لها ميزانيّة ضخمة من بيت المال والخزانة العامّة.

ألم يكن الامام الصادق مضطرّاً لأن يخاطب المنصور الدوانيقي بلقب أميرالمؤمنين؟! ونحن نعرف ان هذا اللقب مختصّ بالامام علي عليه السلام وهكذا بالنسبة للامام الرضا والجواد والهادي والعسكري صلوات الله عيهم أجمعين؟

ينبغي ألّا ننسى الظروف التي كان يعيش فيها أئمّة أهل البيت عليهم السلام وانّهم لم ينعموا يوماً بالحريّة في التعبير عن آرائهم والاعلان عن مواقفهم، من أجل ذلك كانوا يحدّثون أصحابهم المقرّبين وربما طلبوا منهم الكتمان، فطالما حدّث المعصوم حديثاً وأسرّه لأحد أصحابه وقال له: «فاكتمه».

ومع كلّ هذه السرية والحذر في نشر علوم القرآن فانهم لم يسلموا من الاغتيال والاعتقال!

أجل لم يكن بوسع الامام الكاظم عليه السلام أن يعلن معارضته لترجمة كتاب «الأثولوجيا» ونشر أفكاره الفاسده في صفوف المجتمع المسلم وقد قيل انّ

---

١. الاثنا عشرية ٣٢.

الناس على دين ملوكهم وكان الظاهر ان الخليفة الحاكم يمثّل الامام لدى الرأي العام.

لهذا فان مشاريع الترجمة التي نقلت تلك الأفكار الغريبة على ثقافة الاسلام لم يكن بوسع الامام عليه السلام معارضتها ان أقصى ما يمكن أن يقوم به هو التصريح ببطلان أفكار الزندقة وعلى نطاق محدود يشمل احياناً دائرة ضيقة من الأصحاب.

ان من أرّخ للفكر عن تلك الفترة يؤكّد ان التصوّف والعرفان ظهر في الحياة الاسلاميّة بعد ترجمة كتاب الاثولوجيا الذي بعث الروح في الثقافة الفارسيّة السائدة قبل الاسلام وتزريق التصوّف الايراني به ودور ابن عربي وأمثاله في ذلك ليظهر التصوّف الاثولوجياني في صميم الحياة الفكريّة للبلاد الاسلاميّة.

ـ وأمّا قول مؤلّف الرسالة:

«انّ علماء الشيعة الحقيقيّين كانوا مورد مدح الأئمّة عليهم السلام وأن ما ورد من ذمّ عن أئمّة الهدى عليهم السلام فهو حول علماء الصوفيّة من أهل السنّة».

والسؤال هنا هل كان علماء الشيعة علماء حقيقيّين دون استثناء؟ وما أكثر العلماء من الشيعة من تمسّك بآراء وعقائد الآخرين فانحرفوا عن الصراط المستقيم وحرموا من معارف أهل البيت عليهم السلام لقد ورد العديد من الروايات في ذمّ علماء السوء يكفي أن يراجع المرء موسوعة بحار الأنوار ليجد الكثير من الروايات في ذمّ علماء السوء مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام قد بلغت من الكثير ان عمد المؤلّف رحمه الله إلى أن يفرد لها باباً تحت عنوان: «ذمّ علماء السوء ولزوم التحرّز منهم» والروايات في هذا الباب وعلى خلاف ما ذهب إليه

مؤلّف الرسالة لم تكن في ذمّ علماء أهل السنّة فقط وإنّما تشمل جميع علماء السوء.

وفيما يلي طائفة من هذه الأحاديث:

ـ قال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«قَطَعَ ظَهْرِي رَجُلانِ مِنَ الدُّنْيَا رَجُلٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ فَاسِقٌ وَرَجُلٌ جَاهِلُ الْقَلْبِ نَاسِكٌ هَذَا يَصُدُّ بِلِسَانِهِ عَنْ فِسْقِهِ وَهَذَا بِنُسُكِهِ عَنْ جَهْلِهِ فَاتَّقُوا الْفَاسِقَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْجَاهِلَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ»[١].

«قَصَمَ ظَهْرِي عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ»[٢].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«أَلا إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ»[٣].

وقال صلوات الله عليه وآله:

«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ يَقُولُ أَنَا رَئِيسُكُمْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ الرِّئَاسَةَ لا تَصْلُحُ إِلَّا لِأَهْلِهَا فَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤].

وقال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلّالٍ

---

١. بحار الأنوار ٢/١٠٦.

٢. بحار الأنوار ٢/١١١؛ شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٨٤.

٣. بحار الأنوار ٢/١١٠؛ منية المريد ١٣٧.

٤. بحار الأنوار ٢/١١٠؛ تحف العقول ٤٣؛ عيون أخبار الرضا ١/٣٠٧؛ الكافي ١/٤٧.

وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حِبَالِ غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ مِنَ الْعَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ وَيَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ لا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»[١].

وهذا الكلام البليغ العميق الأنوار ينطبق علىٰ فلاسفة الإسلام وزعماء التصوّف؛ ذلك ان الفلسفة والعرفان الصوفي لا صلة لهما بالاسلام من قريب ولا من بعيد ولا يوجد لهما وجه مشترك مع الدين الاسلامي الحنيف.

انّ التصوّف ما هو إلّا ثقافة ايرانيّة قديمة ترتبط بالديانة الزرداشتيّة التي تتناقض مع ثقافة الاسلام.

وفيما يلي بعض الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بشأن التصوّف والصوفيّة اضافة إلى بعض النصوص من مؤلّفات الصوفيّة التي تثبت أنّهم يتبنون آراء ومقولات تتصادم مع الدين الاسلامي الحنيف.

يقول الامام الحسن العسكري عليه السلام:

عُلَمَاؤُهُمْ شِرَارُ خَلْقِ اللهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى الْفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ وَايْمُ اللهِ إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعُدُولِ وَالتَّحَرُّفِ يُبَالِغُونَ فِي حُبِّ مُخَالِفِينَا وَيُضِلُّونَ شِيعَتَنَا وَمُوَالِينَا إِنْ نَالُوا مَنْصَباً لَمْ يَشْبَعُوا عَنِ الرِّشَاءِ وَإِنْ خُذِلُوا عَبَدُوا اللهَ عَلَى الرِّيَاءِ أَلا إِنَّهُمْ قُطَّاعُ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ وَالدُّعَاةُ إِلَى نِحْلَةِ الْمُلْحِدِينَ فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَحْذَرْهُمْ وَلْيَصُنْ دِينَهُ وَإِيمَانَه»[٢].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٢. حديقة الشيعة ٥٦٢؛ سفينة البحار ٢ /٥٧؛ الاثناعشريّة ٣٣؛ مستدرك الوسائل ١١ /٣٨٠.

وهذه الرواية صريحة جداً يدرك من خلالها الانسان العاقل ان أهل البيت لم يكونوا ينظرون إلى جميع فرق التصوّف بارتياح هذا محي الدين بن عربي ينكر واقعة الغدير مع ان كتب التاريخ والحديث والتفسير تذكرها وتوثقها.

والغزالي يحرم لعن يزيد ولعن قتلة الحسين.

يقول الامام عليه السلام في بقيّة خطبته الآنفة الذكر:

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلا تَقُولُوا بِمَا لا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُون»[1].

ويستطرد مؤلّف رسالة رفع الشبهات كلامه قائلاً:

«وفي هذه الحالة نرى قسمين من الأخبار يعارض أحدهما الآخر، وعلى افتراض عدم العمل بالاحتياط توجب الجمع بينهما فاذا كانت هذه المجموعتان من الأخبار من حيث الصحّة والضعف مترادفتين وجب الرجوع إلى قانون التعادل والتراجيح فأيّهما أصحّ تمسكنا به».

وقد ذكرنا آنفاً ان العمل بهذا القانون (قانون التعادل والتراجيح) لا يصحّ إلّا في حالة تعادل كفتي الأخبار.

أمّا في حالة وجود أخبار الآحاد في مقابل وجود أحاديث بلغت مستوىٰ التواتر فانّ التمسّك بالحديث المتواتر واجب وهو من أُصول الفقه.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

وعليه فانّ التمسّك بخبر الواحد أو بخبرين (حتّى على افتراض صحّتهما) وردا في كتب غير معتبرة وغير مشهورة ومن تلفيق الصوفيّين أنفسهم وهم يجيزون وضع الحديث فهو دليل علىٰ تغليب الأهواء والنزعات الشيطانيّة على أحكام الشريعة والعقل وهو من الذنوب الكبيرة!

يقول مؤلّف الرسالة مستطرداً:

«وعلى فرض صحّة الأخبار (في ذمّ الصوفيّة) فانّ المراد أعداء أهل البيت ممّن انتحلوا اسم التصوّف»[١].

ان حديث الامام الصادق عليه السلام واضح إذ قال: انّهم أعداؤنا.

وقول الامام الهادي عليه السلام:

«الصوفيّة كلّهم من مخالفينا وطريقتهم مغايرة لطريقتنا»[٢].

ومن الواضح ان الأئمّة الأطهار عليهم السلام إنّما يقصدون جميع فرق الصوفيّة سواء كانوا من السنّة أو الشيعة.

إنّ جميع المذاهب السنيّة تقف موقفاً سلبيّاً من أهل البيت عليهم السلام وترفض أن تكون للأئمّة من آل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الخلافة والولاية بعد الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة.

وفيما يخصّ الصوفيّة فان أحاديث أهل البيت عليهم السلام في ذمّهم جاءت بسبب فساد عقائدهم وقولهم بـ«وحدة الوجود» يعني اتّحاد الخالق والمخلوق وهذه الفكرة هي الأساس الذي تنهض عليه جميع فرق الصوفيّة بما في ذلك الصوفيّون من الشيعة.

---

١. الرسالة ٥٩. ٢. سفينة البحار ٢/ ٥٨.

وفيما يخصّ فكرة «توحيد الأفعال» وقولهم ان كلّ فعل يقوم به الانسان فان الفاعل الحقيقي هو الله حيث يقول مؤلّف الرسالة:

«وهذا هو معنى التوحيد أو توحيد الأفعال بمعنى ألا يرى في العالم فاعل ومؤثّر إلّا الله حيث «لا حول ولا قوّة إلّا بالله... بل أبعد من هذا وهو ألاّ يرى في العالم موجوداً حقيقيّاً إلّا ذات الحق حيث «لا هو إلّا هو»[١].

وهذا ما نراه في أشعار شاه نعمة الله أيضاً:

الفاعل ومن له المقاليد واحد

والحقيقة ليس في العالم إلّا فعله[٢]

ويترتّب على القول بوحدة الوجود والاتّحاد بين الخالق والمخلوق أن تكون الأفعال الصادرة من وجود واحد وإذا ما أطلقنا على هذا الوجود اسم الله فان كلّ الأفعال تكون في الواقع أفعاله!

يقول القيصري في بيان بعض نصوص ابن عربي في هذا المضمار:

«اسناد الفعل إلى العبد بأنّه فاعله فانه نتيجة غير صادقة لأنّ العبد قابل والقابل لا يكفي في حصول النتيجة بل لابدّ من فاعل والفاعل هو الله لأنّ العبد مجرّداً عن الوجود هو العدم ولا يتأتى منه فعل، ومع الوجود يقدر على ذلك والقدرة من لوازم الوجود والوجود هو الحق، فرجع الفعل إليه»[٣].

وكذلك يقول ملّاصدرا:

---

١. المصدر السابق ٧٠.
٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ٤٨٨.
٣. فصوص الحكم ٢٦٧.

«فاذن كما انه ليس في الوجود شأن إلّا وهو شأنه كذلك ليس في الوجود فعل إلّا وهو فعله... فهو مع غاية عظمته وعلوّه ينزل منازل الأشياء ويفعل فعلها»[١].

ويرى مولانا وحافظ انه من الأدب عدم اسناد الفعل القبيح لله غير ان الواقع هو فعل الله كما قال آدم:

﴿ربّنا ظَلَمنَا أَنْفُسَنَا﴾.

خلق الحق أفعالنا وموجدها

أفعالنا آثار خلق الرب

وقال الشيطان بما أغويتني

أخفى فعله الشيطان الدني

قال آدم قد ظلمنا أنفسنا

لم في غفلة من فعله مثلنا

ومن الأدب قد أخفى فعله

ناسباً ما فعل إلى نفسه[٢]

ويقول حافظ:

وإن كان ارتكاب الذنب بارادتنا حافظ

غير انه من الأدب أن تقول هو فعلي

لم يكن بارادتي أن أترك المسجد وأذهب للخرائب

١. الأسفار ٦/٣٧٣. ٢. المثنوي ٧٣.

لقد كان مكتوباً ذلك منذ الأزل

وهنا نسأل أهل العرفان والصوفيّة السؤال أدناه!

ـ بأيّ دليل جعلتم الوجود ربّكم ومعبودكم، هذا الوجود وفي ضوء عقيدتكم ينقسم إلى واجب وممكن مجرّد ومادي جوهر وعرض[١] وبالتالي ان الموجودات كلّها صادرة عنه؟!

فهل ان الله نفسه أخبركم ماهيّة ذاته؟ أين وكيف؟ أو انكم توصلتم عن طريق الكشف والشهود وهو أمر مبتدع ملفق أو انه ميراث الأجداد وعقائدهم الوثنيّة الضاربة في القدم وأشعارهم:

«كلّ ما هو موجود هو الاله»[٢].

«الوجود وحده واجب الوجود فقط وما عداه فأوهام وخيال»[٣].

قال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[٤].

واذن بفقدان الدليل والحجّة في انتخاب «الموجود» على انه المعبود والاله فمن المؤكّد ان الذين يعبدون الوجود هم من المشركين.

أضف إلى ذلك ان كلّ الأعمال والأفعال من حركة المجرّات والمنظومات في الفضاء إلى أدنى الحركات من قبيل حركة البعوضة أو أصغر من البعوضة تحتاج

١. مجلة «انديشه حوزه» عدد خاص عن المدرسة التفكيكيّة ١١٥.

٢. ناسخ التواريخ ٤/١٨٦ ج هبوط.   ٣. المصدر السابق ٣/٢٣٨.

٤. الحج: الآية ٧١.

إلى قدرة تؤمن الطاقة لجميع الحركات في العالم تماماً مثل الوقود الذي يتم تأمينه لجميع وسائل النقل.

فاذا لم يكن في العالم موجود الّا الخالق وان الخالق بحسب نظريّاتكم ظهر بصور مخلوقاته كما تعبّر عن ذلك مقولتكم:

«ليس في الدار غير ديّار» وتستندون في إثبات ذلك إلى العبارة أدناه:

«لا حول ولا قوّة إلّا بالله» وهذه الجملة أكبر دليل على بطلان عقيدتكم.

فلو صحت عقيدتكم فان صيغة العبارة يجب أن تكون كالتالي:

«لا حول ولا قوّة إلّا الله».

ان حرف «الباء» في العبارة هو لتأمين الطاقة والقدرة والقوّة والاستطاعة والحول في العالم بوسيلة أُخرى وهي «الله» وليس كونه عين هذه القدرة والحول.

ان الطاقة الكهربائيّة التي يتمّ توزيعها على المنازل والمعامل إنّما مصدرها المولّد الكهربائي فالأجهزة الكهربائيّة تعمل بالطاقة الكهربائيّة أي بالمولّد الكهربائي الذي يجهزها ولو لا المولّد ما أمكنها العمل فهل يمكن القول ان الأجهزة الكهربائيّة هي ذاتها المولّد.

وهذا معنى «لا حول ولا قوّة إلّا بالله».

ومعنى بحول الله وقوتّه أقوم وأقعد.

ومن هنا يتبيّن بطلان فكرة وحدة الوجود لأن قولنا «بحول الله» يعني اثبات الغيريّة لمستهلك الطاقة والفصل بينه وبين مصدر هذه الطاقة.

واذن فان مصدر الطاقة والقدرة والحول وضع تحت تصرّف الانسان

والمخلوقات؛ هذه القدرة وهذه الطاقة ولأن نظام التكوين يمتلئ بطاقة وقدرة تفوق التصور فان خالق هذه القدرة قدير مطلق القدرة من دون وجه اشتراك معنوي لقدرته مع القدرة السائدة والنافذة في الكون هذه القدرة التي نتملك عنها فهمنا وتصوّرنا.

واذن فالقول «بالله» يثبت بأن وجود الكائنات هو غير ذات الله الذي هو مصدر الحول والقوّة والقدرة اللازمة لاستمرار نظام التكوين وحيث الانسان أحد مفرداته وعناصره.

ان الله تعالى خلق الانسان ووضع تحت تصرّفه القوّة والقدرة اللازمة من أجل أن يعيش فترة محدودة في الحياة الدنيا وينتخب طريقه في الحياة وبالتالي العبور من خلال هذا الجسر الدنيوي إلى مقرّه الأبدي فاذا استخدم الانسان هذه الطاقة وعاش حياته بطريقة تحقّق الرضا الالهي فهو عبد صالح وإلّا فهو عبد طالح والخيار يعود للانسان.

فاذا كانت الأفعال صالحها وطالحها جميلها وقبيحها مصدرها الخالق فما معنى الترغيب للقيام بالأعمال الصالحة والتحذير والنهي عن القيام بالأعمال الطالحة؟!

وما معنى الوعد بالجنّة لمن يقوم بصالح الأعمال وتوعّد من يرتكب الأعمال القبيحة بالعذاب الأليم؟

هكذا يقول الصوفيّة بقولهم: انه ليس لنا عمل صالح وطالح أساساً ومن يعمل خلاف رضا الله لا وجود خارجي له وأنّ الشمر والامام الحسين عليه السلام كلاهما على الصراط المستقيم، وبالتالي لا يوجد من هم مغضوب عليهم!

يقول ابن عربي:

«فكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة»[١].

ويضيف قائلاً:

«فكلّ ماش فعلى صراط الربّ المستقيم فهو غير مغضوب عـليهم مـن هـذا الوجه ولا ضالّون».

يقول شاه نعمة الله ولي الكرماني الذي يعدّ عرّاب تصوّف ابن عربي في إيران ومؤسّس الصوفيّة النعمة الهيّة وشيخ مؤلّف رسالة رفع الشبهات:

التوحيد والموحِّد والموحَّد

اطلبه جملة من أحمد

فالفاعل والفعل متوحد واحد

سواء كان صالحاً أو طالحاً

في كلا العالمين واحد موجود

في كلّ لحظة بصورة يتجدّد[٢]

الّا انّه وعلى عكس الأفكار والآراء أعلاه نرى الخالق الرحمن الرحيم والذي هو أرحم الراحمين يعلمنا أن ندعوه في كلّ صلاة أن نطلب منه الهداية فنقول:

﴿ اهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ﴾.

فاذا لم تكن هناك مخلوقات مغضوب عليها ولم تكن هناك مخلوقات ضالّة

---

١. فصوص الحكم ٢٤٧.

٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ٢٣٢.

ولا يمكن أن توجد أيضاً لأن مصير الجميع بيد الله الذي هو على الصراط المستقيم حينئذٍ، تكون تعاليم الله تعالى وتعليمه هذا الدعاء لنا وطلبه منا أن نقرأه في كلّ صلاة مفروضة أمراً عبثيّاً؟

وعندما نفترض صحّة مقولات ابن عربي في توحيد الأفعال الذي يعني ان كلّ الأفعال التي يقوم بها البشر هي في الواقع أفعال الله فانّ العقاب الالهي للضالّين سيكون من افدح الظلم!

انّ تعاليم الاسلام تقول ان هناك طريقين طريق مستقيم وطريق غير مستقيم الأوّل يؤدّي إلى الجنّة والثواب والثاني يؤدّي إلى النار والعقاب، وأنّ هناك فعلين صالح ويترتّب عليه الثواب وطالح ويترتّب عليه العقاب.

ان معطيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تفند فكرة توحيد الأفعال ففي حال صحّتها تفقد البراءة من الأعمال الطالحة معناها:

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

انّ القول بتوحيد الأفعال اهانة للخالق تبارك وتعالى.

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2].

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

ان العصيان والمعاهدات مع المشركين والوثنيّة كلّها أفعال وجوديّة واستناداً

١. الشعراء: الآيتان ٢١٥ ـ ٢١٦.	٢. الأنعام: الآية ١٩.

٣. التوبة: الآية ١.

إلى نظريّة العرفاء والصوفيّة كلّها أفعال حسنة واضافة إلى كونها أفعال حسنة فان مصدرها الله فهي فعل الله في الحقيقة واذن تكون البراءة من الله ممّا يقوم به الله !! ترى ماذا يعني ذلك ؟!!

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في تعريف التوحيد والعدل الالهي:

«التَّوْحِيدُ أَلّا تَتَوَهَّمَهُ وَالْعَدْلُ أَلّا تَتَّهِمَهُ»[١].

ان من الأدلّة التي يثبت بها القائلون (الصوفيون) بتوحيد الأفعال وأن كلّ ما يقوم الانسان من أعمال إنّما هي أفعال الله هذه الآية الكريمة:

﴿ **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[٢].

فالصنم المنحوت ووفقاً للتفسير الصوفي هو من فعل الله مباشرة بل ان مصدر القدرة والطاقة في النحت أو صناعة كلّ شيء هو الله سبحانه.

بينما الحقيقة ان الطاقة والقدرة التي منحت للانسان للامتحان فهو يتصرّف مختاراً.

الانسان يتلقّى الطاقة الكهربائيّة فيضيء منزله بالمصابيح وينظف داره بالمكنسة الكهربائيّة، فهل نستطيع أن نقول ان تنظيف المنزل وكنسه قامت به محطّة الطاقة الكهربائيّة، نعم نحن لا نملك القدرة والطاقة على القيام بمختلف الفعاليات ذاتياً ان هذه القدرة مصدرها الخالق تبارك وتعالى لكنّها وضعت تحت تصرّفنا ووفقاً لارادتنا وخياراتنا.

تماماً مثلما نقول انّ السائق يقود السيّارة ونحن ندرك جيداً انه لو لا وجود

---

١. نهج البلاغة ٢٠/ ٢٢٧.
٢. الصافات: الآيتان ٩٥ ـ ٩٦.

الوقود في مخزن السيّارة فانها عاجزة عن الحركة تماماً ولكن السائق يقود السيارة في الطريق الذي يشاء فهل نحمل محرّك السيّارة مسؤوليّة السقوط في الهاوية؟

فكيف ننسب ما نقوم به من أعمال إلى الله؟

انّ الله عزّوجلّ خلق الانسان ومنحه القدرة للقيام بمختلف الأفعال ومنحه أيضاً حريّة الاختيار في انتخاب الطريق.

وهذا هو معنى لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

يقول الامام علي عليه السلام:

«إنَّا لا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً وَلا نَمْلِكُ إلّا مَا مَلَّكَنَا فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا»[1].

وقد جاء النص أعلاه جواباً عن سؤال سأله أحدهم عن معنى: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله»؟

وعليه فانّ التكليف يأتي بعد التمليك انّ الله سبحانه ملّك عباده القدرة والحول ومنحه حقّ الاختيار فيما يفعل خيراً أو شرّاً وهو مسؤول بعد ذلك عن خياراته فالثواب لمن عمل صالحاً والعقاب لمن عمل طالحاً.

وإذا صحّت نظريّة أهل العرفان والتصوّف في وحدة الوجود واتّحاد الخالق والمخلوق بطلت مقولة الامام المعصوم في قوله:

«ولا نملك إلّا ما ملكنا».

---

١. المصدر السابق ٢٠/٦؛ بحار الأنوار ٥/٢٠٩.

لأن وحدة الوجود تقتضي والاتّحاد بين الخالق والمخلوق أن تكون جميع صفات الكمال التي في الخالق في المخلوق أيضاً لهذا تتغير مفردة «التمليك» إلى «التكميل» وكلّ كمال في الخالق تام وفي المخلوق ناقص.

كما ويستند الصوفيّون في نظريّة توحيد الأفعال إلى الآية الكريمة:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١).

وهذه الآية نزلت بشأن معركة بدر يوم التقى الجيشان، جيش المسلمين وجيش المشركين عند آبار بدر، وكان جيش المشركين متفوقاً بالعدّة والعدد والتجهيزات العسكريّة، فأوحى الله عزّوجلّ إلى رسوله أن يأخذ جنود الاسلام قبضة من التراب وقذفها باتّجاه جيش المشركين فلمّا فعلوا ذلك انتشر الغبار وكان المشركون ينظرون من بعيد، فتصوّروا انّ الغبار حدث لوصول امدادات وتعزيزات عسكريّة.

واندلعت المعركة ونصر الله المسلمين فقتلوا وأسروا وغنموا وقد ذكّر الله تبارك وتعالى الذين آمنوا بيوم بدر:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾(٢).

وعادة ما يبعث النصر الشعور بالقوّة والغرور فينسىٰ أيّام الأزمات والمصاعب.

قال تعالى:

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ

---

١. الأنفال: الآية ١٧.

٢. آل عمران: الآية ١٢٣.

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

الله عزّوجلّ هو خالق الانسان ويعرف ما يموج في نفسه من مشاعر وأحاسيس ولقد جبل الانسان على طبيعة انه إذا مرّ بأزمة وظروف حرجة توجّه بالدعاء والتضرّع إلى الله أن يكشف عنه الضرّ والسوء ويفرّج عن كربه، فاذا فرّج الله عنه وأنعم الله عليه أصابه الغرور ونسي أيّام المحنة بل ويتبجج بأنّه ما حصل عليه كان بسبب مؤصلاته الذاتيّة!

لذلك ومن أجل تحصين الانسان والمجتمع المؤمن من خطر الاصابة بمرض الغرور فانّ الله سبحانه يذكّرهم بهذه الحقيقة وهي أن الله هو الذي أنزل نصره عليهم وان النصر الذي حصل في معركة بدر إنّما كان بمشيئة الله سبحانه وتوفيقه.

لقد تبدّلت مشاعر الرهبة في نفوس المسلمين الذين تهيبوا مواجهة جيش المشركين إلى شعور بالحماس والشجاعة وحدث العكس في صفوف المشركين، وبالتالي انتصار جيش المسلمين الضئيل العدد قياساً بجيش العدو واذن ما حصل هو أنّ الله عزّوجلّ مدّ عباده المؤمنين بالقوّة وألهب في قلوبهم روح الايمان والعزيمة فانتصروا.

فهل تدلّ الآية على انّ جيش الرسول ﷺ هو الله وانّه سبحانه ظهر بصورة جنود الاسلام أو بصورة النبي ﷺ نفسه؟! أبداً!

---

١. الزمر: الآية ٤٩. ٢. يونس: الآية ١٢.

انّ الآية تريد تفهيم المسلمين بأن نصرهم حصل بتوفيق من الله عزّوجلّ.

وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَاأَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم ﴾[1].

فهل هناك تعبير أوضح من هذا نصّ الآية هذا، في بيان قدرة الله عزّوجلّ في مقابل قدرة غيره؟!

وهكذا قوله تعالى:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ ٱللهَ رَمَىٰ ﴾[2].

انّ نص هذه الآية لا يدلّ على ان الله عزّوجلّ ظهر بصورة أعضاء وجوارح الانسان أو بصورة جميع مخلوقاته.

ولكن الانسان الذي يتبع الهوى يحاول أن يبرر لنفسه ولغيره صحّة معتقداته الخاطئة من خلال تفسير بعض النصوص القرآنيّة بآرائه الخاصّة بينما المطلوب رجوعه إلى مفسري القرآن الحقيقيّين وحملة علومه:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[3].

---

١. الأنفال: الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.
٢. الأنفال: الآية ١٧.
٣. آل عمران: الآية ٧.

ولقد رأينا مدلول الآية الكريمة: «وما رميت إذ رميت...» التي نزلت بشأن معركة بدر، فاذا خطر في أذهاننا معنى آخر وجب علينا أن نراجع أئمّة الهدىٰ من أهل بيت رسول الله ﷺ فهم من أورثهم الله الكتاب.

وعلينا أن ندرك انّ الشيطان يحاول أغواء الانسان وتضليله من خلال القاء بعض الأفكار الباطلة في ذهنه وهذا كتاب وسائل الشيعة ومستدركه وهو في طليعة الموسوعات الحديثيّة التي ينهض عليها فقه الشيعة يشتمل على ٥٥٠ حديثاً عن أهل البيت عليهم السلام في خصوص عدم جواز تفسير القرآن الكريم من دون الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام.

ونحن نكتفي في بطلان «وحدة الوجود» و«توحيد الأفعال» التي ينادي بها أهل العرفان والصوفيّون والحرّ تكفيه الاشارة.

ويحاول مؤلف رسالة رفع الشبهات تبرير معتقدات الصوفيّة من خلال اتّهام بعض كبار العلماء والفقهاء ومشاهيرهم فيقول:

١ ـ والشهيد الأوّل في كتاب وقف الدروس يقول:

«الصوفيّون المشتغلون بالعبادة والمعرضون عن الدنيا»[1].

والمرحوم كاشف الغطاء قال في كتاب الوقف:

«ولو وقف على الصوفيّة وكان عارفاً ورعاً نزل على المعرضين عن الدنيا المشغولين بالعبادة».

٢ ـ وجاء عن مولانا المجلسي الثاني مكتوب (رسالة) في جواب سؤال أحد

---

١. الرسالة ٥٧.

الأفاضل سأل حول الحكماء والأخباريّين والصوفيّين صرّح فيه بصحّة وحقانيّة التصوّف في الشيعة[١].

٣ ـ انّ كثيراً من العلماء السابقين من قبيل الشهيدين (الأوّل والثاني) وابن فهد الحلّي و... الشيخ البهائي والفيض الكاشاني والشيخ مرتضى الأنصاري والمرحوم الميرزا الشيرازي والمرحوم آية الله الاصفهاني رحمة الله عليهم اما كانوا في هذا السلك أو اظهروا رغبتهم بذلك[٢].

٤ ـ اخبر المرحوم آية الله الزنجاني المؤلّف شخصيّاً انّ العلماء الكبار كانوا على ارتباط مع «الفقر» و«الطريقة» في الخفاء ومن جملتهم على سبيل المثال المرحوم آية الله السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي وقد تتلمذت سنوات عنده وكنت من المقرّبين إليه وكان يثق بي وأدركت انه كان وارداً الطريقة[٣].

أولا ان كلا النصّين المنقولين عن الشهيد الأوّل والمرحوم كاشف الغطاء لا يشتملان على دلالة في مدح وثناء على الصوفيّة وعلى حقانيّتها ذلك ان صرف الاشتغال بالعبادة والاعراض عن الدنيا ليسا فضيلة ذلك ان الصوفيّين في سائر الأديان والمرتاضين الهنود والرهبان أيضاً معروفون بهذه الصفة.

ولدى مراجعتنا الكتب الفقهيّة للمرحوم كاشف الغطاء نلاحظ في باب النجاسات فتواه في نجاسة القائلين بـ «وحدة الوجود» و«توحيد الأفعال» والقسم الثاني الذي هو كافر بواسطة انكار بعض ضروريّات الاسلام مثل القائل بالجبر والتفويض وقدم العالم وقدم المجرّدات والتجسيم والتشبيه والحلول

---

١. المصدر السابق ٨٢.
٢. نفس المصدر ٨٢.
٣. نفس المصدر ٨٤.

والاتّحاد ووحدة الوجود والموجود.. إلى أن يقول: والذي يقول بأنّ الله فاعل جميع أفعال المخلوق[١].

فهل يمكن لشخص هكذا أن يؤيّد التصوّف الذي ينهض على نظريّة «وحدة الوجود» و«توحيد الأفعال»؟!

ما أجرأهم على الكذب؟!

ثانياً: ان قوله بأنّ المرحوم المجلسي الثاني رضوان الله تعالى عليه قال عن الصوفيّة بأنّها من فرق الشيعة، افتراء وكذب وقد أشرنا إلى أنّ المرحوم المجلسي ذمّ الصوفيّة وهذا أمر معروف وله كتاب أسماه «عين الحياة» ذمّ فيه الصوفيّة عند ما تطرّق إلى ذكر معروف الكرخي الذي يتمتّع باحترام المجتمع الصوفي الشيعي.

«أمّا ذلك النحو الخاص (من الذكر الخفي) الذي اخترعه فله هيئة خاصّة وما لم يأت سند معتبر من الشارع على انّها عبادة، فهي بدعة كما جاء في تعريف البدعة، ولم يرد حديث من أحاديث الشيعة في خصوص هذه الهيئة، ولم أر كذلك في أحاديث السنّة، وهم (الصوفيّة الشيعة) ينقلون بأن معروف الكرخي رواه عن الامام الرضا عليه السلام وهذا باطل من عدّة وجوه:

الأوّل: لا يعرف ما إذا كان معروف الكرخي التقى الامام الرضا عليه السلام أم لا وان ما يقولونه بأنه (الكرخي) كان حاجباً عند الامام الرضا فهو مجانب للصواب؛ ذلك ان جميع من خدم الامام الرضا ولازمه من السنة والشيعة قد ضبطت أسماؤهم في كتب الرجال»[٢].

---

١. كشف الغطاء ١٨٣.

٢. عين الحياة ٢٣٧.

وقد ورد في موسوعة بحار الأنوار بقلم المجلسي نفسه ما يلي:

«الحلاجيّة ضرب من أصحاب التصوّف، وهم أصحاب الاباحة[١] والقول بالحلول وكان الحلّاج يتخصّص باظهار التشيّع وإن كان ظاهر أمره التصوّف وهم قوم ملحدة وزنادقة يموّهون بمظاهرة كلّ فرقة بدينهم ويدّعون للحلّاج الأباطيل يجرون في ذلك مجرى المجوس في دعواهم لزردشت المعجزات ومجرى النصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات والبيّنات والمجوس والنصارى أقرب إلى العمل بالعبادات منهم وهم أبعد من الشرايع والعمل بها من النصارى والمجوس»[٢].

فهل هناك ما هو أكثر وضوحاً من هذا النص في ذمّ الصوفيّة حتّى الصوفيّة المنسوبين للشيعة:

«وهم قوم ملحدة وزنادقة يموّهون بمظاهرة كلّ فرقة بدينهم».

وجاء في كتاب «عقائد الدين الاسلامي»[٣]: فلا تظنّ ان أبي كان صوفيّاً فلا تسيء الظن في أبي العلّامة المجلسي نوّر الله ضريحه فتتصوّره من الصوفيّة أو انّه اعتقد بمذاهب ومسالك الصوفيّة فهذا بعيد الظن منه وكيف تظنّه صوفيّاً وهو أكثر أهل زمانه أنساً بأخبار وآثار أهل بيت النبوّة واعلمهم بالأخبار وكان أعلمهم بها».

---

١. الاباحيّة: اصطلاح عرفاني فالعارف لا يرى نفسه مقيّداً بأحكام الشريعة ويقولون ان التقيّد بأحكام الشريعة من وظائف عوام الناس لا أهل الحقيقة. نفحات الانس ١٣؛ الكشاف ١/ ١٢٧.

٢. بحار الأنوار ٢٥/ ٣٤٥؛ تصحيح الاعتقاد ١٣١.

٣. ص ٢٥.

وجاء في نص آخر في معرض الدفاع عن والده ودحض تهمة التصوّف التي الصقت به «انّهم أعداء الله».

وكثير من الشواهد غيرها فكيف يظنّ انه كان صوفيّاً أم ان مؤلّف الرسالة اعتاد كغيره من الصوفيّين على وضع الأحاديث وتلفيق التهم للعلماء.

ثالثاً: يكفي في تفنيد نسبة العلماء الى التصوّف أو مباركتهم له أن نراجع مؤلّفاتهم لنقف على حقيقة مزاعمه وبطلانها.

رابعاً: يبدو ان مراده في قوله «كان وارداً فيها» أي عالماً بمرام التصوّف.

وإلّا كيف يمكن لمجتهد وفقيه جامع للشروط يتّبع حكم القرآن ويحكم بنجاسة الصوفيّين أن يكون هو صوفيّاً؟!

وكذا المرحوم آية الله السيّد أبوالحسن الاصفهاني والمرحوم آية الله البروجردي رضوان الله تعالى عليهما أفتيا أيضاً بنجاسة القائلين بـ «وحدة الوجود» وهم الصوفيّة فكيف يكونا من الصوفيّة.

ان مراجعة الكتاب الفقهي الشهير «العروة الوثقى» لآية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي الذي يشتمل علىٰ جميع قضايا ومسائل الفقه العمليّة في هذا المضمار نقرأ هذا النصّ:

«لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب وأما المجسّمة والمجبرة والقائلين بوحدة الوجود ومن الصوفيّة إذا التزموا بأحكام الاسلام فالأقوى عدم نجاستهم إلّا مع العلم بالتزامهم بلوازم مذاهبهم من المفاسد»[١].

---

١. العروة الوثقى ٢١.

فما هي عقائد الصوفيّة الفاسدة؟

«وحدة الوجود» يعني وحدة الوجود في الخالق والمخلوق وظهور ذاته المقدّسة بصور مخلوقاته سواء يعني جميع مخلوقاته من شريفها إلى أدناها (العياذ بالله).

وهذه العقيدة هي الشرك التي ذمّها الشارع المقدّس بشدّة يعني اشراك غير الله في كلّ أمر مع الله.

ومن مزاعم مؤلّف الرسالة نسبته الشهيد الثاني إلى التصوّف وفيما يلي ننقل نص ماكتبه أحد أحفاده في كتابه «الدرّ المنثور»:

«واعلم انّ هذا الاسم وهو التصوّف كان مستعملاً في خرقة من الحكماء الزائغين عن طريق الصواب، ثمّ من بعدهم كان يستعمل في جماعة من الزنادقة وجماعة من أهل الخلاف بعد حصول الاسلام، وكانوا أعداء آل محمّد، كالحسن البصري وسفيان الثوري وأبي هاشم الكوفي ونحوهم، ومن أعظم رؤسائهم حسين بن منصور الحلّاج وله قصص منقولة في كتب أصحابنا ككتاب الغيبة والاقتصاد للشيخ الطوسي وغيرهما وادّعىٰ الالهيّة وورد التوقيع من صاحب الأمر عليه السلام بلعنه كما في الاحتجاج وغيره وصنف الشيخ المفيد كتاباً في الردّ عليه وعلى متابعيه ولم يستعمل هذا الاسم من الاماميّة لا في زمن الأئمّة عليهم السلام ولا بعد غيبة صاحب الأمر عليه السلام»[1].

انّ هذا النصّ يكشف عن بطلان ما قاله مؤلّف الرسالة في الشهيد الثاني رضوان الله عليه.

---

١. الدرّ المنثور ١/ ٢٨.

ومن العلماء الذين نسبهم مؤلّف الرسالة إلى التصوّف المرحوم «ملّا محسن الفيض الكاشاني» لأنّه كان فيلسوفاً كاملاً وعارفاً بتمام المعنى وفقيهاً جامعاً.

فلنتأمّل ما قاله العالم الكبير رحمه الله ورد في كتابه «قرّة العين»[1] الذي ألّفه قبل وفاته بثلاث سنين:

«اعلموا اخواني هداكم الله كما هداني: اني ما اهتديت إلّا بنور الثقلين وما اقتديت إلّا بالأئمّة المصطفين وبرئت إلى الله ممّا سوى هدى الله، فان الهدى هدى الله لست متكلّم ولا متفلسف ولا متصوّف ولا متكلّف بل مقلد للقرآن وحديث النبي وتابع لأهل البيت موالي، قد مللت من أحاديث الطوائف الأربع المتحيّرة معرض عمّا سوى القرآن المجيد وحديث أهل البيت فمن لا يعرفهما غريب وكلّ الذي درست ونسيته إلّا حديث الحبيب اكرره».

ويقول في مقدّمة كتابه «الانصاف» الذي يعود تأليفه إلى سنة ١٠٨٣ هـ أي في حدود ٥ سنوات قبل كتاب «قرّة العين»:

«كذلك يقول محسن بن مرتضى، المهتدي بصراط المصطفى بأنّني فرغت في الشباب عن الدراسة في التفقّه في الدين وتحصيل البصيرة في الاعتقادات وكيفيّة العبادات بتعليم الأئمّة المعصومين عليهم السلام بحيث لم احتجّ في مسألة بتقليد غير المعصوم خطر ببالي أن أسعى في دراسة أسرار الدين وعلوم الراسخين لكي تكمل النفس ولكن حيث لم يكن للعقل إليه سبيل، وكان إيمان النفس في هذه الورطة قليل لم يفتح باب ولم يكن عندي صبر على الجهالة ولا يزال ذلك أتعبني، فأوجبني أن أخوض مدّة في مجادلات المتكلّمين وأن أسعىٰ في ازالة الجهل بآلة

---

١. ورد في الذريعة ٧/ ٧٥: تاريخ وفاة الفيض ١٠٩١ هـ وتاريخ تأليف هذا الكتاب ١٠٨٨.

الجهل ومشيي أيضاً في طريق مكالمات المتفلسفين ورؤيتي طيران الخيالية المتصوّفة في أقاويلهم وسيري مدّة في رعونات من عنديين واشتغالي زمناً بالكتابة في تلخيص أقاويل الطوائف الأربعة... بلا تصديق أو تأييد بل نقلت مطالبهم على سبيل الممارسة.

لم أجد ممّا قالوا ما كفاني في عطشي أو خلصني عن داء حتّى انتهت إلى خشيتي على نفسي فألجأت إلى ربّي وهو واصلني إلى الحقيقة وكما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أعذني اللهمّ أن أستعمل الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل فيه الفكر»[١] وفوّضت أمري إلى ذاته المقدّسة مع الأنين في ساحته، فانت الربّ الرحيم هداني بركة من دينه القيم لكي أفكّر فكراً صحيحاً في أسرار القرآن الكريم والأحاديث المرويّة عن سيّد الرسل وأئمّة الهدى ـ صلوات الله عليهم ـ وعلّمني مطالب بقدر استطاعتي وايماني من القرآن والحديث فاطمأنّ قلبي وأبعد عنّي همزات الشيطان والحمد لله لايصاله إيّاي إلى الحقيقة».

ويقول في موضع آخر:

«بعض من المتصوّفة يزعمون بأنّهم قد بلغوا مراتب يصلون إلى ما يشاؤون بتوجّه قليل ويسمع دعاؤهم في الملكوت ويجاب لهم في الجبروت اسمه شيخ ودرويش وبالدعاء يلقي الناس في التشويش في حقّه جارٍ الافراط والتفريط وتعدّى الناس في انسانيّته يقصّ الناس عن نومه ويقظته بحيث يولد الشكّ فيهم والترديد؛ وقد يقول بادّعاء الغيب وقد يدّعي قتل سلطان ونصر جند، وفرار

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

سلطان وهزم جيش نفاق أو مرشد أو افناء من لم يكن عنده محبوب؛ وقد يخلو في بيت مظلم يجعل نفسه مشغولة بالأربعينات، يبدو بأنّه كان صائماً، يحرّم على نفسه خلافاً للشرع أكل اللحم ولا ينوم لكي هو مطرود من الحق يلجأ إليه ﴿ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ﴾[1].

ويقول أيضاً: «بعض باسم التصوّف يتلبّسون خرقة، ويستديرون دائرة، مع اختراعهم أذكاراً وقراءتهم بالغناء أشعاراً، ينادون بالتهليل مع انهم لم يكن عندهم دين، يبتدعون الرقص وصوت الحمير، ويصيحون بالصيحة الخشن، هل فيهم ضرب ألم أو من الله شكوة؟ الله بعيد تنادونه؟! أو تريدون يقظة نائم؟! تعالى الله! لا يأخذه نوم ولا تغلطه الألسن، كالسمك قل الذكر: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾[2] انه ليس منكم ببعيد بل هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

وجاء في سفينة البحار للمحدّث القمّي:

«بعض من الصوفيّة يدّعون مشاهدة المعبود، والتجاوز عن المقام المحمود، وملازمة عين شهود لا يعلم الهرّ من البر يخرص لتحمير العوام، كأنّه يقول من الوحي ويخبر من السماوات عباد الله عندهم عامل، والعلماء يعدّمن الله مستور يلقي الناس على قدميه، يأذن بالتلذّذ بالشهوات، ويأكل مع مريديه كالأنعام لا يبالي بالحلال والحرام.

قد يقول: التكاليف إنّما لتطهير القلوب، وحيث انّه غير ممكن فلا لها، وقد

---

١. كلمات الطريقة، ملّا محسن الفيض (الطرائف) ٧٦.

٢. الأعراف: الآية ٢٠٥.

يعصي الرب معتذراً بأنّه ليس لأعمال الجارية بالأعضاء والجوارح قدر، الحق ينظر إلى القلوب، وقلوبنا عاشق للحق، فلا يمنعنا من الحق العصيان «كلا سيعلمون».

انّ أعمالك منك، ألم تقرأ أيّها العاجز:

«لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت»؟ لا رشح من القدح إلّا بما فيه، الجسم تابع للقلب أيّها الجاهل... أيّها المغرور! فاذهب ومن تبعك منهم، «فانّ جهنّم جزاؤكم جزاءً موفوراً»[١].

ويقول المولى محسن الفيض الكاشاني:

«مع عظم دعوى المتصوّفة حتّى العوام منهم الدعاوى التي ليس بصحيح نقله! يا ليت كانوا يكتفي بالدعوى، ولم يبتدع في الدين بدعاً، كارتفاع الصوت في الذكر، واظهارهم الوجد، وقراءتهم الأشعار ضمن الأذكار، والتلصيق والرقص والتصفيق، والقيام والقعود تهييجاً إلى ان أحداً يقع على الأرض شوقاً وفي خياله وجيه المنظر، بجعله يده اليمنى على واحد وبطشه وجه الآخر وبتكسير الأنف بالكتف ورمي ماء الفم على الآخر يتبرّكون ببصاقه، يعانق مع غلمان ويبدأ بتقبيله وأحد منهم يدّعي الغيب والكرامة، بدعوة لم يفعل بها نبي، مع كونه جاهلاً بأحكام الشرع، يهجمون إليه اصغاءً لقوله ونظاراً لوجهه، لاقين أنفسهم على قدميه، يسجدون عنده ويقبلون رجليه ويديه «ليحمل أوزارهم كاملة يوم القيامة»[٢].

يقول المرحوم الشيخ آقا بزرك الطهراني رضوان الله عليه في كتابه «الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة»:

---

١. سفينة البحار ٢/٦١.

٢. البشارات ١٤٤.

«ذكر فيه بعض أحواله وبيّن عذره عمّا كتبه من الكتب على مذاق الفلاسفة والمتصوّفة وغيرهما بعبارات واضحة ملمعة عربية وفارسيّة ألّفه سنة ١٠٨٣ كما في فهرسه ثمّ اختصره بنفسه وسمّاه «هدية الأشراف»»[١].

وهذا القدر يكفي فيما يبدو في بيان تصريحات عالم بمستوى المرحوم ملا محسن الفيض الكاشاني الذي طوى جميع مراحل الفلسفة والعرفان فيكون عبرة لمن كان له عقل فلا يولّي وجهه شطر الفلسفة والعرفان ويغويه الشيطان فيطلب الهداية من غير القرآن الكريم وأهل بيت العصمة والوحي الكرام عليهم السلام.

ومن يطالع كتب ومؤلّفات المرحوم الفيض من قبيل «تفسير الصافي» و«علم اليقين» سيلاحظ مدى ايمان ذلك العالم بموضوعات الفلسفة والعرفان ومدى جمالية توضيحاته لتلك المسائل، ثمّ لما لجأ إلى الله كانت عاقبة أمره خيراً ونجا من عواقب الشر فالقى بنفسه بين أحضان القرآن الكريم ولجأ إلى ظلال أهل بيت الرحمة والعلم والذكر والوحي وبلغ بذلك الحقيقة واطمأنت نفسه إلى الحق.

ثمّ انبرى للاعتذار عن سالف أيّامه وما كتبه في الدفاع عن الفلسفة والعرفان فلعلّه ضلّ بقرائته أحد فيقول في «قرّة العين»:

«اني ما اهتديت إلّا بنور الثقلين وما اقتديت إلّا بالأئمّة المصطفين وبرئت إلى الله ممّا سوى هدى فان الهدى هدى الله».

فكيف لشخص يتحدّث بهذه الصراحة وهذه اللغة أن يكون صوفيّاً كما قال مؤلّف «رسالة رفع الشبهات»؟!

---

١. الذريعة ٢/ ٣٩٨.

ترىٰ أيّ جرأة يمنحها التصوّف للصوفي وأيّ درجة يبلغها الصوفي حتّى يسوغ لنفسه توزيع الاتّهامات والافتراءات وتلفيق الأباطيل والصاقها بـالآخرين مـن دون أن يرف له جفن؟!

ان من خواصّ العرفان والتصوّف انه يبلغ بالفرد الصوفي والعارف إلى مرتبة يجد فيها نفسه الها وخالقاً للعالم ويشعر بالاقتدار والولاية على جميع الأشـياء حتّى على الكلمات والألفاظ وتنظيمها كما يحلو له!! فيتكلّم كما يشاء لا يردعه ولا يمنعه وازع من دين ولا أخلاق!!

جاء في رسالة رفع الشبهات:

«وإذا أنكر بعضهم المعاد الجسماني فهو ليس بعارف حقيقي وكان من أتـباع مدرسة التصوّف والعرفان»[1].

ويبدو أن مؤلّف الرسالة ليس له أدنى اطّلاع على آراء اساتذته ولا المام بسيط بنظرياتهم!

ان كلّ ما لدى الصوفيّين والعرفاء وما يردّدونه من آراء إنّما هي من آراء ابن عربي في التصوّف الذي يدّعي بـ«الشيخ الأكبر» الاسباني الأصل إذ يـعدّ فـي طليعته المنكرين للمعاد الجسماني وأيده في ذلك ملّا صدرا فالروح لديهم تظهر بصور متنوّعة في مراحل مختلفة تظهر بعد الموت وفي مرحلة السؤال بـالصورة التي كان عليها في الدنيا بحسب الجسم والبدن:

«فاعلم أنّ الروح الانساني أوجده الله حين أوجده مدبّراً لصورة طبيعيّة حسيّة

---

١. الرسالة ٧٥.

سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان، فأوّل صورة لبستها الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالاقرار بربوبيّة الحق عليه، ثمّ انه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسميّة الدنيا يويّة وحبس بها في رابع شهر من تكوّن صورة جسده في بطن أُمّه إلى ساعة موته! فاذا مات حشر إلى صورة أُخرى من حين موته إلى وقت سؤاله، فاذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلى صورة جسده الموصوف بالموت.

ثمّ يحشر بعد السؤال إلى صورة أُخرى في البرزخ يمسك فيها فيبعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا وإن كان بقي عليه سؤال فان لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنّة أو النار»[١].

انّ شاه نعمة الله ولي وهو شيخ فرقة النعمة الهيّة ورئيسها الفعلي هو الآخر ينكر المعاد، ففي كتابه «الأرواح» يقول بالتناسخ وينكر المعاد ويعتبر ذلك من الأسرار:

وا أسفى ان يقولوا هذا الكلام كفر

ولكن سرّه قد يبدو

وبعد الموت صفات وروح الأشياء

كما تكون عليه تبدو

يذهبوا به ويجيئوا إلى الكرات

---

١. الفتوحات المكيّة ٢ /٦٢٧؛ الأسفار الأربعة ٩ /٢٣٣.

حينا يكون حيواناً وحينا نباتا

لا ينبغي البوح أكثر من هذا بالاسرار

لا ينبغي أن تودع الجواهر عندالحمير

يقول مؤلّف الرسالة:

«التصوّف الاسلامي ظهر إنّما منشأه من أفعال وأحوال رسول الله ومن الآيات وأخبار المعصومين عليهم السلام وأن كبار الصوفيّة لم يدّعوا ذلك من أنفسهم، فكلّ ما لديهم فمصدره من مصباح النبوّة ومشكاة الولاية ومن معادن العلم والحكمة ومنبع الوحي والهام أهل بيت العصمة والطهارة»[1].

ولو سألنا ما هو الدليل؟

لقال الصوفي: ان من حقّنا الولائي أن نلفق الروايات من عندنا على انها أحاديث؛ مرّة أُخرى نؤكّد ان من حق أيّ فرد أن يعتنق عقيدة ما ويتبنى فكرة معينة لأنه «لا اكراه في الدين» ولأيّ انسان الحق في أن يكون مؤمناً بدين معين سواء كان الهياً أو مادياً أو واقعيّاً مشائياً أو اشراقيّاً أو شيوعيّاً ماركسيّاً أو اشتراكيّاً... وأمثال ذلك.

ولكن لا تحاول تمرير عقائدك من خلال الكذب وادّعاء ان فلان وفلان كان على هذه العقيدة لأن هذا العمل في غاية القبح بكلّ الموازين الوضعية ولكن كما يبدو ان الصوفيّة لا يكترثون لدين أو أخلاق وهم لا يتحرجون عن الكذب والدجل فـ«إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم».

---

١. الرساة ٣٤.

ولقد تطرّقنا إلى موضوع التصوّف وفندنا المزاعم التي تقول انه مقتبس من مذهب أهل البيت عليهم السلام.

أعود وأقول مرّة أُخرى انّ مقدّمة ديوان شاه نعمة الله ولي، تشير إلى ان مهمّة الأخير وكذا هدف مؤلّف الرسالة هو نشر تصوّف ابن عربي في ايران من خلال دمجه مع بقايا أفكار صوفيّة ايرانيّة يعود نشوءها إلى ما قبل ظهور الاسلام ومن ثمّ تمرير التصوّف الجديد تحت غطاء من العقيدة الاسلاميّة والمذهب الشيعي، وإلّا فأيّ صلة لابن عربي ولشاه نعمة الله ولي بالتشيّع؟

ان الهدف الرئيس لقادة فرقة النعمة الهية الصوفيّة الحاليّين لن تكون سوى الاستمرار في نشاطهم ونشر التصوّف وعلى أوسع نطاق داخل المجتمع الشيعي وقيادته!

حكم الشارب لدى الصوفيّة

في موضوع الشارب وحكمه يستند مؤلّف الرسالة إلى حديث مرويّ عن النبي صلى الله عليه وآله في جواب رجل أعزب:

«وفّر شعر جسدك وأدم الصيام»[1].

فما علاقة شعر الجسد بشعر الوجه.

يقول مؤلّف الرسالة:

«اضافة إلى ذلك فان هذا الموضوع أمر اجتهادي وليس من الأحكام المسلّمة

---

١. الرسالة ١٢٦.

التي لا يجوز مخالفتها؛ ذلك ان الأخبار الواردة في قصّ الشارب إمّا أحاديث نبويّة والشيعة يضعفونها بسبب رواتها أو أنّها مرويّة عن الامام الصادق عليه السلام لا توجد روايات عن غير الامام الصادق كما يبدو.

ولذا فان بعض الصوفيّة يقولون انّه بالامكان حملها على التقيّة لأن السنّة ملتزمين للغاية بقصه.

أقول:

ـ هل لدى الشيعة روايات عن النبي صلى الله عليه وآله في كتبهم الروائيّة في العديد من الموضوعات يعتبرونها ضعيفة؟! أبداً ان الكتب الروائيّة زاخرة بالأحاديث النبويّة وهي مستند الفقهاء الشيعة في استنباط الأحكام الشرعيّة اضافة إلى انّ أحاديث الأئمّة الأطهار عليهم السلام هي استمرار للحديث النبويّ الشريف، لأنّهم عليهم السلام إنّما أخذوها عن رسول الله صلوات الله عليه وآله.

فلماذا هذا الافتراء على الشيعة؟!

انّ الشيعة يضعفون بعض الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله بسبب الرواة!!

ثمّ يضيف كذبه اخرى في قوله بعدم وجود روايات منقولة عن غير الامام الصادق عليه السلام.

هذه طائفة من الأحاديث تكفي في تكذيب مؤلّف الرسالة:

ـ قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أخذ الشارب من النظافة وهو من السنّة»[١].

---

١. تحف العقول ١٠٠.

ـ وقال الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«ما أبقت الحنيفيّة شيئاً حتّى إن منها قصّ الشارب وقلم الأظفار والختان»[١].

ـ وقال عليه السلام: «من أخذ أظفاره وشاربه كلّ جمعة وقال حين يأخذه: بسم الله وبالله وعلى سنّة محمّد وآل محمّد» لم يمرض إلّا المرضة التي يموت فيها»[٢].

ـ وقال الامام موسى الكاظم عليه السلام عن أجداده الكرام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«قال الله عزّوجلّ لابراهيم تطهّر فأخذ شاربه»[٣].

ـ وقال عليه السلام: «خمس من السنن في الرأس وخمس في الجسد، فأمّا التي في الرأس فالمسواك وأخذ الشارب»[٤].

والروايات الآنفة الذكر غيض من فيض كثير وهناك في موسوعة بحار الأنوار؛ الاجزاء ٧٦ ص٦٧ ـ ٦٩ و١٠٩ ـ ١١٣ وكذا كتاب الكافي الجزء السادس ص٤٨٦ باب اللحية والشارب مزيد من الأحاديث في هذا المضمار.

ومن هنا يظهر كذب مؤلّف الرسالة في نفيه عشرات الأحاديث الواردة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام؟

فلماذا هذا الكذب في موضوع هامشي إلّا ان الصوفيّة يستميتون من أجل أحياء هذا التقليد المجوسي القديم؛ وما يحز في النفس ان شخصاً مثل شاه نعمة

١. بحار الأنوار ٧٦/٢٨٦؛ تفسير العيّاشي ١/٦١.
٢. بحار الأنوار ٧٦/١٢٣؛ مكارم الأخلاق ٦٥.
٣. بحار الأنوار ١٢/١٠؛ نوادر الراوندي ٢٣؛ وسائل الشيعة ٢/١١٥.
٤. وسائل الشيعة ٢/١١٥.

الله ولي لا يتردّد في كيل التهم للشيعة بالرغم من بلوغه أعلى درجة في سلم التصوّف وحاز لقب «شاه» فهو يقول انّ الشيعة يضعّفون الروايات المنقولة عن النبي ﷺ بسبب الرواة كما يحاول استحمار الناس فيقول ان الامام الصادق عليه السلام عند ما قال: «من لم يأخذ من شاربه فليس منّا».

فانّه قال ذلك على سبيل التقيّة!

هل بامكانكم أيّها الصوفيّين أنا تأتونا بحديث عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار في توفير الشارب حتّى نقول انّكم إنّما تفعلون ذلك طاعة لله ورسوله؟!

ولو كنتم تعرفون آل رسول ﷺ وتحبّونهم حقّاً ما كنتم تفعلون شيئاً يسخطهم وما كنتم تفعلون شيئاً حتّى تطمئنّوا إلى رضاهم كيف تسوّغون لأنفسكم توفير الشارب بحجّة ان الأحاديث الصادرة من أهل البيت في قصّ الشارب كانت تقيّة؟!

لقد سوّلت لكم أنفسكم ذلك وسوّغت لكم الكذب من أجل احياء سنن الديانة الزرداشتيّة!

انّ العقل والشرع يحكمان في غياب الأحاديث حول توفير الشارب بالتزام جانب الاحتياط والقيام بقصّ الشارب!

فكيف والأحاديث في قصّ الشارب كثيرة لا تدع عذراً لأحد في توفيره؟!

انّ الانسان كسائر المخلوقات الأخرىٰ مملوك لله المالك وهو لم يترك سدىً.

فكلّ مملوك يجب ان يتصرّف بما يرضي مالكه فلا يقوم بعمل يسخطه، ولهذا على الانسان أن يلتزم بالأوامر والنواهي الالهيّة، وهذا معنى الاسلام الذي يتجسّد بالتسليم لارادة الله ومشيئته والالتزام بشريعته التي بينها لنا رسول الله ﷺ

وأوصياؤه بالحق وهم أهل البيت عليهم السلام.

وكلّ مخالفة لهم إنّما هي استجابة لوساوس الشيطان يوحون إلى البشر ويوسوسون لهم ويزينون لهم الخروج على شريعة الله عزّوجلّ.

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[١].

وهم يستعغلّون الشبهات ليخدعوا الانسان ويضلّوه عن سواء السبيل وعند ما ينحرف الانسان عن الصراط فانّه سرعان ما يضلّ الطريق ويسقط في هاوية الضلال.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات وهلك من حيث لا يعلم»[٢].

ان عدم الاستجابة لتعاليم أهل البيت عليهم السلام يعني اتباع للهوى فالأهواء النفسيّة التي تسعّرها الشياطين هي من وراء الخروج على التعاليم الاسلاميّة.

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣].

وعليه فانّ الذين يوفرون الشارب ويظهرون بهيئة الزرادشتيّين قبل الاسلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إنّما ينضوون تحت حكم الآية الكريمة أعلاه، وانّهم ردّوا على الرسول صلى الله عليه وآله ولم يستجيبوا له واتبعوا أهواءهم وأضلّهم الشيطان.

---

١. الأنعام: الآية ١٢١.

٢. الكافي ١/ ٦٨، باب ٢٢.

٣. القصص: الآية ٥٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ المجوس جزوا لحاهم ووفّروا شواربهم وإنّا نحن نجزّ الشوارب ونعفي اللحى وهي الفطرة»[١].

يقول مؤلّف الرسالة:

«وحتّى ان بعض الصوفيّة يعتقدون انّه يستفاد من بعض الأخبار ان بعض عظماء الدين وأئمّة الهدى عليهم السلام انّهم وفّروا الشارب كما ورد في مجمع البحرين: «وفي حديث وصفه «ع» انّه كان وافر السبلة وهي بالتحريك الشارب»[٢].

ونصّ العبارة في كتاب مجمع البحرين كالتالي:

وفي حديث وصفه انّه كان وافر السبلة هي بالتحريك الشارب والجمع السبال»[٣].

وكتاب مجمع البحرين كتاب لغوي ومؤلّفه المرحوم الطريحي ـ رضوان الله عليه ـ يجمع الشواهد اللغوية من الآيات والروايات واذن فهو ليس من كتب الحديث!

والشاهد والمثال يهدف إلى توضيح السبلة التي هي بمعنى الشارب فمن هو الواصف ومن هو الموصوف؛ كما ان مؤلّف الرسالة أضاف من عنده حرف «ع» ليوهم القارئ بأن الموصوف أحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام وهذا الحرف والرمز ليس موجوداً في المصدر «مجمع البحرين».

---

١. بحار الأنوار ١١٢/٧٣؛ من لا يحضره الفقيه ١٣٠/١؛ وسائل الشيعة ١١٦/٢.
٢. الرسالة ١٢٩.
٣. مجمع البحرين ٣٩٢/٥.

وقد ورد في نفس هذا الكتاب «مجمع البحرين وتحت مادّة «فطر» وبيان معانيهاالمختلفة الحديث التالي:

«وفي حديث أهل البيت عليهم السلام نحن نحتُّ الشوارب ونعفي اللحى وهي الفطرة أي الدين والسنّة»[١].

والعبارة التي استند إليها مؤلّف الرسالة هي الشاهد الوحيد والذي لا ينطوي على أيّة دلالة في صحّة توفير الشارب.

أمّا العبارة التي جاءت تحت عنوان «فطر» فهي من المؤكّد حديث مروي عن أهل البيت عليهم السلام وفيه نهي شديد عن توفير الشارب.

ولقد ذكرنا طائفة من الأحاديث الشريفة في النهي عن توفير الشارب وفي ضوء هذه الأحاديث نعي تماماً الدسائس التي يحوكها الصوفيّون من أجل تزريق عقائدهم في المجتمع وخاصّة في شريحة العوام!!

وهذه من أبرز خصائصهم أعني الافتراء والكذب والتدليس ومن يقرأ كتاب «نشان از بی‌نشانها»[٢] سيجد معرضاً يضج بهذه التحريفات فهو يذكر عبارات على انّها أحاديث ثمّ بمراجعة مصادرها اذا بالمرء يجد صياغات جديدة تتلاعب بالأصل بطريقة تؤدّي إلى توليد معانٍ جديدة تصبّ في صالح الصوفيّين[٣].

وفي مقابل ما ورد من نهي شديد عن توفير الشارب الذي تزخربه الأحاديث الواردة من النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلّا ان القارئ يلاحظ أن مؤلّف الرسالة يستخدم عبارات من قبيل: «الدم يقطر من شواربه» و«النور يسطع من شواربه» من دون

---

١. مجمع البحرين ٣/٤٤١.
٢. عنوان عمّن ليس لهم عنوان.
٣. للمزيد من التفصيل انظر كتاب «العرفان وأهل البيت».

سند واسم للراوي ثمّ يجعل من هذه العبارات دليلاً على صحّة ما يذهب إليه ومشروعيّته!!

كلّ هذا سعياً من أجل بث الروح من جديد في ممارسات وتقاليد الزاردشتيين الذين اندثرت ديانتهم بعد ظهور الاسلام.

ويستمرّ مؤلّف الرسالة في اثارة الغبار حول الموضوع قائلاً:

«وكما قال جدّي الأمجد ان الدين لم يعقد بشعرة، لهذا لم يرد في هذا الموضوع، أمر ولا نهي وقد بقي اتباعه أحراراً وما يثير الدهشة اثارة مثل هذه الاشكالات»[1].

ان انكار الأوامر والنواهي الصادرة عن طريق أهل البيت عليهم السلام بهذه الوقاحة من خصائص أهل العرفان الصوفيّين أعني القائلين بـ«وحدة الوجود».

انّ الدين الذي قال عنه جدّه الأمجد انه لم يعقد بشعرة فماذا يعني الدين؟ أليس يعني نظام التشريع، ومن مقومات تكامله هو وجود أحكام لكلّ شؤون الحياة لتنظيم مسار الانسان بصورة دقيقة، فالتشريعات الدينيّة تتناغم مع المظاهر التكوينيّة في حياة الانسان.

فعلى سبيل المثال نلاحظ وجه الرجل ونقاط ظهور الشعر ثمّ فكر في رموش العيون، وثبات طول شعر الرمش فلو كان نموّه كنمو الشارب مثلاً أو اللحية لسبّب ازعاجاً مستمرّاً للرجل!

ان هذه الظاهرة الجزئيّة تقع تحت أمر وتدبير الخالق تبارك وتعالى وهو خالق

١. الرسالة ١٣٣.

الوجود بأمره ثمّ ارفع طرفك إلى السماوات وتأمّل ما يمكنك ان تراه بعينك المجرّدة من ملايين بل ومليارات النجوم يرتدّ إليك بصرك وهو حسير.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[١].

فهل يمكن القول ان نظام التكوين لم يعقد بشعره خاصّة ونحن نلاحظ نمو الشعر في وجه الانسان في نقطة وعدم نموه في نقطة أُخرى؟!

انّ الله عزّوجلّ خلق الوجود في أحسن تكوين من الذرات المتناهية الصغر إلى المجرّات العظيمة، وهكذا خالق عظيم شرّع للانسان أحكاماً في أدق تفاصيل حياته.

جاء في كتاب الكافي الجليل عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

«إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع العبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؟ إلّا وقد أنزل الله فيه»[٢].

وقال الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«انّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأُمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً»[٣].

---

١. فاطر: الآية ٥٧. ٢. الكافي ١/ ٥٩.

٣. الكافي ١/ ٥٩؛ بصائر الدرجات ٦؛ تفسير العيّاشي ١/ ٦.

فكما انّه لا توجد ذرّة من ذرّات عالم الوجود خارج القانون والنظام التكويني؛ كذلك لا يمكن لأيّ عمل وسلوك أن يكون خارج نظام التشريع.

ان حركة الوجود والنظام التكويني تحكمه قوانين تكوينيّة فهو يسير بمنتهیٰ الدقّة لا يحيد عن ذلك قيد أنملة أمّا النظام التشريعي فان مسؤوليّة تطبيقة يتحمّلها الانسان.

فالاسلام دين كامل ينظم حياة الانسان وحركته من خلال تطبيق أحكام الشريعة في واقع الحياة، ولأنّه دين كامل فهو يشتمل على جميع تفاصيل الحياة فهناك ما يعرف بالآداب الاسلاميّة التي أخذت بنظر الاعتبار آداب الدخول للحمام وآداب الطعام وآداب الكلام وحتّى في دخول المرافق الصحيّة ثمّة آداب؛ فهو يهتمّ بالنظافة وتقليم الأظافر والحلاقة من قصّ الشارب وازالة الشعر الزائد.

ولكن ما يخصّ قصّ الشارب فانّ الصوفيّين يقفون من ذلك موقفاً معارضاً ويحاولون بشتّى الوسائل خداع الناس البسطاء وتمرير تقاليد بالية من بقايا الزرادشتيّة تحت ستار مكشوف من الافتراءات والأكاذيب من قبيل قولهم: ان الأوامر في تقصير الشارب تفتقد الصحّة وأنّ الدين لم يعقد بشعرة كلّ ذلك من أجل الترويج لتصوّف ابن عربي الذي عمل شاه نعمة الله ولي علىٰ نشره في إيران.

الفصل الثالث

حول الفلسفة والكلام

الفلسفة كما هو معروف كلمة يونانيّة تتألّف في الأصل من مفردتين «فـيلا» وتعني «محب» و«سوفيا» وتعني «الحكمة».

وتعريف الفلسفة:

«معرفة حقائق الأشياء عن طريق الاستدلال والبراهين العقليّة بحسب القدرة البشريّة».

ومن ضرورات الحوار المثمر في أيّ مسألة ومنها الفلسفة؛ الحريّة وهي مـن الخصائص التي يصرّ عليها الاسلام بقوّة.

التحرّر والبعد عن التعصّب وما يترتّب على ذلك وينجم عنه من التخلّق بهذا الخلق في الرؤية الحرّة والموضوعيّة والتأمّل في الآراء والنظريّات ودراستها ومن ثمّ انتخاب الأفضل.

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾[1].

---

١. الزمر: الآيتان ١٧ ـ ١٨.

ان من علامات الايمان ألّا يستاء المعلم والمتعلّم، الاستاذ، والطالب من سماع الرأي ورأي الآخر، وألّا ينزعج من سماع الآراء التي تعارض رأيه والاصغاء إلى الجميع ان هذا من علامات الايمان في شخصيّة الانسان.

انّ التدقيق في الآراء واصغاء طالب العلم والتلميذ إلى أفكار استاذه والتأمّل فيها يعبّر عن نموه الفكري؛ فعلى سبيل المثال، نشير إلى ارسطو الذي كان من تلامذة أفلاطون درس الفلسفة على يديه أكثر من عشرين سنة وكان ذلك في عام ٣٥٠ قبل ميلاد السيّد المسيح عليه السلام.

وبعد تخرّجه وانفصاله عن استاذه اذا به يؤسّس لآراء فلسفيّة أُخرىٰ تخالف أُستاذه.

ولأنّنا نتحدّث عن الفلسفة فلتكن الشواهد والأمثلة من الفلاسفة؛ كان صدرالدين المعروف بـ«ملّا صدرا» مؤلّف الأسفار الأربعة من تلامذة «مير داماد» مؤلّف كتاب «القبسات» وقد خالف التلميذ استاذه في مسألة «الاصالة» فقال «باصالة الوجود» بينما كان الاستاذ يقول: باصالة «الماهيّة».

ولم يفسر هذا الرأي الجديد على انه اساءة أدب من التلميذ بحق استاذه بل العكس.

ان من أكبر الموانع التي تحول بين الانسان وبين بلوغه أو توصّله إلى الحقيقة في أيّ من المجالات أو العلوم العقليّة وبالتالي اكتشاف المعتقد الحق هو حب أو كره صاحب النظريّة.

«حبّ الشيء يعمي ويصمّ».

وفي كثير من الأحيان يؤدّي رأي لشخص معروف ومشهور إلى عدم التفكير

برأي يخالفه لأن صاحبه غير معروف!

إذ تلقي الشخصيّة بشهرتها العلميّة وموقعها الاجتماعي بظلالها على ما تحمله من أفكار ونظريّات وتكسبها هالة سحريّة وتمنحها مقومات الظهور والقوّة والقبول والاقناع.

ولذا من الضروري لأيّ باحث عن الحقيقة أن يتخلّص من هذه التأثيرات المشوّشة للرؤية الموضوعيّة والتي تقود الانسان إلى متاهة فكريّة لا ينجو منها بسهولة.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«لا يُعْرَفُ الْحَقُّ بِالرِّجَالِ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه»[١].

وهذه دعوة صريحة للتخلّص من تأثيرات الشهرة العلميّة والموقع الاجتماعي والمركز السياسي في ميدان الصراع الفكري والسياسي والعسكري عند ما يتحتّم على الانسان أن يصطف مع هذا الجانب أو ذاك.

يقول عليه السلام أيضاً:

«إنظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال».

ومن هنا فان معرفة حقيقة الأشياء كما جاء في تعريف الفلسفة أمر في غاية الأهميّة.

وقد دعانا القرآن الكريم ثمّ بعد ذلك أهل البيت عليهم السلام إلى التفكير والتأمّل.

• إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي

---

١. بحار الأنوار ١٢٦/٤؛ الطرائف ١٣٦/١.

ٱلْأَلْبَابِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١].

وقال عزّوجلّ:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَا خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾[٢].

من أجل تكوين تصوّر واضح عن الفلسفة وفهمها وبالتالي تقييمها ومقارنتها مع تعاليم الاسلام يتعيّن التدقيق في أسباب وعلل وكيفيّة ظهور الفلسفة في الحياة الاسلاميّة.

طبعاً ان حديثنا مع من يؤمن بالاسلام وحقانيّة هذا الدين الحنيف بكلّ وجودهم.

اتّفق الكثيرون من المشاهير ممّن يدافعون عن العقائد الفلسفيّة على أن تاريخ ظهور الفلسفة في حياة المسلمين يعود إلىٰ فترة الحكم الاموي والعبّاسي:

«وفي هذه البرهة من الزمن، نقلت علوم الأوائل من المنطق والرياضيّات والطبيعيّات والالهيّات والطب والحكمة العمليّة إلى العربيّة، نقل شطر منها في عهد الامويّين ثمّ أكمل في عهد العباسيّين فقد ترجموا مئات من الكتب من اليونانيّة والروميّة والهنديّة والفارسيّة والسريانيّة إلى العربيّة»[٣].

وعليه فانّ الفلسفة المترجمة المستوردة من اليونان والهند وفارس لا يمكن أن

١. آل عمران: الآيتان ١٩٠ ـ ١٩١. ٢. الروم: الآية ٨.
٣. تفسير الميزان ٥/ ٢٧٩؛ القرآن في الاسلام ٩٧؛ الاسلام والهيئة ٣٥.

يكون لها صلة مع الدين الاسلامي.

ان موقف الحكومات الامويّة والعبّاسيّة المتعاقبة العدائي ازاء أهل البيت عليهم السلام يلقي بظلال من الشكّ على المشاريع الثقافيّة في نقل الأفكار الفلسفيّة وتوريدها والعمل على نشرها في الحياة الفكريّة.

ومن المؤكّد ان تلك المشاريع الثقافيّة الخطيرة التي جاءت بمختلف الأفكار والعقائد الغريبة كانت تهدف إلى صرف عموم المجتمع الاسلامي بعيداً عن أهل البيت واغراق الأُمّة الاسلاميّة في فوضى فكريّة والتشويش على الفكر الاسلامي الأصيل النابع عن علوم الوحي التي لم يكن يحملها إلّا أئمّة الهدى من أهل بيت الوحي والنبوّة ومعدن الرسالة.

وهناك شواهد تاريخيّة ووثائق تثبت الدور الحكومي الكبير في هذا الغزو الثقافي من خلال حجم الاغراءات وضخامة التخصيصات الماليّة التي كانت تمنح للمترجمين(١).

فاذا علمنا ان هارون الرشيد على سبيل المثال كان يمنح المترجم مبلغاً قدره خمسمئة دينار في الوقت الذي بلغت قيمة الناقة في السوق آنذاك أربعة دنانير فقط؛ أدركنا حجم الاغراء واكتشفنا الأسباب التي تكمن وراء ازدهار سوق الترجمة من شتّى اللغات الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة!

وكان أباطرة الرومان عادة ما يتلقون رسائل من الخلفاء العباسيّين تتضمّن طلباً في ارسال كتب فلسفيّة ولم تكن القسطنطينيّة لتتردّد في الاستجابة السريعة:

---

١. حياة الامام موسى الكاظم عليه السلام ٢ / ٢٩.

«وقد أدّى شيوع وانتشار الثقافة والفكر اليوناي في بلاد الاسلام إلى زعزعة دعائم وحدة الأُمّة الاسلاميّة وبالتالي التمهيد لتشرذمها»[١].

وقد فعلت الأفكار والفلسفات والنظريّات المستوردة فعلها الخطير في تضليل الأجيال في وقت كانت في أمسّ الحاجة إلى ترسيخ العقائد الاسلاميّة الأصيلة المنبثقة من كتاب الله العزيز ومن خلال أئمّة الهدى من آل الرسول ﷺ حملة علوم الوحي و«أهل الذكر» و«الراسخون في العلم» و«أُولي الامر» الحقيقيّين.

ونتيجة لشيوع الثقافات والأفكار الأجنبيّة القادمة من وراء الحدود ظهرت الفرق والمذاهب والتيارات الفكريّة والدينيّة المختلفة وكانت ارهاصاتها تتمثل بالجدل الفلسفي والكلامي، فتبلورت بدايات ظهور المدارس المتناقضة والمتصارعة من قبيل المعتزلة والأشاعرة والمرجئة وغيرها وقد بلغت حدّه التناقضات فيما بينها حدّاً راح بعضها يكفّر بعضاً ويلعن بعضها بعضاً وتحوّلت الأُمّة الواحدة إلى مجموعات طائفيّة متنازعة.

وفي فترة ضعف الحكم الاموي وظهور ارهاصات التغيير والاطاحة بالدولة الامويّة وانتقال السلطة إلى العباسيّين توفّرت فرصة لانفراج سياسي واتّساع نطاق الحريّة الفكريّة فراح الامام الصادق عليه السلام ينشر علوم الوحي والقرآن وتعاليم الاسلام كما جاء به جدّه محمّد ﷺ وبلّغه أئمّة الهدى من آبائه الكرام عليهم السلام.

وكانت هذه الفرصة تاريخيّة استثنائيّة سرعان ما راحت الحكومات العباسيّة تعمل على تضييق الخناق على أئمّة الهدى عليهم السلام وتلامذتهم والمقرّبين من مريديهم وأصحابهم.

---

١. ناسخ التواريخ ١/٥٤٣.

وفي مقابل موقف أهل البيت عليهم السلام المعارض لتوريد الثقافات والأفكار الغريبة والدعوة إلى الانتهال من علوم القرآن «الذي لا تفنى عجائبه» والذي «فيه تبيان كلّ شيء» راح البعض من مروجي الفلسفات الأجنبيّة يطمئن المتوجسين من تيار الترجمة ونقل الثقافات الغريبة بقوله: «انّنا نأخذ من علوم الأجانب ما وافق القرآن والسنّة ونطرح ما يخالفهما، وهذا الاسلوب يوصي به قرآننا واذن لا داعي للقلق».

ان هذا الاسلوب في الالتفاف على الفكر الاسلامي الأصيل وكان من أنجح الأساليب في تحقيق أهداف من كان يعمل على شيوع الأفكار والنظريّات والفلسفيّات الغريبة والتي راحت تنفذ في جسد وروح الأُمّة وتعمل على الفتك بكيانها ومسخ هويّتها. ترى أين هي المرجعيّة في تشخيص ما يوافق القرآن وما يخالفه؟!

لأن المرجعيّة الحقيقيّة في ذلك هم حملة علوم القرآن وقد كانوا محاصرين مضطهدين بين معتقل سجين في سجون تحت الأرض وبين محاصر بالجواسيس قد فرضت عليه الاقامة الجبريّة بعد استدعائه قسراً من موطنه في مدينة جدّه ليعيش في عاصمة الدولة مراقباً من أجهزة الدولة الاستخباراتيّة؛ وهكذا فتحت الأبواب على مصاريعها لنفود مختلف الأفكار والنظريّات الفلسفيّة التي مهّدت لانبعاث الزنادقة من جديد.

ان القرآن الكريم هو كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو المصدر الوحيد للهداية.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ

صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[١].

وقال عزّوجلّ:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٢].

وقال سبحانه:

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣].

وعليه فان ادراك معارف القرآن الكريم وعلومه بحاجة إلى معلّم للقرآن يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده الأوصياء من أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

لنتأمّل في هذا النص من خطبة للامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ـ صلّى الله عليه وآله ـ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ»[٤].

ولهذا أمر رسول الله أُمّته بالتمسّك بالقرآن الكريم وبأهل بيته الكرام في الحديث المعروف بحديث الثقلين وهو من الأحاديث المتواترة التي يرويها الفريقان.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

١. إبراهيم: الآية ١.
٢. النحل: الآية ٤٤.
٣. النحل: الآية ٦٤.
٤. نهج البلاغة ١٤٧.

«يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها، فمن أتى من الباب وصل.

يا علي أنت بابي الذي أوتى منه وأنا باب الله فمن أتاني من سواك لم يصل إليّ ومن أتى الله من سواي لم يصل إلى الله»[1].

انّ مهمّة تعليم القرآن الكريم في عهد الرسالة كانت مسؤوليّة الرسول الأكرم ﷺ فقد كان يبين أحكام الكتاب وتعاليم الاسلام، ومفاهيم القرآن الكريم وهذه لا تنتهي بوفاة النبي ﷺ بل تستمر من خلال الأوصياء وهم الأئمّة الأطهار من آله ﷺ فمنزلة الامام المعصوم في الأُمّة بعد الرسول ﷺ بمنزلة الرسول ﷺ في الأُمّة في حياته.

ومن الطبيعي ان كلّ فرقة من الفرق الاسلاميّة في غياب تلقي مفاهيم القرآن الكريم من معلمي القرآن سوف تجنح إلى تأويل آياته ليتماشى مع عقائدها؛ ذلك ان الانسان يحترم عقائده السابقة ولا يحكم ببطلانها بسهولة ولأنّ النصّ القرآن نص بعيد الغور في معانيه وهو «حمال أوجه» فان حامل كلّ عقيدة يتصوّر ان النص القرآني ينسجم مع عقيدته!

ومن هنا نرى الفلاسفة المسلمين وبعد الجدل الطويل والعريض حول صدقيّة عقائدهم يستندون إلى بعض آيات القرآن الكريم!

فهل ان القرآن الكريم هذا الكتاب الالهي يؤيّد ويسند آراء وعقائد جميع الفلاسفة بالرغم من تناقضاتهم؟!

والعارف والصوفي هو الآخر يحاول أن يجد في القرآن مأربه في آية تؤيّد

---

١. أمالي الشيخ الصدوق ٥٦٦؛ جامع الأخبار ١٤؛ تفسير فرات ٢٦٥.

عقيدته في «وحدة الوجود» لذلك يقول:

«فليتدبّر في قوله:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّماءِ إِلٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

فاذا تحقّق ذلك ينكشف علىٰ بصيرتك بشرط السلامة ورفض غبار العصبيّة انّه كلّ الأشياء باعتبار سريان الهويّة وإطلاق السلطنة وليس بشيء منها باعتبار الحد والتعيّن المعانق لهما.

فليتأمّل في قول مولى الموحّدين وسلطان العارفين وأميرالمؤمنين:

«**داخل في الأشياء لا بالمجازفة وخارج عنها لا بالمزايلة**» وقوله: «**وحكم البينونة بينونة صفة لا بينونة عزلة**».

أقول: ان جميع العبارات التي يستند إليها الصوفي والعارف انّما هي أدلّة ساطعة على بطلان هذه المزاعم في «وحدة الوجود» وليس في اثباتها!

١ ـ هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله.

ان من لوازم المطلق واللامتناهي لذات البارئ هو الحضور في كلّ مكان ولقد أشرنا إلى هذا الموضوع لدى مناقشتنا وشرحنا الآية الكريمة:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ ﴾.

يقول الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام:

«**إِنَّ اللهَ لا يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ عَظُمَ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ فَكَيْفَ يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ مَنْ لا يُحَدُّ وَلا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**»[2].

---

١. زخرف: الآية ٨٤.

٢. بحار الأنوار ٣/٣٠٨؛ الكافي ١/١٠٠.

ولقد فصّلنا القول فيما مضى من فصول الكتاب وقلنا ان من لوازم اللامتناهي وجوده في كلّ مكان و «لم يخل عنه مكان».

٢ ـ «هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن».

وهذا الموضوع أشرنا إليه فيما مضى فليراجع القارئ الكريم حديثنا في خصوص هذه الآية الكريمة ليلمس حقيقة ما تشير إليه الآية؛ وانّها على العكس تبطل فكرة «وحدة الوجود».

٣ ـ فيما يخصّ الاستشهاد بحديث أميرالمؤمنين عليه السلام:

«داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة».

وهذا أيضاً أشرنا إليه وتحدّثنا عنه وللقارئ الكريم الحكم في دلالة الحديث على وحدة الوجود واتّحاد الخالق والمخلوق أو على بطلان ذلك؟!

واذن فانّ الاستناد إلى الآية والرواية الانفة الذكر في اثبات «وحدة الوجود» هو قفز على الحقيقة.

ومن هنا فانّ الفلسفة وجدت رواجاً في الحياة الفكريّة للمسلمين ابتداءً على نحو «الكلام» مع هذا المعيار وهو انّهم يأخذون ما وافق القرآن الكريم وبحسب رؤيتهم في التشخيص!

وهكذا شهدت البلاد الاسلاميّة وبعد انتقال الأفكار المسيحيّة والفلسفة اليونانيّة بدءً بأفلاطون وانتهاءً بافلوطين ومروراً بالفلسفة الأخلاقيّة الرواقية ظهور وتبلور علم للكلام تحت عنوان «تئولوجي» أو معرفة الله وكان قدماء المسلمين ومترجمي الفلسفة نقلوا كلمة «تئولوجي» إلى «اثولوجيا» وما تزال تكتب على هذا النحو حتّى الآن.

ونظرة في تاريخ الفكر الاسلامي نلاحظ كيفيّة تبلور الفرق الكلاميّة؛ وقد كان المسلمون الذين يؤمنون بعظمة القرآن الكريم ويرون فيه ذروة الكمال لا يذعنون للعقائد والآراء اليونانيّة المستوردة بسهولة؛ وكانت فرقة المعتزلة قد ظهرت مع انتشار الفلسفة وسبقت ظهور الأشاعرة وهي أقرب إلى الحقائق الاسلاميّة من الأشاعرة ومن المرجئة وغيرها.

ولأنّ الأثر المخرّب للمؤامرات والدسائس يظهر تدريجيّاً في عقائد المجتمع فقد فعلت الفلسفات المستوردة فعلها في تمزيق الأُمّة الاسلاميّة لتظهر المذاهب المتعدّدة المتصارعة فيما بينها فعلى سبيل المثال يؤمن المعتزلة الذين سبقوا الأشاعرة في الظهور بالعدل الالهي فيما ينكر الأشاعرة ذلك.

كذلك يؤمن المعتزلة بالحسن والقبح العقليّين بينما ينكر الأشاعرة ذلك أيضاً.

وكذلك يقول الأشاعرة بأنّ الصفات زائدة على الذات اضافة إلى القول بقدم هذه الصفات!

ومع نفوذ الفلسفة في المجتمع الاسلامي راحت الفرق الكلاميّة التي بدأت بالظهور تدريجيّاً تواصل رحلتها في الابتعاد عن الحقائق الاسلاميّة شيئاً فشيئاً.

ومع انّ المسلمين في بداية عصر الترجمة كانوا يبدون حساسيّتهم ازاء الفلسفات والأفكار الواردة عاقدين العزم على الأخذ بما يتوافق مع القرآن الكريم إلّا انّ غياب أو تغييب المرجعيّة العلميّة في تشخيص الموافق والمناقض للقرآن الكريم أدى في النهاية إلى نفوذ الفلسفات الأجنبيّة وسيطرتها على الحياة الفكريّة وتحوّلت آراء الكلامين إلى فلسفة.

ان الفارق الأساسي والحدّ الفاصل بين الكلام والفلسفة هو في تطابق

الموضوعات الفلسفيّة مع العلوم القرآنيّة وقد كان هذا شرطاً للمتكلّمين بينما لا يشترط الفلاسفة ذلك.

فعلى سبيل المثال يقول المتكلّم:

«كلّ حادث معلول ويحتاج إلى علّة» و«القدم أمر ينحصر بذات الباري فقط».

بينما يقول الفيلسوف الاسلامي:

«المعلول والذي يحتاج إلى علّة ممكن لا حادث» وبالتالي فهم يقولون بقدم العالم وأزليّته[1] يتبعون في ذلك المعلّم ارسطو وفي الحقيقة افلوطين اللذين قالا بذلك قبل آلاف السنين.

فالفيلسوف لا يرى نفسه ملزماً بقبول العقائد التي توافق الدين، بل ما يراه هو حقاً وإن كان مخالفاً للدين!

وإليك هذا النص من أحدالفلاسفة المشهورين يبين فيه آداب شرب الخمر مع ان الاسلام حرّم تناوله يقول هذا الفيلسوف الاسلامي في كتابه «أخلاق الناصري»[2].

«آداب شرب الخمر: فعلى من يحضر مجلس شرب الخمر أن يجلس قرب أحد مجانسيه؛ وأن يحترز من الجلوس عند من هو موسوم بالسفاهة وأن يفرح المجلس بقصص ظريفة وأشعار مليحة، تناسب حال الجلوس وأن يتجنّب عن

---

١. الأسفار الأربعة ٣/٤٨٧؛ فصوص الحكم ١٧٧؛ علي والفلسفة الالهيّة ٦٧.

٢. الخواجه نصيرالدين الطوسي.

العبوس والقبض، وإن كان هو أصغر سنّاً من مجالسيه أو أدنى رتبة فليكن مستمعاً وإن كان المطرب حاضراً أن لا يخوض في القصّة، ولا يقطع حديث النديم؛ وفي كلّ حال أن يقبل إلى رئيس المجلس مستمعاً لأقواله مع عدم صرف النظر والالتفات عن السائرين، وأن لا يدوم مقامه في حالة تستوجب سكرانه لأنّه ليس في الدين والدنيا شيء أضرّ من السكران، كما انه ليس شيء شرفاً يقابل العقل والذكاوة.

فان كان ضعيفاً في شرب الخمر، فليشرب قليلاً، أو يجعل الشراب مختلطاً أو يترك المجلس في حالة قلّة من السكر.

وان بلغ المجالسون حالة السكران قبل مقام احتياطه، فعليه أن يسعى بالخروج من عندهم؛ أو يسعى بخروجه عن الجمع تساكراً وأن لا يخوض في حديث السكر أو أن لا يشغل نفسه معهم.

وإن انتهى ذلك إلى الخصومة والجدال، فعليه حينئذٍ أن يمنع بعضهم عن بعض.

وإن كان قويّاً على الشرب، فلن يسأل أزيد ممّا يدور، ولا يكلّف الأصحاب بذلك وان عجز أحد منهم من الشرب فليمنع عن العنف عليه وإن غلبت عليه حالة الغثيان فليعمل بحيث لا يقف مصاحبيه عن حاله أو ترك المجلس وعليه ألا يعود إلى المجلس بعد الفراغ عن الغثيان وأن لا يأخذ من الفواكه والرياحين الموجودة عند مصاحبيه شيئاً وأن لا يسعى في ايجاد النشاط في المحفل منفرداً لأنّ ذلك يستوجب تصغيره وأن لا يقيم من مقامه كثيراً، وأن لا يمدّ النظر إلى ذي جمال كثيراً إن حضر... وإن اضطر ترك المجلس سريعاً، وعليه أن لا يحضر مجالس السفهاء؛ وإن خاف السكران وجلساؤه يسأله الاقامة فعليه أن يترك المجلس

بالتساكر، وهذا ما كنّا وعدنا من الآداب»[١].

واذن فلقد أدّى نفوذ الفلسفة في المجتمع والامّة الاسلاميّة إلى انـقسامها إلى فرق ومذاهب مختلفة وطوائف متناحرة يعادي أحدها الآخر ويخاصمه.

وقد ذكرنا كيف ان شاه نعمة الله ولي يعلن في أشعاره:

فأنا السني الأشعري وخصم المعتزلي.

وكذا ما أشرنا إليه من أشعار مولانا جلال الدين الأشعري المذهب في مهاجمته للمعتزلة:

اسارى الحس أهل الاعتزال يزعمون السنن! يا له من ضلال!!

كلّ من يبقى أسير الحس معتزلي وإن قال أنا سني فهو جاهلي.

ان من أفضل الطرق للحؤول دون تقدّم الأُمّة ورقيها الفكري والحـؤول دون انتشار العلوم والمعارف الحقّة هو القيام بـترجـمة ونشـر النـظريّات والأفكـار اليونانيّة المستوردة واشاعتها في الحياة الفكريّة للمجتمع المسلم وهذا ما قام به أعداء الاسلام وأعداء أهل البيت الكرام عليهم السلام.

وبمرور الزمن فان رجـالات الفـرق الكـلاميّة التـي كـانت تـقارن العـقائد المستوردة ومن ثمّ تمريرها اندثروا وتربعت الفلسفة على عرش الفكـر لتكـون منهجاً جديداً لحل المشكلات الفكريّة والكشف عن الحقائق.

«وقد اتّخذ كتاب تجريد الاعتقاد للطوسي في أكثر من تسعين بالمئة منه صبغة فلسفيّة»[٢].

---

١. اخلاق الناصري ١٩٥.

٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، قسم الكلام ٤٨ ـ ٥٠.

ويجمع الباحثون على ان الفلسفة ثقافة مستوردة ومترجمة إلى اللغة العربيّة ومع ذلك فأن البعض ممّن يؤيّد الفلسفة يقول:

«وحتّى الفلسفة أيضاً وإن اتّخذت في بدء ظهورها شكلها اليوناني عند ما دخلت البيئة الاسلاميّة وبقيت فترة على هذا النحو الّا انّها بعد ذلك اتّخذت لون البيئة الجديدة»[١]. ترى ما هي الانعكاسات التي تركتها الفلسفة في البيئة الاسلاميّة وما هو دور الحكومات الجائرة آنذاك؟

وما هي العوامل التي افضت إلى ظهور طرق التفكير الجديدة في المجتمع؟

انّ القرآن الكريم هو كتاب سماوي وهو علم جديد وهو «أحسن الحديث»؛ غير ان الحكومات التعسفيّة حالت دون انتشار علوم القرآن الكريم وحوصر واضطهد واغتيل معلموه حملة علوم الوحي وأهل الذكر والراسخون في العلم.

وفي مقابل هذا التضييق على أهل البيت والحؤول دون انتشار علوم القرآن الكريم فتحت الأبواب على مصاريعها لاستيراد مختلف الأفكار والعقائد الغريبة التي يعود تاريخها إلى عصور غابرة.

ويمكن القول بكلّ جرأة ان ترجمة الفلسفة واستيراد الأفكار اليونانيّة إنّما هي مؤامرة لابعاد الأُمّة الاسلاميّة عن قادتها الحقيقيّين وهم أئمّة الهدى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام للحارث:

«**إنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاه**»[٢].

---

١. القرآن في الاسلام، العلّامة الطباطبائي ٩٧.

٢. نهج البلاغة: ٢٦٢.

وانعدام المعرفة موضوع عام؛ وحده العلم والتعلّم الذي يبدد الجهل ويكافحه في المجتمع وكثيرة هي الأحاديث الشريفة التي صدرت عن النبي ﷺ لحثّ الناس على طلب العلم وفي فترة مبكرة جداً من تاريخ الاسلام مارست الحكومات سياسات جائرة ضد أهل البيت عليهم السلام؛ حتى ان الكثيرين كانوا يواجهون مصاعب كبيرة لدى محاولتهم الاتّصال بالأئمّة الأطهار عليهم السلام لذلك وأمام الظمأ العلمي المتأجّج والتضييق على المصادر الحقيقيّة، كان استيراد النظريّات والأفكار من خارج الحدود حلّاً لاطفاء هذا العطش في الحياة الفكريّة.

واذن فان الفلسفة هي التي أثرت في البيئة الاسلاميّة وليس العكس.

انّ تأسيس علم الكلام على اسس فلسفيّة مستوردة كان مشروعاً حكوميّاً أُريد من ورائه تمزيق وحدة الأُمّة لتصبح فرقاً متعدّدة متنازعة فكانت المعتزلة والأشاعرة والمرجئة وغيرها من الفرق.

وبمرور الزمن كانت وتيرة تشكّل وتبلور فرق جديدة مستمرّة، وباتت ظاهرة الانقسام هي الطابع السائد في الحياة الفكريّة بحيث نجد ان المعتزلة وحدهم انقسموا إلى اثنين وعشرين مجموعة!

في حين ان صوت القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى الوحدة وينهى بشدّة عن التفرّق.

﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[١].

ومن هنا فانّ التفرقة من خصائص المجتمعات المشركة والوثنيّة.

---

١. الروم: الآيتان ٣١ ـ ٣٢.

واذن فان في طليعة العوامل التي تفرق المجتمع هي عدم معرفة الله (الكفر) والشرك.

واذن فانّ الفلسفة التي كانت في طليعة العوامل في تفريق الأُمّة الاسلاميّة الواحدة هي في حقيقتها كفر.

ولذلك كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يحذّرون من أصحاب الكلام وكانت تحذيراتهم تصدر كلّما سنحت الظروف.

يقول الامام محمّد الباقر عليه السلام لأحد أصحابه (أبو عبيدة الحذّاء):

«إيَّاكَ وَأَصْحَابَ الْكَلامِ وَالْخُصُومَاتِ وَمُجَالَسَتَهُمْ فَإِنَّهُمْ تَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِعِلْمِهِ وَتَكَلَّفُوا مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِعِلْمِهِ حَتَّى تَكَلَّفُوا عِلْمَ السَّمَاءِ»[1].

وتأمّل هذه الجملة: «تركوا ما امروا بعلمه».

وما تنطوي عليها من الدلالة في انّ المنهج الفلسفي لا ينسجم مع الاسلام في مضمار معرفة الله.

«وحتّى تكلّفوا علم السماء» واتّجهوا إلى علم الهيئة والكواكب والسيّارات وجعلوا الكلّ فلك من الأفلاك نفساً ناطقةً لها عقل وادراك وكانوا يقولون بأن تدبير شؤون العالم ومنها الانسان تتحكّم به النفوس الفلكيّة!

والآن ماذا حلّ بتلك الأفلاك؟

وأين ذهبت تلك النفوس الفلكيّة؟!

وقد انكشفت الحقائق الفلكيّة في العصر الحاضر وظهر ان كلّ ما قيل ويقال من

---

١. بحار الأنوار ٢/١٣٧؛ وسائل الشيعة ٦/٤٥٩.

النفوس الفلكيّة الناطقة التي تتحكّم بشؤون العلم وحركة الانسان كانت مجرّد خرافات! وما يثير الدهشة انّ كلّ تلك الخزعبلات ما تزال تدرّس حتّى الآن في بعض الأوساط الدينيّة وما يزال البعض حتّى اليوم يصمّ اذنيه عن سماع توصيات أهل البيت عليهم السلام في ذلك!

وما يزال البعض يدافع عن نظريّات وأفكار فلسفيّة يعود تاريخها إلى آلاف السنين!

وما يزال البعض يقول:

ـ حاشا لفيلسوف عظيم مثل ارسطو أن يكون مخطئاً لهذا نراهم يشكّكون بمعطيات وكشوفات العلوم الحديثة ويصمّون آذانهم عن سماع وصايا أهل البيت عليهم السلام [١].

انّ الدخول في هذه الدائرة لا يعود على المرء إلّا بالمزيد من الحيرة ولا يقوده إلّا إلى متاهة لا يبصر فيها طريقة؛ ظلمات بعضها فوق بعض:

يقول الامام محمّد الباقر عليه السلام:

---

١. جاء في الروايات عن عبدالله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر (الامام الباقر عليه السلام) فقال له ررجل من أهل البصرة يقال له عثمان الاعمى: ان الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم من يدخل النار!

فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك اذن مؤمن آل فرعون والله مدحه بذلك؛ وما زال العلم مكتوباً منذ بعث الله عزّوجلّ رسوله نوحاً!

فليذهب الحسن يميناً وشمالاً؛ فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا!

وكان عليه السلام يقول: محنة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا!

بحار الأنوار ٢ / ٦٤ ـ ٦٥. المترجم.

«تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلا تَتَكَلَّمُوا فِي اللهِ فَإِنَّ الْكَلامَ فِي اللهِ لا يَزْدَادُ صَاحِبَهُ إلّا تَحَيُّراً».

وجاء في الأخبار عن الامام الصادق عليه السلام:

«دخل عليه قوم من هؤلاء الذين يتكلّمون في الربوبيّة، فقال أبو عبدالله عليه السلام: **اتّقوا الله وعظّموا الله ولا تقولوا ما لا نقول**»[١].

واذن فانّ الكلام في ذات الله عزّوجلّ أمر يتنافى مع تعظيم الله سبحانه ولذلك يقول عليه السلام:

«ويل لهم ان تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون»[٢].

انّ القرآن الكريم وتعاليم حملة علوم القرآن وأهل الذكر يدعون إلى التفكير في مخلوقات في أعماق النفس الانسانيّة أي الغوص في الأعماق والسير العقلي في الآفاق حيث خلق الله الآيات التي تقود الانسان إلى معرفة الله عزّوجلّ.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«يَا هِشَامُ! مَا بَعَثَ اللهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللهِ فَأَحْسَنُهُمُ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً وَأَكْمَلُهُمْ عَقْلاً أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[٣].

ماذا نفعل؟ كلّما جاء ذكر للعقل أو ورد حديث عن أهل البيت يوصي باتباع

---

١. وسائل الشيعة ١٦/ ١٩٩؛ التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٧.

٢. وسائل الشيعة ١٨/ ٤٥؛ الكافي ١/ ١٧١.

٣. الكافي ١/ ١٦؛ بحار الأنوار ٦٧/ ١٥٦.

العقل، قال عشاق الفلسفة: ان مراد الامام المعصوم هو الحض على تعلّم الفلسفة؟!

فهل انّ الامام المعصوم يجهل هذه المفردة أو لم يسمع بوجود الفلسفة؟!

فلماذا اذن لا نجد حديثاً واحداً عن أهل البيت يمجّد فيه الفلسفة؟! بل العكس تماماً إذ ان ما وصلنا من الأحاديث الشريفة إنّما هي في ذمّ هذه الثقافة المستوردة وان المرء ليجد زخم الحديث الشريف باتّجاه الدعوة إلى طلب العلم والحكمة والتزيّن بجميع الفضائل بشرط أن نسلك في ذلك الطريق الصائب!

ان تلقي المعارف والعلوم الدينيّة ينحصر بأهل البيت عليهم السلام ذلك ان العلوم الوحيانيّة يحملها أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة.

ففي الوقت الذي نشاهد فيه حثاً قويّاً على طلب العلم نلاحظ في المقابل تحذيراً من الفلسفة والكلام.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

والتعقل يعني الاستضاءة بنور العقل وهذه هي دعوة القرآن الكريم الذي لم يدع إلى الفلسفة!

فما الذي حصل لكي يترجم البعض مفردة العقل إلى الفلسفة؟!

هل تعجز مفردة العقل والمعقولات عن ايصال مفاهيمها.

لماذا نستبدل هذه المفردة بمفردة غريبة، أصبحت اليوم مثاراً للسخريّة في

---

١. يونس: الآية ١٠٠.

جميع الأوساط العلميّة؟!

واذن فأين البصيرة والرؤية والوعي والنمو الفكري لدى عشاق الفلسفة والعرفان والتصوّف وهم ما يزالون حتّى الآن اسرى مقولات فلاسفة ما قبل الميلاد يعتقدون بها ويروجون لها.

ان كلّ عضو من أعضاء أهل بيت الوحي، هو امام لنا ودليل من قبيل الامام أميرالمؤمنين والامام الباقر عليه السلام الذي يقول:

«كُلُّ مَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ»[١].

ثمّ يشير إلى نفسه ممثلاً:

«إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ وَلا صَوَابٌ إِلّا شَيْءٌ أَخَذُوهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْت»[٢].

وما أكثر مثل هذه الأحاديث؟

فهل ان مقولات الافلاطونيّين والارسطيّين والافلوطينيّين من أهل البيت عليهم السلام أو تحظىٰ بتأييد أهل البيت عليهم السلام.

لقد نهض علم الكلام على أساس الأفكار اليونانيّة المستوردة وظهر أوّل ما ظهر لدى أهل السنّة وبسبب نهي أئمّة أهل البيت شيعتهم من الاقتراب من تلك المجالس التي كانت تضجّ من الجدل وتعجّ فقد كانوا في مأمن من مخاطرها.

وقد كان الأئمّة يحذرون بمختلف الأساليب شيعتهم من ذلك من قبيل قولهم ان شروط المعرفة بحقّهم عدم التمسّك بغيرهم:

---

١. بحار الأنوار ٢/٩٤؛ وسائل الشيعة ٢٧/١٣٠.

٢. بحار الأنوار ٢/٦٤؛ أمالي المفيد ٩٥.

«كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا»[١].

ان شرط قبول القضايا الفلسفيّة المستوردة من اليونان هو تطابقها مع الاسلام لم يدم طويلاً وهكذا نفذت الأفكار الفلسفيّة في عمق الحياة الفكريّة الاسلاميّة.

وقد كان الشيعة وببركة وجود الأئمّة الأطهار عليهم السلام في مأمن من نفوذ الأفكار الغريبة وتأثيراتها إلى حدّ ما غير انه مع بدء عصر الغيبة الكبرى حدث نوع من الانفصال بين الشيعة وبين الأئمّة من آل النبي صلى الله عليه وآله فابتعدوا عن تلك الينابيع الصافية لعلوم الوحي والرسالة وحدثت الطامّة الكبرى.

يقول الشهيد مرتضى مطهري:

«ان الامام الصادق عليه السلام بتقديمه هشام المتكلّم على أرباب الفقه والحديث إنّما كان يهدف في الحقيقة إلى الارتقاء ببعض القيم الاعتقاديّة واظهار مكانة الكلام أعلى من الفقه والحديث.

ومن البديهي أن يكون لهذا التعامل من لدن الأئمّة الأطهار تأثيراً كبيراً في ترويج علم الكلام وفي انّ العقل الشيعي في البدء هو عقل كلامي فلسفي»[٢].

ان عدم صحّة هذا الرأي واضحة لأنّه لا يوجد في الاسلام موضوع أو علم باسم «الكلام» بل ان هذا الاصطلاح لم يظهر إلّا بعد ترجمة الفلسفة وتشكّل المجموعات التي كانت تتلقّى مقولاتها بينما كان أهل البيت يحذّرون منها.

انّ الفقه هو علم واسع يشتمل على العلوم والمعارف الاسلاميّة ولا يطلق مصطلح الفقيه على شخص ما حتّى يلمّ بجميع تلك العلوم والمعارف من كلّ

---

١. بحار الأنوار ٢٧/ ١١٧؛ وسائل الشيعة ١٧/ ٨٤؛ الفصول المهمّة ٢٢٥.

٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، قسم الكلام ٥٦.

ابعادها ويكون عالماً بها متخصّصاً بأصلها وهو الالهيّات.

فالالهيّات ومعرفة الله في الاسلام هي المعقولات التي يبحثها الفلاسفة الارضيين باسلوب آخر.

قال تبارك وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وعليه فانّ التفقّه في الدين يعني تعلّم علوم الدين على نحو يجعل منه متخصّصاً عالماً واعياً للحقائق ليمكّنه فيما بعد من هداية الآخرين واذن فانّ التفقّه وعلم الفقه في الشريعة هو العلم بالدين والعالم به.

ولهذا نجد في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حضاً لنا على التفقّه في أمر الدين.

ومن خلال اتقان العلوم الوحيانيّة للاسلام والتخصّص فيها والتي تخطى بأهميّة فائقة لتدعى بـ «الفقه الأكبر» يمكن استنباط الأحكام العمليّة يعني ادراك ما أمرنا الله به عن طريق أهل البيت عليهم السلام من هذه المسائل التي تدعى بـ «الفقه الأصغر» لهذا السبب.

ولهذا فان من يخفق في اتقان الفقه الأكبر بسبب انتهاجه طريقاً مغايراً أو لم يبلغ فيه درجة التخصص فانه لا يمكنه أن يتقن الفقه الأصغر وهو استنباط الأحكام العمليّة.

---

١. التوبة: الآية ١٢٢.

ومن هنا فانه في التفقّه في الدين واتقان الفقه الأكبر، يفقد علم الكلام معناه ويصبح المتكلّمون في ضوء الدين فريقاً لا جدوى منه ولا فائدة.

ان العلوم الوحيانيّة للاسلام الحنيف لا صلة لها مع الفلسفة والعرفان حتّى يقال اطلق على هذا الفكر الفلسفي للدين اسم الكلام.

وما يؤيّد ذلك هو كلام الاستاذ نفسه في بيان مفهوم الفقه:

«في ضوء القرآن والسنّة ان «الفقه» علم واسع وعميق بالمعارف والتعاليم الاسلاميّة ولا يختصّ بقسم خاص»[1].

وتأسيساً على هذا التوصيف فانّ الفقيه في الدين شخص عالم بالالهيّات وبالتالي عالم بالعلوم والاصول الاعتقاديّة وعالم بالأحكام وكلّ ما له صلة بالدين.

ومع ظهور العلوم التجريبيّة توصل الانسان إلى معطيات تنقض ما قرّرته الفلسفة وقد دفع هذا الوعي الجديد بالبشر إلى اعتماد العلم التجربي أكثر فأكثر واستناد كلّ فرقة وفريق إلى الاستدلالات الفلسفيّة الخاصّة في نظرياتها توصل كلّ منها إلى يقينات مختلفة وبالتالي اعتقاد كلّ فريق بحقانيته.

وقد ظهرت خرافيّة الفرضيّات الفلسفيّة في جميع المجالات من قبيل الهيئة (الفلك) والطبيعيّات وغيرها ما دفع بالانسان إلى التوجّه نحو العلوم التجربيّة وانطلاق النهضة العلميّة وتحصيل المواضيع العلميّة في مختلف المجالات والاتّجاه نحو التخصّص والبحث في حقيقة كلّ مادّة وخواصّها بعيداً عن البحث

---

١. نبذة عن العلوم الاسلاميّة قسم الفقه ٥٤.

في حقائق الأشياء على نحو عام كما كان سائداً في الفسلفة.

وهكذا كلفت كلّ مجموعة من العلماء وكلّ فريق على البحث ودراسة موضوع علمي ما؛ فقصر عمر الانسان ومشكلات العيش لم تعد تمنحه الفرصة للبحث في أكثر من موضوع.

في الماضي كان الفيلسوف وتحت لافتة «البحث في حقائق الأشياء» يتطرّق إلى البحث في كلّ المواضيع العقليّة وبالتالي وبحسب تصوّراته انه أصبح وعن طريق الاستدلالات الفلسفيّة والتي يدعوها بالعقل عالماً بكلّ علوم عصره.

وعليه فانّ الفيسلوف آنذاك كان رياضياً وعالماً بالطبيعيّات وفلكيّاً وطبيباً وموسيقيّاً و... ذلك انّ هذه الموضوعات كانت تؤلفاً علوماً عصرية فينبغي عليه أن يلمّ بها.

ومن هنا فان من يستحق لقب الفيسلوف يومئذٍ يجب عليه أن يكون له رأي في كلّ تلك العلوم.

ومن هنا وبعد الاطاحة بعرش الفلسفة وانطلاق حركة العلم التجريبي، توزّعت الحقول العلميّة وتعدّدت وظهر التخصّص في كلّ موضوع علمي وبرز الاختصاصيّون المختصّون بكلّ حقل من الحقول العلميّة.

واثر هذه التحوّلات فقدت الفلسفة مفهومها السابق كليّاً، وذلك بعد أن سلّمت الفلسفة موقعها الرفيع في بحثها عن حقيقة جميع الأشياء «العلم» الذي يختصّ بكلّ موضوع على حدّة.

واختفى الفيلسوف الذي يهتمّ بكلّ الموضوعات العقليّة ليحل مكانه عشرات من العلماء الاختصاصيّين من الفيزيائيّين والكيمائيّين وعلماء الرياضيّات حيث

تنهض معارفهم على أساس التجربة والكشوفات الحقيقيّة.

أمّا كشفيّات الفيلسوف فهي عبارة عن خيالات وتصوّرات واستدلالات توصله إلى مرحلة اليقين من دون أن يكون لديه ميزان ومعيار لمطابقة «يقينياته» مع الحقيقة! ثمّ يسمّى تخيّلاته وتصوّراته واستدلالاته تلك «العقل».

ونلاحظ ان كلّ مجموعة وكلّ فريق يعتبر يقينياته حقاً وصواباً وفي نفس الوقت يعتبره منهج الآخرين باطلاً مع انّ الجميع يستخدمون ما اصطلحوا عليه بـ «العقل» للوصول إلى هكذا مراحل يقينيّة! إلّا انّهم لم يصلوا أبداً من خلال تصوّراتهم واستدلالاتهم إلى نقطة مشتركة وعقيدة ورؤية واحدة!

ولو كان للاستدلالات الفلسفيّة مصداقيّة من الواقع أو قيمة علميّة يمكن للانسان من خلالها بلوغ الحقيقة لما تعدّدت المدارس الفلسفيّة وكان هذا الاختلاف الشديد بينها وبين فلاسفة المدرسة الواحدة أيضاً!

الفلسفة المشائيّة تقول: أنا أقول الحق!

والفلسفة الاشراقيّة تقول: كلّا! انّ منهجي هو الصواب.

ثمّ يأتي طرف ثالث ويحاول مصالحة الطرفين من خلال المزج بينهما ويقدّم فلسفة جديدة يطلق عليها اسم «الحكمة المتعالية».

يقول صاحب الحكمة المتعالية:

«الوجود مجعول له على الاطلاق»[1].

ثمّ يأتي آخر بقدس صاحب الحكمة المتعالية فيقول:

---

١. الأسفار ٦/ ٣٧٠.

«ليس الجعل على طريقة أهل الله، متعلّقاً بالوجود، فانّ الوجود هو الحق؛ بل الجعل متعلّق بالماهيّة»[١].

والسؤال أساساً هل لدينا شيئان باسم: الوجود والماهيّة؟!

وجوابهم عن هذا السؤال: ليس لهما وجود خارجي، العقل هو من يقسم الأشياء إلى وجود وماهيّة.

طبعاً مفهومهم عن العقل هو تلك التصوّرات، وإلّا فالعقل لدى الانسان ليست له هذه الفعليّة، فوظيفته عرض المجهولات والحسنات والسيّئات.

«هذه الكثرة يعني: ثنويّة (ازدواجيّة) الماهيّة والوجود ليست إلّا أمراً ذهنيّاً»[٢].

و «الماهيّة اعتباريّة ولا تحتاج إلى العلّة»[٣].

وقد ثبت عملياً انّ الفلاسفة ومن خلال منهجهم الفلسفي في الأُمور الماديّة لم يصلوا أبداً إلى أيّة حقيقة وأن كلّ ما قالوه لم يكن له أساساً من الصحّة.

ومثالاً علىٰ ذلك فرضيّة الأسباب في ارتفاع بخار الماء وسقوط الأجسام الثقيلة.

وأن سقوط الحجر هو بسبب جسمه البارد وطبع الأجسام الباردة أنّها تميل إلى الأسفل وأمثال ذلك!

وفي خصوص الفلكيّات قالوا: انّ العالم عبارة عن كرة تتألّف من تسعة أفلاك

---

١. التعليقات ١/٢٥.

٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة ١٦٦.

٣. شرح المنظومة ١٤٦.

وكلّ فلك له نفس ناطقة مثل الانسان، وان ما يحصل من حوادث ووقائع يستند إلى حركة تلك الأخلال وأن النفوس الناثقة لتلك الأفلاك مطلعة على الماضي والمستقبل والاتّصال بها يتيح للانسان امكانيّة الاطّلاع على ما مضى وما سيأتي من الحوادث[١].

فهل يمكن أن يسمّى هذا المنهج علماً؟!

وقد بات استبدال المسار الفكري الفلسفي العام بمسارات علميّة خاصّة وتسارع وتيرة الكشف عن الحقائق أمراً شديد الوضوح مكّن الانسان من الكشف عن حقائق الموضوعات لأنّ الطاقة التي كانت تصرف في مسار فكري عام يعني البحث عن حقائق الأشياء على نحو كلّي تصرف الآن في مسارات علميّة خاصّة دون أن يكون هناك من انحسار في مقدارها فأصبح التسارع في وتيرة الكشوف في المسارات الخاصّة أمراً حتميّاً.

وقد أدّى تنامي قدرات الانسان في وعي القوانين الحاكمة على العالم والاستفادة العمليّة منها إلى أن يدير البشر ظهورهم الى المنهج الفلسفي القديم في الكشف عن الحقائق، بعد أن ظهر جلياً من خلال المسيرة العلميّة والتجريبيّة المتسارعة في كلّ حقل وموضوع بطلان الفرضيات الفلسفيّة.

انّ بطلان الأفكار والمناهج الفلسفيّة اثر التقدّم العلمي أمر طبيعي ذلك انّ الفلسفة عجزت ومن خلال مناهجها عن كشف حقيقة واحدة في قضايا الطبيعة والفلك وغيرهما وان كلّ ما قاله الفلاسفة في ذلك كان أقرب إلى الخرافة منه إلى

---

١. شرح المنظومة للحاج ملّا هادي السبزواري ٢٦٩.

العلم؛ فكيف يمكن الاطمئنان إلى فرضياتها في مضمار ما وراء الطبيعة والالهيّات؟!

ولقد كانت الفلسفة هي السبب وراء استياء الغرب من الدين.

ذلك انّه لم يبق لدى المسيحيّين والدين المسيحي علم وعرفان نابع من نفس الدين وان كلّ ماكان يطرح في المسيحيّة على انه علم ديني هو نفسه علم الكلام، يعني فلسفة تتطابق مع العقائد المسيحيّة عرفت بـ «ثيولوجيا».

ومع ثبوت بطلان الأفكار الفلسفيّة وعلم الكلام جاء انهيار الاسس الدينيّة في هكذا مجتمعات نتيجة حتميّة، ذلك ان انهيار الاسس التي تنهض عليها عقائد أُمّة ما وهي الفلسفة وعلم الكلام سوف يفضي إلى أن ينفض عقلاؤها أيديهم من عقائدهم الدينيّة فـ «غاليلو» هو من حكم عليه علماء المسيحيّة بالاعدام! لا لشيء إلّا لأنّه قال بدوران الأرض حلول الشمس فجاءت نظريّته مناقضة للتعاليم الدينيّة؛ أي للكلام والفلسفة ونظريّات بطليموس الفلكيّة.

وفي المجتمعات الغربيّة المعاصرة لا يوجد أحد يؤمن بالأفكار الكلاميّة والفلسفيّة القديمة، بل ان الغرب يسخر نهاراً جهاراً من أصحاب هكذا الأفكار.

وعند ما يجري الحديث معهم عن الاسلام ويصغون إلى الحديث يجدونه ليس مقتبساً من فلاسفة اليونان قبل الميلاد بل انّه ناع من الاسلام نفسه.

وبعد إثبات انّ الله ليس هو الوجود المعروف لدى الانسان وانّه لا يوجد أيّ شكل من اشكال الشراكة بين الخالق والخليقة في الوجود وسائر صفات الكمال المتعلّقة بالوجود واثبات عدم سنخيّة الخالق مع المخلوقات ومجانسته لها، فانّهم يتساءلون قائلين:

ـ فلماذا اذن تدرس قضايا الفلسفيّة القديمة باعتبارها علوماً اسلاميّة في جامعات الغرب ثمّ في الجامعات الايرانيّة فيما بعد؟!

يقول برتراندرسل في كتابه «لماذا لست مسيحيّاً؟»:

«والحقيقة ان طلّاب العلوم الدينيّة هم من أوجدوا ما يعرف بالبحوث المنطقيّة التي تثبت وجود الخالق هذه البحوث والبحوث ذات الصلة اعتمدها فلاسفة كبار، غير ان المنطق الذي اعتمدته هذه البحوث التاريخيّة هو شكل من اشكال المنطق الارسطي القديم الذي يرفضه علماء المنطق في العصر الحاضر باستثناء مناطقة الكالوثيكيّة»[1].

واذن فان ما نلاحظه من رفض المجتمعات الغربيّة المعاصرة للدين ومجتمعاتها وسيادة الفكر اللاديني على شعوب الغرب ومجتمعاتها وحتّى ظهور الأفكار الماديّة الجديدة والشيوعيّة ورفضها للدين إنّما جاء بسبب التعاليم الفلسفيّة المليئة بالخرافات والتي قدمت للمجتمع على انها تعالى دينيّة فظهر اثر ذلك فلاسفة من قبيل «كارل ماركس و«فردريك انجلز» ليؤسّسا الفلسفة الماديّة بعد فشل «الثيولوجيا» أو علم الكلام وكانت النتيجة انجرار العالم الغربي إلى فوضى في القيم والأفكار واندلاع الحروب المدمّرة، ما أثار غضب الشعوب ودفعها إلى رفض هذه الأفكار ونبذها بعيداً.

انّ كلّ استدلالاتهم وبراهينهم هي نفسها الاستدلالات المعتمدة لدى جميع الاتّجاهات الفلسفيّة والتي تفضي إلى نتيجة واحدة لدى الجميع هي بلورة حالة من اليقين على حقانيّة المستدلّ.

---

١. لماذا أنا مسيحي!!

ومع أنّ جميع المدارس الفلسفيّة تعتمد ذات المنهج إلّا انّنا نلاحظ عدم الوصول إلى نتائج متطابقة ذلك انه لا يمكن تقييم النتائج الناجمة عن الاستدلالات الفلسفيّة.

ان إعمال المناهج الفلسفيّة في الدين على انّها الدين قد مهد الطريق لكلّ من يريد الانقضاض على العقائد الدينيّة والقضاء عليها من خلال طرح القضايا الفلسفيّة وتمزيق الأُمّة وشرذمتها.

فقد أمكن لشخص من قبيل «ابن تيميّة» المؤسّس الحقيقي للفرقة والمذهب «الوهابي» أن يؤلّف كتاباً في ابطال المنطق القديم ومن خلال هذه الحربة سوف تنهار الفرق الكلاميّة والفلسفيّة التي نهضت على صرح ذلك المنطق وعليه فان اسم العلم لأسمى وأكبر من أن يكون قابلاً للانطباق على المنطق والفلسفة القديمة.

وفي ضوء التعاليم الاسلاميّة فانّ العلم نور وعامل من أجل كشف الحقائق وتبديد الجهل في حين انّ المنطق والفلسفة لم تفعل شيئاً وبقيت عاجزة، بل انّ المستغرق في الفلسفة والدارس لها إنّما يبدّد سنوات عمره في المعقولات (المتصوّرات منهمكاً في البحوث المعقدة العديمة الجدوى فيتبلور لديه في نهاية المطاف يقين كاذب يحول بينه وبين مواصلة التحقيق والاصغاء إلى المعلم الالهي.

في الماضي كان الفيلسوف هو وحده من يمتلك رأياً في جميع القضايا وكان يواصل سعيه لبلوغ حقائق الأشياء ولذا فانّه وبسبب تعدّد الموضوعات يبقى قاصراً وفي أغلب الأحيان تكون النتائج التي يتوصّل إليها خاطئة.

وعليه لم يعد هناك من وجود للفلاسفة اليوم كما نبذ بعيداً المنهج الفلسفي في عالم يسوده العلم.

ان افتضاح الفلسفة بمقولاتها في بيع الموضوعات وانكشاف خرافاتها دفع ببعض الاساتذة إلى الدفاع عن الفلسفة قائلاً:

«ومن أشدّ ما كان يغيظهم ما كانوا يسمعون منهم من القول في المسائل المبتنية على أُصول موضوعه مأخوذة من الهيئة والطبيعيّات كوضع الأفلاك البطليموسيّة وكونها طبيعة خامسة واستحالة الخرق والقيام فيها، وقدم الأفلاك والفلكيّات بالشخص وقدم العناصر بالنوع، وقدم الأنواع ونحو ذلك، فانّها مسائل مبنيّة على أُصول موضوعة لم يبرهن عليها في الفلسفة؛ لكن الجهلة من المتفلسفين كانوا يظهرونها في زي المسائل المبرهن عليها»[1].

ونتساءل هنا هل كان هناك سوى الفلسفة والفلاسفة من له القدرة في البحث وابداء الرأي في قضايا الفلك والسماوات والأرض والطبيعيّات؟!

ألستم تقولون ان:

«الفلسفة هي البحث حول معرفة حقائق الأشياء؟»

فهل هناك من استثناء للسماء وأفلاكها والأرض وطبيعيّاتها؟

ألم يبحثوا في ذات الخالق وعرّفوه بأنّه الوجود المطلق؟!

فهل استثني البحث حول الموضوعات المذكورة من التفكير الفلسفي؟!

وهل هناك منهج غير الفلسفة سائداً في المجتمعات آنذاك ـ سواء اطلقنا عليه اسم العلم أو غير العلم ـ يتوصّل من خلاله الانسان لمعرفة المجهولات؟!

بل انّ الفيلسوف يومها هو الرياض والعالم بالطبيعيّات والفلكي والطبيب والموسيقي و...

---

١. الميزان ٥ / ٢٧٩.

ولو طالع المرء كتاب «الأسفار الأربعة» لرأى ماذا كتب «ملّا صدرا» من الخرافات في موضوع الفلك والفلكيّات والنفوس الفلكيّة ومدى تأثيراتها على الانسان ودورها في الحوادث!

وعلى فرض قبولنا بأنّ الهيئة البطليموسيّة والفلكيّات لم تكن من الفلسفة والفيلسوف؛ فمن انبرى لاثبات النفوس الناطقة لهذه الأفلاك؟!

وما علاقة علم الهيئة بالنفس الفلكيّة يا ترى؟!

هذه النفس أو النفوس الفلكيّة التي تمتلك العقل والادراك والتي تتحكّم بمصير الانسان!

ترىٰ من أين جاءت هذه الخرافات؟!

وهل يمكن بعد كلّ هذا أن نصف الفلسفة بأنّها علم؟!

خاصّة إذا اطلعنا على ما ورد في الأسفار الأربعة من خرافات في مضمار الفلك والفلكيّات[1].

ولم يكن للعلم أن يحقّق هذا التقدّم في كشوفاته إلّا بعد نبذ العقائد الخرافيّة الفلسفيّة!

لقد توصّل علم الطب إلى حقائق كبرى كانت خافية على الفلاسفة القدمىٰ يعني أطبّاء ذلك العصر.

وكم هي النظريّات الطبيّة للفلاسفة فقدت اعتبارها وقيمتها العلميّة وظهر انّها مجرّد خرافات ليس أكثر؟!

---

١. الأسفار الأربعة ١/١٤٠ و٢/٢٦٦ و٣/٧ و٦/٣١٢ و٧/١٢٢ و٢٦٠ و٢٦٨.

فلو انّ شخصاً ومن أجل تزكية العقائد الطبية لفيلسوف من قبيل ابن سينا والرازي وغيرهما من الفلاسفة الذين كانوا أطبّاء في عصرهم قال: ان هذه المقولات الطبيّة من خرافات الأطبّاء في عصرهم نقلها الفلاسفة عنهم لعدم تخصّصهم في الطب فهي مجرّد نقل قول وليست من عقائد الفلاسفة، ذلك انّ الفلسفة لا صلة لها بعلم الطب:

ألا يعدّ هذا التبرير مغالطة صارخة؟!

في الماضي لم يكن هناك من طبيب سوى الفيلسوف، فالفيلسوف آنذاك انبرى وشمّر عن ساعديه ليحلّ جميع المعضلات والمشكلات وكانت دائرة اهتمامه تشمل الكشف عن حقيقة جميع الأشياء ولا ينحصر اهتمامه في موضوع دون آخر.

فهل يتعيّن علينا وبعد ثبوت خرافيّة التراث الفلسفي أن نتبع اليوم نفس ذلك المنهج في الكشف عن حقائق الأشياء وهو منهج يعود تاريخه إلى آلاف السنين؟!

واذن وكما انكشف بطلان هذا المنهج في جميع المجالات واتّضح للانسان ان المناهج الفلسفيّة لم تحلّ مشكلة واحدة، فمن المؤكّد ان المقولات الفلسفيّة في مضمار الدين والالهيّات هي الاخرى لا تعدو أن تكون من نسج الخيال والفلسفي الجامع وأنّها مجرّد خرافات لا أكثر!

ان التقدّم الذي احرزته الأُمم والمجتمعات البشريّة لم يكن ليحصل إلّا بعد أن نبذت جانباً مناهج البحث الفلسفي اليوناني والاسكندري الذي مضى عليه آلاف السنين.

وعليه فان الكشف عن حقائق الأشياء اليوم يعتمد المنهج العلمي ويبدأ بتضيف الشيء المطلوب إلى موضوع ينتمي ومن ثمّ مراجعة العالم المتخصّص والمختصّ به.

واذن فان مراجعة غير الطبيب المختصّ والاختصاص في الكشف عن حقيقة علميّة طبيّة هو خطأ فادح؛ وهكذا فان اعتماد المنهج الفلسفي اليوناني الذي أكل الدهر عليه وشرب في تعلم أيّ مسألة هو خطأ أكثر فداحة ومن هنا فان وعي ومعرفة أيّ موضوع يتطلّب بالضرورة مراجعة المتخصّص والمختص في ذلك الموضوع وليس مراجعة الفلاسفة الذين يفتقدون التخصص في أيّ من الحقول العلميّة وإنّما لديهم نظرة عامّة للعالم والنظام الحاكم له على أساس انّ الفلسفة تعني «البحث عن حقيقة الأشياء» ومن دون الحصول على أقل مستويات المعرفة عن نظام الوجود والقوانين السائدة فيه.

ولذا أليس من الخطأ الفادح أن ننظر إلى الفلسفة على انها علم؟!

وعند ما نروم طلب العلم يتوجب علينا أن ندرك من أين يمكن الحصول على المعرفة والعلم؟

في المجال المادي تعدّ التجربة في طليعة الطرق لتحصيل واكتساب العلم ذلك ان القضايا الماديّة قابلة للادراك من خلال الحواس التي تمتلكها مع الاشارة إلى ان الحس يدرك عوارض الأشياء وليس ذواتها.

واذن فان العلم البشري يبحث في عوارض الأشياء لا في ماهيتها أو ذاتها.

ومن خلال استخدام الحواس من قبيل البصر والسمع يمكن للانسان معرفة خواص الأشياء ومن ثمّ استثمارها واستغلالها والاستفادة منها.

وسندرك انه كلّما سعى الانسان أكثر فأكثر تجلّت معاني الآية الكريمة أدناه أكثر:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللهَ سَخَّرَ لَكُم مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1].

فالانسان الذي لا يمكنه الأفلات من الجاذبيّة الأرضيّة شبراً أمكنه وبعد سعيه في معرفة واكتشاف القوانين السائدة في عالم الخليقة أن يسافر إلى عمق الفضاء وأن يضع قدميه على سطح القمر!

كيف أمكنه أن يفعل ذلك وكيف احرز هذا النجاح؟

لقد حصل ذلك عند ما نأى بتفكيره عن المدارس الفلسفيّة اليونانيّة وعندما لم يعد ينظر إلى معطياتها ومناهجها على أنّها حقائق علميّة وإنّما مجرّد خرافات انّ الانسان عاجز عن معرفة ذات الأشياء وماهيّة المادّة وهو أكثر عجزاً في معرفة القضايا المعنويّة وهو عاجز تمام العجز عن معرفة ذات الخالق تبارك وتعالى.

ان قوى الانسان الحسيّة لا يمكنها النفوذ في ذات الأشياء الماديّة ولا يمكنه أن يتصوّر المسافات الشاسعة التي تفصل بين المجرّات والسدم والتي تحسب بمليارات السنين الضوئيّة مع أنّها جزء من الخليقة فما بالك بخالق هذا الوجود.

ان عالم الوجود الواسع جداً والذي يبدو لعقل الانسان لا نهائياً إلّا انّه عالم محدود.

---

١. لقمان: الآية ٢٠.

فاذا كان الفكر البشري أو العقل عاجزاً عن تصوّر الوجود والاحاطة بالعالم وهو محدود فكيف يمكنه ادّعاء الاحاطة العلميّة والعقليّة بالذات المطلقة للخالق تبارك وتعالى؟!

ومهما حقّق الانسان من تقدّم في مجالات العلم وتمكّن من تحقيق ما أشار إليه القرآن وهو تسخير السماوات والأرض ذات الانسان ما أشار إليه القرآن وهو تسخير السماوات والأرض فانه ذات الانسان لا يخرج عن دائرة المحدود إلى اللامحدود.

وعليه فان استحالة الاحاطة العلميّة والخياليّة للانسان بالخالق ومعرفة ذاته تعالى سوف تبقى وتستمر.

واذن فانّ الانسان لن يتمكّن من معرفة الله من خلاله قدراته الذاتيّة ولذا أرسل الله عزّوجل أنبياءه ورسله لهداية الانسان نحو معرفة الخالق وفي كلّ عصر يظهر نبي جديد يأتي بتعاليم متناسبة مع عصره وزمانه إلى أن أرسل الله عزّوجلّ خاتم رسله وأنبيائه محمّد المصطفى ﷺ وأنزل عليه كتابه العزيز القرآن الكريم فوصلت البشريّة من خلال إلى الفصل الأخير في اكتساب العلوم والمعارف الالهيّة وبالتالي معرفة الله تبارك وتعالى.

وأورث سبحانه كتابه عباده المطهّرين من آل رسوله وأهل بيته يتابعون مهمّة رسول الله في تبيين كتاب الله الذي

﴿لاَ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾[1].

---

١. فصّلت: الآية ٤٢.

الأمر الذي يعني ابطال جميع المدارس البشريّة والمذاهب الوضعيّة ونسخ الأديان السماويّة السابقة:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1] واذن فان معرفة الله لن تتحقّق إلّا من خلال الأنبياء الالهيّين وحصر ذلك بالرسل يعني قصور الانسان في هذا المجال تحديداً.

انّ الانسان ومن خلال حواسّه وتجاربه وما حصل عليه من العلم والمعرفة يمكنه التعرّف على اعراض وخواص الأشياء والاستفادة منها.

ولهذا لم يرسل الله سبحانه رسلاً يعلمون الناس كيفيّة البناء والأعمار وانشاء السدود والري وغير ذلك.

ومن هنا فانّ الانسان لا يهتدي إلى معرفة الله إلّا من خلال تعاليم الأنبياء والرسل الالهيّين والكتب السماويّة، والرجوع إلى مصادر أُخرى غير الأنبياء والوحي الالهي يعني الرجوع إلى غير الاختصاص ومن يفعل ذلك يكون مصيره الهلاك الأبدي والخسران المبين.

ولذا فان مراجعة فيلسوف ما الذي يدّعي الاختصاص في شؤون الدين وعلومه بمثابة مراجعة العطّار الذي يدّعي احاطته بعلوم الطب واذن فانّ الرجوع إلى آراء الآخرين هو جرأة على الله ووقاحة ما بعدها وقاحة!

﴿ ٱتَّبِعُوا مَاأُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَاتَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

فهل اتباع آراء الفلاسفة اليونانيّين من أفلاطونيّين وارسطيّين وافلوطونيّين هو اتباع للقرآن الكريم؟!

---

١. التوبة: الآية ٣٣.　　٢. الأعراف: الآية ٣.

وإذا كان بمقدور الفلسفة والفلاسفة هداية البشريّة إلى معرفة الله لانتفت الحاجة إلى إرسال الأنبياء.

وان الرجوع إلى الكتب الفلسفيّة واعتماد آراء الفلاسفة اليونانيّين في مسألة معرفة الله يشير بصورة غير مباشرة إلى ما ورد أعلاه وهو اعلان الانسان:

ـ الهي انّنا لسنا بحاجة إلى رسلك وكان ارسالهم أمراً عبثيّاً لا فائدة فيه ان الثقافة اليونانيّة كافية في تحقيق ما نصبوا إليه!!

وعلى أساس هذه الآراء الفلسفيّة اليونانيّة القديمة يطلق هذه المقولات اشخاص يدّعون العقيدة والايمان:

«الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد»[1].

و «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء»[2].

في حين لا يلاحظ في القرآن الكريم ما يؤيّد الفرضيّة أعلاه أو تشتمل على هكذا دلالة.

قال تعالى:

﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3].

وقال عزّوجلّ:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[4].

انّهم يزعمون قبول الآيات القرآنيّة ولكنّهم يعتمدون الآراء والأفكار اليونانيّة والزرادشتيّة في التأسيس لعقائدهم.

---

١. بداية الحكمة ٩١.

٢. الأسفار ٦/١١٠ و٣/٢٢.

٣. الأنعام: الآية ٥٩.

٤. الأنعام: الآية ٣٨.

وهم عند ما يستندون إلى هذه الآية أو تلك ويستهدون بها فانما يفعلون ذلك دعم وتعزيز فرضيّاتهم ونظريّاتهم من خلال تفسيرهم تلك الآيات تفسيراً نابعاً من فهم بشري وقدرات ذاتيّة في حين ان القرآن لا يمسّه إلّا المطهّرون!

انّ التعاليم الفلسفيّة في الالهيّات تذكّرنا بقوله تعالى:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[1].

«سبحان الله عمّا يصفون».

يعني بطلان توصيف البشريّة التي يصدرها الانسان استناداً الى تصوّراته الذاتيّة.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَه».

فالحديث حول كيفيّة الذات خروج على التوحيد وخروج منه ذلك ان الحديث عن كيفيّة الذات الالهيّة يناقض التوحيد.

انّ القيام بتطبيقات لآراء فلاسفة اليونانيّة على الذات الالهيّة ومعرفتها وفق مقولاتهم يجعل من يفعل ذلك تحت طائلة الحكم الالهي.

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[2].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾[3].

---

١. يوسف: الآية ٤٠.

٢. المائدة: الآية ٤٤.

٣. المائدة: الآية ٤٥.

﴿ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ فَأُوْلئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[١].

ان مراجعة الطبيب وعالم الطبيعيّات والفيزيائي أو متخصّص آخر في موضوعات مختلفة وفي مشكلة من مشكلات الانسان التي عجز عنها المنهج الفلسفي عن حلّها فانّه يجد الحلّ لديهم، ولقد ظهرت خرافات الفلاسفة والعرفاء في جميع المجالات التي ازاح العلم عنها الستار.

وتبلغ الخرافات أوجها في مضمار الدين وتحديداً معرفة الله ان تحصيل العلوم الوحيانيّة لا يتمّ إلّا بمراجعة معلمي القرآن الكريم الحصريّين وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

قال تعالى:

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وقال سبحانه:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[٣].

ومعنى انّ بيانه يختلف عن قرآنه وقرائته فما هو الطريق الذي يوصل بيانه لنا! انهم أهل البيت عليهم السلام أجل أهل بيت الوحي عليهم السلام ان العكوف على دراسة الأفكار والنظريّات اليونانيّة المستوردة والتي اكل الدهر عليها وشرب لن يفضي بنا إلّا إلى الضياع وفقدان الفرصة الحقيقيّة لطلب العلم الحقيقي.

لماذا تكون تلك الأفكار القديمة مناهج دراسيّة للطلاب في جامعاتنا

---

١. المائدة: الآية ٤٧.　　٢. النحل: الآية ٢٣.

٣. القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.

وحوزاتنا العلميّة؟ في الوقت الذي نرى فيه الغرب وهو ينطلق من ظلمات العصور الوسطى بعد أن تخلّص من أسار المناهج القديمة واتّجه نحو الابداع في مناهجه الفكريّة الحديثة في الكشف عن الحقائق فوصل إلى ما وصل إليه من تقدّم وازدهار بينما يقينا نحن نتخبط في متاهة الأفكار والفلسفة اليونانيّة ندور داخل متاهة معقدة لا مخرج منها!

لا مناص اذن من مراجعة أهل بيت الوحي لتحصيل البيان القرآني الذي وعدنا الله عزّوجلّ:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[١].

و «**مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَءَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ**»[٢].

ولذا فان نجاتنا من الهلاك الأبدي لن يحصل حتّى نتمسّك بهم:

«**مَنْ اَتيكُمْ نَجىٰ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ**»[٣].

ان مقولات الفلسفة والعرفان في العلوم الدينيّة لا يمكن أن تكون بمنأى عن الخرافات التي لاحظناها في مجالات أُخرى أو حملة علوم القرآن فهم رسول الله ﷺ وآله الأطهار الأئمّة الهداية الذين عصمهم الله من الخطأ والزلل وطهّرهم من الرجس تطهيراً.

وعليه فانّ العقل يحكم بضرورة مراجعة المصادر والمنابع الحقيقيّة لعلوم الوحي وهم آل رسول الله ﷺ فهم أهل الذكر وحملة علوم القرآن ومن صانهم الله من الوقوع في الخطأ.

---

١. القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.
٢. الزيارة الجامعة.
٣. المصدر السابق.

ولأنّه لا يجوز التقليد في العقائد ولأنّه لا يوجد معيار حقيقي لقبول العقيدة ونقائها من الخزانة سوى أهل البيت عليهم السلام المعصومين، لذا فان أخذ عقيدتنا عنهم ليس تقليداً وإنّما هو طلب العلم الحقيقي الذي يوصلنا إلى معرفة الله عزّوجلّ معرفة حقيقيّة بعيدة عن كلّ ألوان الخرافة.

ولو افترضنا جدلاً بأن الآراء المتوازنة عن الفلاسفة القدامى الذين عاشوا قبل الميلاد إنّما هي نفس المعارف الوحيانيّة استناداً إلى قول أحدهم في أنّ «الفلاسفة إنّما أخذوا عقائدهم من أنبياء السلف ومع ذلك فانّ النصّ القرآني يقول بأنّ الاسلام هو أحسن الحديث» ما يعني وجوب نبذ كلّ الأفكار القديمة، لأنّ النص خير رادع للأُمّة عن مراجعة غير القرآن ومعلّميه في تحصيل العلوم الحقيقيّة:

قال تعالى:

﴿ٱللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾[1].

لذا فان عكوفنا على دراسة المدارس الفلسفيّة اليونانيّة هو تكذيب للقرآن الكريم وخروج عن الاسلام.

وعندما يقول عزّوجلّ:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

كيف يسوّغ للمسلم والمؤمن مراجعة غير القرآن وحملة علومه في طلب العلوم؟!

ولو افترضنا انّ الدين لا يختلف عن الفلسفة كما صرّح البعض:

---

١. الزمر: الآية ٢٣. ٢. النحل: الآية ٨٩.

«انّه لظلم عظيم أن يفرّق بين الدين الالهي وبين الفلسفة الالهيّة»[١].

وأيضاً:

«انّ الدين لا يدعو الانسان إلى إلى نيل الحقائق الالهيّة بشعوره الاستدلالي الذي جُهّز به وهو بالذات ما يعبّر عنه بالفلسفة الالهيّة»[٢].

إذا كان الدين والفلسفة يعنيان أمراً واحداً كما تذهب إلى ذلك الفرقة الاسماعيليّة (الباطنيّة) فانّه ينبغي أن تكون الآية الكريمة علىٰ هذا النحو:

انّ الله وملائكته يصلّون على المعلّم الأوّل ارسطو وخاصّة افلوطين الذي أسّس العرفان الاسلامي وليس النبي، ذلك انّ مقولات هذا الفيلسوف والعارف تمثّل الاسس التي تنهض عليها عقائد الفلاسفة والعرفاء الاسلاميّين.

انه لظلم كبير يرتكبه أهل بيت النبوّة لأنّهم لم يمجّدوا الفلسفة والفلاسفة مع انّ الفلسفة والدين وجهان لعملة واحدة! لقدوا في كلّ شيء إلّا الفلسفة والتعريف بمؤسّسيها!! ومع أنّهم مأمورون بهداية البشريّة فانّهم لم يأتوا بجديد من القول سوى تأييدهم المدارس الفلسفيّة اليونانيّة التي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد!

لماذا لما نرى اذن سوى دعوتهم إلى التمسّك بالقرآن الكريم وتعاليم كتاب الله العزيز ولماذا كانوا يذمّون الفلسفة.

وإذا افترضنا صحّة القول بأنّ الدين والفلسفة أمر واحد فهل يتعيّن علينا طاعة أهل البيت عليهم‌السلام أما طاعة فلاسفة ما قبل الميلاد؟ !!

يقول أحدهم:

---

١. علي والفلسفة الالهيّة ١١ و١٣.

٢. المصدر السابق.

«انّ اثبات المعارف الدينيّة يتمّ عن طريق البرهان والاستدلال الفلسفي».

وقد ثبت بطلان هذه المقولة، لأنّ المنهج التعليمي للقرآن الكريم وأهل بيت الوحي هو التذكّر بالحقائق.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[١].

واذن فان علوم القرآن لم تبحث في ضوء المنهج الفلسفي.

يقول أحدهم في تمجيدالفلاسفة وعرفاء الاسلام:

«انّ مقولات هذا الشخص العارف اقتباس ممّا قاله الأقدمون من قبيل الفيلسوف العظيم ارسطو».

انّهم لا يقولون انّ مقولاتهم مقتبسة من القرآن وأهل بيت النبوّة!

وعليه فانّ الفلاسفة والعرفاء اتّخذوا من مقولات فلاسفة اليونان وليس ممّا جاء به الاسلام!

فاذا اشيع في عالم الغرب بأنّ الاسلام لا يملك شيئاً من عنده فليس لديه شيء باستثناء أفكار اليونانيّين القدامى قام المسلمون بصبّة في قوالب جديدة! فليس لأحد أن يلومهم على ذلك!

يقول ارنست رينان الفرنسي البذي ولد ١٨٩٢م:

«انّ الفلسفة الاسلاميّة والايرانيّة في الواقع ليست سوى الفلسفة اليونانيّة ظهرت باللغتين العربيّة والفارسيّة وكتبت بحروف جديدة»[٢].

وفي احدى سفرات «المؤلّف» إلى الدول الاوربيّة كنت أتحدّث إلى بعض

---

١. الغاشية: الآيتان ٢١ ـ ٢٢.

٢. معرفة العرفاء ١٨٦.

الأُوربيّين حول الاسلام، وبحسب الظروف كنت أتحدّث باللغة الانجليزيّة فجأة دخل شخص استمع إلى حديثي قليلاً ثمّ صرخ عالياً:

ـ اعرف ماذا تقول!!

وقد اضطرني صراخة الى أن أتوقّف عن الكلام قلت له:

ـ ماذ أقول؟!

قال:

ـ الاسلام يقول: الوجود هو كلّ شيء، والله أيضاً هو الوجود واذن فكلّ شيء هو الله! أنت! أنا! السماء والأرض!

أدركت انّ الرجل ملمّ بقضايا العرفان.

قلت: هذه مقولة اليونانيّين قبل الاسلام وليست مقولة الاسلام وفي ضوء تعاليم الاسلام فانّ الله هو خالق كلّ شيء بما في ذلك الوجود.

قال: انّ الاسلام ليس لديه ما يقوله وكلّ ما يقال باسم الاسلام من ثقافة اليونانيّين قبل الميلاد!

وحتّى لا أخرج عن صلب موضوع المحاضرة تطرقت بشكل موجز إلى كيفيّة الخلق في ضوء الاسلام والتباين الكلّي بين الخالق وبين المخلوق، ثمّ اقترحت عليه أن يوافق على مناقشة هذا الموضوع بعد انتهاء المحاضرة، وهذا ما حصل.

اذ تحدّثنا على انفراد ووافقني على انّ الشعار الذي يقول: «الوجود هو كلّ شيء» إنّما هو ترجمة لهذه المقولة: «ليس في الدار غير ديّار» وانّه في الأصل

ترجمة لشعار الزرادشتيين: «كلّ شيء هو ايزد»[١].

(الله كلّ شيء).

سجل الرجل عنوان اقامتي وعلى مدى ثلاث ليال كان يزورني في كلّ ليلة ونتحدّث حول المعارف الاسلاميّة عدّة ساعات.

وفي نهاية اللقاء الأخير عرّفني بنفسه وظهر انّه استاذ جامعي يدرس الالهيّات والمعارف الاسلاميّة في عدد من جامعات بريطانيا وكان يدرس كتاب الشفاء لابن سيناء على انّه كتاب لعلوم والمعارف الاسلاميّة.

ومن خلال حديثه عرفت انّه مسيحي بالاسم فقط وكغالبيّة الاوربيّين لا يؤمن بالدين، ومع ذلك فانه مستاء جداً من تدريس الفكر اليوناني على انه من العلوم والعرفان الاسلامي لأنّه عند ما ترجم كتاب الشفاء وجده شرحاً على كتاب ارسطو (والصحيح انه افلوطين).

والان أوجه خطابي إلى الأمّة الاسلاميّة وبخاصّة محبّي أهل البيت:

هل من الصواب البحث عن العلوم الوحيانيّة للاسلام في طوايا وكتب التيولوجيا اليونانيّة أو تلقي علوم القرآن من أهل بيت الوحي؟!

انّ التحقيق والتعمّق وسير أغوار الفكر الذي يتبناه الآخرون أمر مطلوب ولكن ليس على سبيل تعليم الاسلام ونشر عقائد البوذيين والزرادشتيّين بين أفراد المجتمع.

انّ الانسان حرّ في التحقيق والبحث ومطالعة آراء المدارس الفلسفيّة إلّا أن

---

١. ايزد مفردة فارسيّة ترمز إلى الرب أو الله ـ المترجم.

القيام بنشر النظريّات الفلسفيّة المشائيّة والاشراقيّة اللتين ظهرتا قبل الميلاد والعمل على نشر أفكارها وهذا ينسحب أيضاً حتّى على الحكمة المتعالية ليس من الصحيح دراسة مثل هكذا الكتب والاتّجاه لدراسة علوم القرآن عن طريق أهل البيت عليهم السلام معلّمي القرآن.

طالما مجّد الفلاسفة والعرفاء الاسلاميّون كتاب «اثولوجيا» (الصحيح تئولوژيا) كما مجدوا ارسطو باعتباره مؤلّف هذا الكتاب بينما لا صلة لهذا الكتاب بارسطو لأن مؤلّفه هو افلوطين مؤسّس «الافلاطونيّة الجديدة» التي هي العرفان الايراني أو التصوّف، وهو من حكماء الاسكندريّة»[١].

راجعوا كتب كبار الفلاسفة والعرفاء (الصوفيّة) الاسلاميّين لتروا كيف يمجّدون ارسطو على هذا الكتاب، انّهم ليمجّدونه أكثر ممّا يمجّدون النبي صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم!

فهل تريدون تعلّم العلوم الوحيانيّة للقرآن من خلال أفكار فلاسفة بادوا منذ آلاف السنين؟ ألا يتسبّب ذلك لكم في الحرمان الأبدي من معارف القرآن والضلال والضياع الأبدي؟!

لقد حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله من هكذا توجّهات قائلاً:

«مَنِ الْتَمَسَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّه»[٢].

«مَنْ طَلَبَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله»[٣].

---

١. مقالات فلسفيّة، مطهري ١٨٢. ٢. بحار الأنوار ٩٢/ ٢٥.

٣. المصدر السابق ٨٩/ ٢٦.

«مَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله»[١].

ويقول وصيّ رسول الله ﷺ الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقِصَصِ فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ»[٢].

ومن خلال هذه التعاليم ندرك ان الاقتداء بالقرآن وأتباعه واجب علينا ويتطلّب هذا منّا أن نتعلّم علومه ومعارفه طلب للهداية لأن طلب الهداية من غيره لا يعود علينا إلّا بالضلال.

ولو ان الأُمّة أدركت حقيقة انّ القرآن الكريم كتاب سماوي وأنّه يشتمل على العلوم الحقيقيّة وانّه حجّة الله على الناس كافّة وهو شريعة كاملة والكتاب الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣]لتمسّكوا به أشدّ التمسّك ولعكفوا على دراسته ولأدركوا أيضاً انّ التوجّه في طلب العلم والحقيقة إلى مقولات وآراء فلاسفة عاشوا وبادوا قبل الميلاد إنّما هو تكذيب للقرآن الكريم، لأنّ العقيدة الحقّة موجودة في كتاب الله وبيّنها حملة علوم الوحي وهم الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام وانّ اعتماد أفكار فلاسفة اليونان في الالهيّات هو تكذيب للوحي ولأهل بيت الوحي وخروج عن الاسلام.

لم يتحدّث الاسلام في الوجود والماهيّة ولم يقل شيئاً في اصالة أحدها كما انّه

---

١. المصدر نفسه ٩٢/٢٧.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.
٣. فصّلت: الآية ٤٢.

لم يشكّك في الذات الالهيّة يعني القول باشتراك الخالق والمخلوق بـ «الوجود» وسائر ما قاله الفلاسفة.

فكيف نقول بأنّ الاسلام دين كامل وتام وكيف نزعم انّ في القرآن تبيان كلّ شيء؟!

نحن أمام خيارين: أما القول بأنّ القرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام قد قصّروا في بيان الموضوعات التي تحدّث حولها الفلاسفة وهذا يعني الاسلام ليس ديناً كاملاً ولا تاماً والعياذ بالله!

أو اعتبار مقولات الفلاسفة في الالهيّات مجرّد خرافات كما هو الحال في مقولاتهم في الطبيعيّات والفيزياء والفلك! غير انّنا نلاحظ انّ هذه الخرافات الفلسفيّة والعرفانيّة التي وصلت إلينا من الفكر اليوناني وعقائد الفرس قبل الميلاد ما تزال تتربّع فوق عرش «الالهيّات» في الحوزات العلميّة الدينيّة والجامعات الاكاديميّة من قبيل الفلسفة المشّائيّة والاشراقيّة وأخيراً الحكمة المتعالية.

وعند ما نجد احياناً استناداً إلى بعض آيات القرآن الكريم فانّما هو للاستفادة منها كشواهد لتأييد تلك الأفكار القديمة الموروثة.

بماذا جاء الاسلام ومذا قال؟!

يدّعي الفيلسوف الاسلامي، انّ الاسلام هو الفكر اليوناني قبل الميلاد ذاته وتعرّف الفلسفة «الله» بأنّه «واجب الوجود من جميع الجهات كما ان الفضاء المعرفي السائد في الحوزات الدينيّة يشكل معظمه من هذا الفكر وهكذا توصيفات لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في أحاديث أهل البيت الكرام عليهم السلام بل انّنا نجد قول المعصوم: «**مَنْ وَصَفَ اللهَ بِخِلافِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ**

عَلَى اللهِ ... لا تَقَعْ عَلَيْهِ الأوهام وَلا يدرك كَيْفَ هُو»(١).

واذن فانّ الأوهام لا يمكنها أن تدرك الخالق ولا تدرك كيفيّته فلا مناص من الاذعان إلى هذه الحقيقة وهي لا يمكن أبداً ادراك ذات الخالق تبارك وتعالى إلّا ما ينزل به الوحي من التوصيفات جاء في عدد من آيات القرآن الكريم، قوله تعالى:

﴿ **سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾(٢).

فكلّ التوصيفات البشريّة لله هي محض خرافات وأكاذيب فنحن أمام خيارين لا ثالث لهما أما الاعتراف بأنّ المقولات الفلسفيّة في هذا المضمار فارغة وعبارة عن تخريفات كما هو الحال بالمقولات الفلسفيّة في الطبيعيّات والفلك أو التعاليم القرآنيّة وأحاديث أهل بيت الوحي والعياذ بالله!!

وفي ضوء التعاريف البشريّة الفلسفيّة انّ الله واجب الوجود من جميع الجهات يعني وجوب ولزوم صدور جميع أفعاله وامتناع عدم صدور المنسوبة إليه عنه.

واذن فانّ الفضل والاحسان والخلق والرحمانيّة وسائر الصفات الفعليّة المنسوبة إلى ذات البارئ هي من خواصّه الوجوديّة واثره الذاتي:

«إن شاء سبحانه أن لا يفيض ولا يحسن ولا يخلق فانّه يقدر ولكنّه لا يشاء ولو شاء فانّه ممتنع».

انّ هذه العبارة تعبّر عن حياء القائل في استخدام العبارة «ممتنع» وتعريف

---

١. بحار الأنوار ٤/٥٣؛ تفسير العيّاشي ١/٣٧٣.

٢. المؤمنون: الآية ٩١.

الممتنع هو الباطل ذلك انّنا نلاحظ القول: «الممتنع بذاته هو الباطل مطلقاً»[١].

وكذا القول التالي:

«لا يدرك الممتنع لفراره عن صقع الوجود والشيئيّة فلاحظ له من الهويّة حتّى يشار إليه ويحيط به العقل ويدركه الشعور ويصل إليه الوهم»[٢].

وفي ضوء هذه التعريفات فان الممتنع بالذات أمر ومفهوم يستحيل تحقّقه في الخارج والقدرة أيضاً وعلى حدّ تعبير الفلاسفة لا تتعلّق بالمجال.

واذن فان عدم تعلّق قدرة الله بأمر ما يعني عدم قدرته في حين نرى الامام علي عليه السلام يقول:

«**لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَلا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاع**»[٣].

«الحكماء الالهيّون: واجب الوجود بالذات واجب الوجود ومن جميع الجهات والحيثيّات ولهذا فهو واجب أيضاً فيه»[٤].

وفي ضوء مقولات الفلاسفة والعرفاء انّه من الواجب والحتم على الله خلقنا والاحسان إلينا وان هذه الصفات من خصائص وجوده فليس له أن يمتنع عن خلقنا وألّا يفيض علينا نعمه!!

فما معنى الحمد والثناء للمنعم والمحسن؟!

ان هذا الحمد والثناء واجب لمن دلّنا على أن نصير تحت مظلّة هكذا واجب الوجود!

---

١. علم اليقين ١٣٥١.
٢. الأسفار ١/ ٢٣٦.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٣.
٤. العدل الالهي، مرتضى مطهري ٣١٦.

انّ الشمس بذاتها مصدر للاشعاع والطاقة، ولا يمكنها الّا تكون كذلك.

واذن فانّ الحمد والثناء للشمس ليس واجباً علينا، بل يجب ابتداءً لمن خلق الشمس ومن ثمّ الثناء على الذين قاموا بهداية الانسان للاستفادة الأكثر والأفضل من مصدر النور هذا.

وعلى فرض انّ الشمس تعي ما تقوم به من عمل وتدرك مستوى قائدتها للبشر فما هو تأثير هذا الوعي في كيفيّة عملها وزيادة وتقليل اشعاعها؟

وعجيب لهكذا واجب الوجود مع وعيه بعدم قدرته الا أن يكون هذا ينتظر من مخلوقاته الشكر والحمد ويقول:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١].

لماذا كيف؟

انّ هذا النظام نظام رفيع ربّاني، نظام غير قابل للتغيير!

واذن فانّ الشاكر والكافر كلاهما معلومان وأن كلّ ما سيجري عليهما هو أيضاً جزء من النظام الثابت والغير قابل للتغيير وأنّ الله هو «واجب الوجود من جميع الجهات» لا يمكنه الامتناع عن الاحسان لمن يكفر به!

فلماذا يقول خلاف ذلك: «لأن شكرتم لأزيدنّكم» ولماذا يصرّ على انّه الأصدق في قوله؟

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللهِ قِيلاً﴾[٢].

إنّ الله هو مصدر جميع النعم وفي نفس الوقت انّه لا يمكنه إلّا أن يكون منعماً

١. ابراهيم: الآية ٧. ٢. النساء: الآية ١٢٢.

ولا يمكنه الامتناع عن افاضة النعم لأن ذلك من خواص ولوازم وجوده!

واذن ما معنى قوله سبحانه: «ولئن شكرتم لأزيدنّكم...»؟

ما ذا يعني قوله عزّوجلّ:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

ان ما تقوله الفلسفة في «واجب الوجود من جميع الجهات» هو في حكم النار التي تحرق ولا يمكنها ألا تحرق لأن خاصيّة النار الاحراق ومع ذلك تقول تطالبنا بالشكر على الاحراق!

بينما الجدير بالشكر هو من نبهنا إلى وجود النار وإلى كيفيّة الاستفادة منها وإلّا فانّ الاحراق هو ذات النار فليس لها ازاء ذلك أن تمتن علينا لأنّها لا تستطيع أن تكون غير ذلك أو لا تستطيع الامتناع عن ذلك.

نعم انّ الكائنات تختلف من حيث خواصّها الوجوديّة وبعضها أرقى من بعض، ومعرفة هذه الفضيلة يقال له التقدير وليس الحمد والشكر من قبيل تقدير الأحجار الكريمة والاحتفاظ بها في أماكن آمنة بعيداً عن متناول الآخرين، في حين أنّ الحصى متناثر على قارعة الطريق.

ومن خلال هذا التوضيح الموجز ندرك مدى التضاد بين الاستدلالات الفلسفيّة وبين العلوم الوحيانيّة القرآنيّة.

قال الله تعالى:

---

١. النحل: الآية ٧٨.

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[١].

وقال عزّوجلّ:

﴿ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[٢].

وما أكثر الآيات المباركة التي تتحدّث بهذه اللغة والتي تفند الفرضيّة الموروثة «واجب الوجود من جميع الجهات».

ويقول الفلاسفة: انّ هذا النظام امكاني، يعني العالم وكيفيّته متطابق مع النظام الربّاني، وهو نظام موجود في ذات الخالق ومن ثمّ شاء الله أن يكون في الخارج.

وعليه فالنظام جزء من ذات البارئ وبالتالي فهو تام وهو أفضل نظام وغير قابل للتغيير على نحو لا يؤثّر اللقاء في هذا النظام[٣].

وعندما يدعوا العرفاء «وحدة الوجود» فليس إلّا امتثالاً لأمر الله ويبلغ هذا النظام من الحسن بحيث يستحيل وجود أحسن منه ويقتضي هذا النظام أن يكون أزليّاً لأن علّة خلقه حسب تصوّر الفلاسفة والعرفاء هو ذات الخالق وهو دائماً منزّه عن النقص فاستلزم كون العلّة حتميّة تامّة ظهور المعلول في الأزل.

ويستدلّ الفلاسفة على صحّة نظريّتهم بكلام للامام أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال فيه:

«ولم يزل سيّدي بالحمد معروفاً، دلالة على ان الخلقة غير منقطعة من جهة أوّلها كما أنّها غير منقطعة من جهة أُخرى»[٤].

ويقول الامام علي بن موسى الرضا عليه‌السلام:

---

١. المائدة: الآية ٦٤.
٢. المائدة: الآية ١.
٣. العدل الالهي ١٠٢ و١٢٦؛ الميزان ١٨/١٠٨؛ شرح اصول الكافي، ملا صدرا ٢٨٣ و٤٠٦.
٤. علي والفلسفة الالهيّة، صاحب الميزان ٦٧.

«لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ إِذْ لا مَرْبُوبٌ وَحَقِيقَةُ الإِلَهِيَّةِ إِذْ لا مَأْلُوهٌ وَمَعْنَى الْعَالِمِ وَلا مَعْلُوم... فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ»[1].

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«لَمْ يَزَلِ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ رَبُّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلا مَعْلُومَ وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلا مَسْمُوعَ وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلا مُبْصَرَ وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلا مَقْدُور»[2].

وهكذا نصوص، وتوصيفات لم تخطر في بال الفلاسفة من قريب ولا من بعيد.

انّه عزّوجلّ معروف بالحمد لا من باب لغلق القدرة بالمقدور أو تعلّق العلم بالمعلوم حيث يقتضي ذلك وجود المخلوق والمعلوم منذ الأزل بل ان موجد هذه الكمالات جدير بالحمد والثناء من دون وجود الذي يحمده أو يثني عليه.

انّ هذه النصوص الشريفة تفند فرضيّة أزليّة العالم التي هي فكر يوناني قديم من أجل هذا نرى أهل البيت عليهم يجيبون من يتحدّث على هذا النحو من قائلين:

«فقد أثبت الهاً آخر»!

يقول الامام علي عليه السلام في مضمار كلام الله:

«إِنَّمَا كَلامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِيا»[3].

وقال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

---

١. بحار الأنوار ٤/٢٢٩؛ التوحيد للشيخ الصدوق ٣٨؛ الاحتجاج للطبرسي ٢/١٧٧.

٢. الكافي ١/١٠٧؛ التوحيد ١٣٩.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

«الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ لا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلَ الاخْتِرَاعُ وَلا لِعِلَّةٍ فَلا يَصِحَّ الابْتِدَاع»(١).

وما أكثر النصوص الواردة عن أئمّة الهدى من آل محمّد ﷺ التي تستنكر بشدّة القول بازليّة العالم وقدم الوجود.

ومن المفارقات انّ الفلاسفة الاسلاميّين يرفعون شعار الأخذ من تراث الآخرين ما وافق القرآن الكريم فقط ثمّ نراهم يتبنون نظريّة ارسطو في قدم العالم.

ومع تحوّل الكلام إلى فلسفة في البيئة الثقافيّة الاسلاميّة وعدم التزام الفلاسفة بتطبيق الآراء الفلسفيّة مع القرآن الكريم تسللت فرضيّة أزليّة العالم وقدمه لتصبح في صميم الفلسفة الاسلاميّة.

ومن الفلاسفة المشهورين والعرفاء ملّا صدرا الذي يرى أنّه لا منافاة بين مخلوقيّة ومعلوميّة الشيء مع قدمه وأزليّته»(٢).

وهذه أفكار ارسطيّة تفيد بأن نظام الخليقة وعناصره مخلوقه وفي نفس الوقت فهي أزليّة وقديمة أيضاً.

ولقد لاحظنا وفي ضوء النصوص القرآنيّة وأحاديث أهل البيت أيضاً شديداً لفكرة «العالم غير قابل للتغيير».

فاذا كان هذا النظام هو النظام الأحسن وهو لا يقبل التغيير فاذن جميع الظواهر

---

١. الكافي ١/١٠٥.

٢. علل گرايش به ماديگرى، مرتضى مطهري ١٠٨ (أسباب التوجّهات الماديّة).

والحوادث بما في ذلك الأفعال البشريّة التي هي جزء من هذا النظام يجب ألّا يطالها التغيير.

«فتبين انّ جميع الحوادث الخارجيّة ومنه أفعالنا الاختياريّة واجبة الحصول في الخارج واقعة فيها على صفة الضرورة ولا ينافي ذلك كون أفعالنا الاختياريّة ممكنة بالنسبة إلينا مع وجوبها على ما تقدّم، فاذا كان حادث ومنها أفعالنا الاختياريّة بصفة الاختيار معلوماً له علّة تامّة يستحيل معها تخلّفه عنها كانت الحوادث سلسلة يستوعبها الوجوب لا يتعدّى حلقة من حلقاتها موضعها ولا تتبدّل من غيرها وكان الجميع واجباً من أوّل يوم سواء في ذلك ما وقع في الماضي وما لم يقع بعد، فلو فرض حصول العلم بحقائق الحوادث على ما هي عليها في متن الواقع لم يؤثّر ذلك في اخراج حادث منها وإن كان اختياريّاً عن ساحة الوجوب التي حدّ الامكان».

«فان قلت: بل يقع هذا العلم اليقيني في مجرى أسباب الأفعال الاختياريّة كالعلم الحاصل من الطرق العداية فيستفاد منه فيما إذا خالف العلم الحاصل من الطرق العادية فيصير سبباً للفعل أو الترك حيث يبطل معه العلم العادي».

قلت: كلّا فانّ المفروض تحقّق العلّة التامّة للعلم العادي مع سائر أسباب الفعل الاختياري كمثل أهل الجحود والعناد من الكفّار يستيقنون بأن مصيرهم مع الجحود إلى النار ومع ذلك يصرّون على جحودهم لحكم هواهم بوجوب الجحود وهذا منهم هو العلم العادي بوجوب الفعل وقال تعالى في قصّة آل فرعون:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1].[2]

---

١. النمل: الآية ١٤. ٢. الميزان ١٨/١٩٢.

أقول: يبدو انّ الاستدلال في النصّ أعلاه في مضمار حتميّة وقوع الحوادث صحيحاً.

بدءً ينبغي الأخذ بالاعتبار انّه لا فرق بين العلم العادي وغير العادي من حيث كونه مظهر للغير لأن كلاهما نور يهدي المرء بمحض الاشعاع أو السطوع على المعلوم.

وعلى افتراض صحّة ما قاله صاحب الميزان في انّ الحوادث سلسلة متّصلة الحلقات مشمولة بالوجوب إلّا ان وقوع المدلول تحت تأثير العلّة أو العلل من شروط تماميّة العلّة وبامتناع المرء عن وقوعه في دائرة تأثير العلل لاطلاعه وتعلّمه بالحادثة المقرّر وقوعها يفضي إلى الاخلال بتماميّة العلّة ويوجب عدم ظهور المعلول وبالتالي بطلان وجوب وقوع الحادثة أو الحوادث حتماً.

انّ الاطّلاع والعلم أمر حادث يقع خارج سلسلة العلل ومثال أهل الانكار في هذا الصدر غير وارد ذلك ان حكم العلم، مظهر للغير وليس دافعاً للشخص إلى العمل بما يطابق علمه أو مانعاً له في عمل خلاف ذلك.

انّ العلم والاطّلاع لم يكن عاملاً في اصرار المنكرين على انكار ما استيقنته أنفسهم بل هي الأهواء النفسيّة التي دفعتهم إلى هذا الانكار.

وما أكثر الأطبّاء الذين نراهم يمارسون التدخين وتناول المشروبات الكحوليّة والقيام بعمل يخالف علمهم بالأضرار التي يلحقها التدخين والكحول بسلامتهم لأنّ الدافع لهم في ذلك هو الهوى.

انّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة من آله الأطهار عليهم السلام مأمورون من قبل الله عزّوجلّ في تطبيق الشريعة الالهيّة ومع ظهور العلم غير العادي لعواقب الأُمور فانّهم لا

يمتنعون عن الوقوع في دائرة العلل الموجبة لحلول الحوادث ضدّهم بل يستقبطونها بشوق لأنّهم وجدهم مأمورون من لدى الله تبارك وتعالى بالقيام بأمره والعمل به:

«وهم بأمره يعملون».

ومن البديهي أن يفضي الايمان بهذه الفكرة في عدم تغيير النظام ووجوب ظهور الحوادث على نحو لا يمكن لأيّ أمر تبديل هذا الوجوب إلى الامكان؟ إلى تبلور فكر يفيد بأنّ الله تعالى لن يكون له أيّ دور في تغيير الحوادث والمصير ولا في ادارة هذا النظام المطابق للنظام الربّاني الرفيع المنزل بحيث انّ جميع الحركات التي تقوم بها الكائنات الحيّة فوق سطح الأرض لا تخرج عمّا هو مقرّر لها في هذا النظام.

وعليه لا ضرورة لوجود علم الآخر لادارة هذا النظام لأن هذا النظام يدور بالقدرة الابتدائيّة وبعلم الله الأزلي ولا تؤثّر فيه العوامل التالية أو الجديدة الأُخرى من قبيل العلم والقدرة ولو أراد الله ايجاد تغيير في مسار أصغر المخلوقات لما أمكنه ذلك.

انّ نظريّة الفلاسفة ومن يتّبعهم تتناقض تماماً مع العلوم الوحيانيّة للاسلام، قال تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[1].

---

١. المائدة: الآية ٦٤.

وقال عزّوجلّ:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

أليس اعطاء الملك ونزع الملك تغييراً في النظام؟!

ألا يدلّ ذلك على قدرته المطلقة يفعل ما يشاء؟

من الممكن القول انّ الله في عطائه أو في أخذه إنّما هو ضمن الخطط المرسومة من قبل في نظام الامكان بمعنى انّه يعزّ ويذلّ هو ضمن نظام الحاسوب الربّاني الذي تمّ تعريفه مسبقاً وإذا الأمر كذلك فلماذا قال سبحانه: يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء؟ بل المتوقّع منه سبحانه وهو القائل:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللهِ حَدِيثاً﴾[2].

ان يطابق حديثه الواقع فيقول: «يعزّ من شاء ويذلّ من شاء وكان على كلّ شيء قادر ولكن الآن لا يستطيع فعل شيء» كما قالت اليهود: يدالله مغلولة.

ان صفات الله هي عين ذاته وذاته مطلقة غير محدودة واذن إذا كان قديراً وعليماً و... فان قدرته وعلمه ليس محدوداً بموضوع و «انه على كلّ شيء قدير» معبّر عن لا نهائيّة القدرة في ذاته فاذا كان النظام الامكاني الفعلي هو أحسن نظام بحيث لا يمكن تصوّر خلق نظام أحسن منه وتطبيقه وكذا لا يمكن تغيير هذا النظام حتّى من قبل الله تعالى! اذن فان علمه وقدرته محدودة بهذا النظام وكفىٰ! واذن فان توصيف قدرة الله وذاته بالمطلقة خطأ!

---

١. آل عمران: الآية ٢٦.
٢. النساء: الآية ٨٧.

انّ الله كان قادراً على هذا النظام الذي هو أحسن نظام كما يقول الفلاسفة في إيجاده.

وهذا النظام على سعته التي لا يمكن لعقولنا أن نتصوّره هو نظام وان قدرة الله متعلّقة بنظام محدود وكفى ولا يمكن خلق نظام أحسن منه واذن فان قدرته وعلمه محدودة بهذا النظام وليس بأحسن منه!

في حين انّنا إذا فكّرنا بهذا النظام أو في أيّ شيء له علاقة مع الخالق فانّه فقر محض وصفر محض على ظنّنا بأنّه أحسن نظام.

يقول عزّوجلّ:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللهَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

هل قال سبحانه انّه لا يمكنه ايجاد تغيير في هذا النظام وانّه لا يمكنه أن يضيف إليه شيئاً؟!

ان عبارة «ما يشاء ويختار» تدلّ على قدرته المطلقة وانّه سبحانه يخلق ما يشاء.

يقول سبحانه:

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[2].

واذن فاذا كان الله تعالى لا يستطيع خلق نظام آخر أحسن من هذا النظام بأيّ

---

١. القصص: الآية ٦٨.
٢. المعارج: الآيتان ٤٠ ـ ٤١.

سبب كان ان عدم تمكّنه يعبّر عن عدم قدرته على ذلك وبالتالي ارتسام علامة استفهام على قوله تعالى:

«انّه على كلّ شيء قدير» نستغفر الله!

وكذلك إذا كان هذا النظام مطابقاً للنظام الربّاني الرفيع الذي هو في الذات الالهيّة فاذن هو جزء من ذاته ولأنّه توجد صفة زائدة على ذاته وان ذاته أيضاً علم محض وقدرة محض اذن فان هذا النظام وحده قد ارتسم في ذاته فقط وليس نظام آخر وبالتالي فانّ الله ليس عالماً بنظام آخر.

ومن جهة فان علمه أيضاً هو عين ذاته واذن فان هذا النظام هو وحدة النظام المعلوم وسائر النظام الأخرى غير معلومة.

انّ كلّ هذا يعبّر عن محدوديّة علم وقدرة ذات الباري تعالى الأمر الذي ليتناقض بوضوح مع العقل والشرع.

انّ الله الذي قدرته لا تتعلّق بتغيير شيء في هذا النظام أمرني أن أقول: «اهدنا الصراط المستقيم».

ترىٰ لماذا أقول ذلك؟!

فاذا كان هذا النظام غير قابل للتغيير وكان من المقرّر أن من المهتدين وسوف نكون كذلك وسوف لن يكون هناك من تغيير وإذ كان من المقرّر أن نكون من الضالين ولا يوجد عامل يمكن أن يهدينا لأنّ النظام غير قابل للتغيير.

فلا مناص من الاذعان بأن أمر الله لنا بالدعاء ووعده بالاجابة وقضاء الحاجات وأمره بالصلاة والأعمال العباديّة الأُخرى هو من العبث واللغو!!

هذه هي عقائد أهل العرفان والصوفيّة التي تترتّب على الاعتقاد بنظام غير قابل للتغيير.

«ادعوني أستجب لكم» ترىٰ لماذا ندعوه إذا آمنّا بأن هذا النظام غير قابل للتغيير.

ألا يدلّ هذا الكلام على عدم صدقيّة الخالق والعياذ بالله.

تعالى الله عمّا يصفون!

ان أمره لنا بالدعاء ووعده الاستجابة هو عين الحقيقة، انّنا ندعوه فيستجيب لنا.

وانّ كلام الفلاسفة والعرفاء على ان هذا النظام غير قابل للتغيير هو من قبيل التخريف الذي يضاف إلى خرافاتهم وما أكثرها[1].

يبرّر بعض الفلاسفة الدعاء بقولهم: انّ حدّ العوامل والعلل الجارية في هذا النظام هو الدعاء «فعند ما ندعو الله للشفاء من مرض والخلاص من البلاء فيستجيب الله لنا، وان الله هيّأ جميع الأسباب ومنها الدعاء فالارادة الالهيّة تعلّقت بكلّ الأشياء مع أسبابها ومنها الدعاء.

وهذا ما يذهب إليه ابن سينا في نظام غير قابل للتغيير وكذا ما يذهب إليه العرفاء والمتصوّفة ومنهم صدرالدين القونوي: فالدعاء عندهم على ثلاثة أقسام:

«فان له على ذكر الشيخ في النصوص ثلاثة أقسام:

---

١. جاء في شرح الكافي لملّاصدرا:

انّ هذا النظام تام امكاني مطابق للنظام الشريف الربّاني ولذلك يكون أحسن النظم وأتمّها وليس الدعاء والبداء والابتلاء والتردّد في هذا النظام إلّا عبثاً. شرح الكافي ٣٧٨.

أحدها الدعاء على سبيل الاستعجال وهذا دعاء العامة.

والثاني الدعاء على سبيل الاحتمال وهو دعاء الحكماء القائلين بأن من الممكن أن يكون الدعاء شرطاً في تحقّق بعض الأُمور كما فصّله الشيخ الرئيس وأمثاله في كتبهم.

والثالث الدعاء على سبيل الامتثال وهو دعاء العرفاء والأولياء الذين يشهدون جفاف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[١].

وكذا ما قاله ملّا صدرا في عدم جدوى الدعاء:

«يكون أحسن النظام وأتمّها وليس الدعاء والبداء والابتلاء والتردّد في مثل هذا النظام إلّا عبثاً»[٢].

وفى ضوء أفكار فلاسفة ما قبل الميلاد التي تمريرها داخل الفكر الاسلامي من خلال الفلاسفة والعرفاء الاسلاميّين فانّه ليس للأنبياء والرسل من دور في هداية البشر وما هم إلّا علل في نظام غير قابل للتغيير.

فالفلاسفة يصرّون على ان «الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد» وان الباري في البدء ابتدع العقل الأوّل وصدر عن العقل الأوّل العقل الثاني و... ومن ثمّ الفلك الأوّل ومن الفلك الأوّل الفلك الثاني و...» هل لدينا في الاسلام مثل هذه الخرافات؟!

هل تكلّم بهذا معلّموا القرآن وحملة علوم الوحي؟! أبداً فلماذا اذن تتكلّمون هكذا وتصرّون على اثبات ميراث قديم وصلكم من فلاسفة اليونان والفرس

---

١. التعليقات ٣٠٦.
٢. شرح اصول الكافي ٣٧٨.

والهنود؟ وتحافظون عليه كما كانت قطع اثرية قديمة جداً؟!

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

يعترف بعض كبار الفلاسفة والعرفاء بأن مقولات الفلاسفة تختلف عن مقولات الأنبياء، أما أُولئك الفلاسفة الذين مازالوا في بداية الطريق فيصرّون على القول متفلسفين بأنّه لا فرق بين مقولات الفلاسفة وتعاليم الأنبياء؛ بل وحتّى معارف أهل البيت عليهم السلام هي الاخرى قالها فلاسفة اليونان من قبل.

واذن فان ما يجري تدريسه من مناهج في الحوزات الدينيّة وللأسف باسم الاسلام هو في معظمه أُصول دوّنها فلاسفة اليونان وإلّا فان الاسلام ـ حسب ظنّهم ـ لم يأت بموضوع جديد وكلّ ما لديه إنّما تأييد للحقائق الصادرة عن لسان المعلّم الأوّل ارسطوطاليس!!

فياله من مجد كبير لليونان واليونانيّين أن يرون فرضيّات وأفكار أسلافهم الذين ماتوا منذ آلاف السنين قائمة نافذة في ثقافة الشيعة الذين آمنوا بالفلسفة واتبعوها وما هي إلّا مجرّد خرافات وفرضيّات فارغة ثبت فشلها وتخلّفها في جميع المجالات.

يقول: «انّه لظم عظيم أن يفرّق بين الدين الالهي والفلسفة الالهيّة».

أقول: إذا كان الدين هو الفلسفة والفلسفة الالهيّة هي الدين فما جدوى ارسال الأنبياء وخاصّة آخر الأنبياء؟!

انّ لله تعالى لم يرسل أنبياءه ورسله لتعليم الناس العمران والبناء بل جهّز عباده

---

١. الزخرف: الآية ٢٣.

بالعقل والحواس والارادة لادارة شؤون حياتهم فاكتفوا ذاتياً.

فاذا قيل: «انّ الفلسفة والدين كلاهما يوصلان إلى الحقيقة، فمن كان لديه الادراك والشعور العقلي والفلسفي مسلك طريق الاستدلالات والبراهين العقليّة ومن افتقد ذلك سلك طريق الايمان والدين».

وفي هذه الحالة يكون لدينا حراطين وعلينا أن نقول:

«اهدنا الصراطين المستقيمين»! وكان على الله أن يأمرنا بذلك في حين انّ الاسلام صراط مستقيم واحد أمّا الطريق الفرعيّة فعديدة وكثيرة وتدعى «السبيل» وهي بدورها توسّل إلى الصراط المستقيم.

انّ «الفلسفة» لا يمكنها أن تكون طريقاً فرعيّاً لأنّه لا ربط لها بالدين وأُصوله!

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1].

وعلى العكس يرى الفلاسفة والدارسين لهذا الحقل ان الفلسفة هي الصراط المستقيم!

ولكن الفلسفة المشّائيّة تقول انّها تمثّل الصراط المستقيم وتزعم الفلسفة الاشراقيّة بأنّها الأكثر حداثة فهي تمثّل الصراط المستقيم، والفلسفة المثاليّة تدّعي ذلك لها وكذا الفلسفة الواقعيّة ثمّ الفلسفة الماديّة الديالكتيكيّة أيضاً!

ولكن كلّ هذه الفلسفات ظهرت فضائحها بعد سنوات وثبت عكسها كما حدث ذلك للشيوعيّة التي خضعت لمحك التجربة وثبت فشلها.

---

١. سبأ: الآية ٦.

أمّا بشأن خلق العالم وعلاقته بالخالق وغير ذلك فهذا لا يخضع للتجربة ان هذا الحكم ينسحب تماماً على الفلسفة اليونانيّة التي كانت سائدة قبل الميلاد فما خضع للتجربة ظهرت خرافته وتجلّى بطلانه.

وإذن فان مقولات هذه الفلسفة في مضمار خالق العالم وكيفيّة الخلق وكلّ البحوث الفلسفيّة في المعقولات هي الاخرى مجرّد خرافات وأباطيل.

وبعد ثبوت كلّ هذه الخرافات فهل من الصحيح أن نتمسّك بالفلسفة ونصفها بأنّها علم؟!

ومن المثير أن بعض من يدّعي انّه مسلم ومحب لأهل البيت عليهم السلام ثمّ لا يلتزم بتعاليم الأئمّة الأطهار في الابتعاد عن الفلسفة واجتنابها ولكنّهم يصرّون على التمسّك بها ويأخذون معالم دينهم من غيرهم؟! مع علمهم ان هؤلاء الفلاسفة ينفخون في موقد طافئ منذ آلاف السنين وكأنّهم لم يسمعوا حديث النبي صلى الله عليه وآله:

«**أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا وَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بابِها**»[١].

يقول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام:

«**نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ لا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقا**»[٢].

وعلى افتراض انّه لا فرق بين الدين والفلسفة فانّه وفقاً لما قاله الامام علي عليه السلام يجب علينا أن نطلب العلم من أهل البيت عليهم السلام لكي نبلغ العلوم الوحيانيّة التي هي

---

١. الاحتجاج ٧٨/١؛ بحار الأنوار ١٩٨/٢٨؛ تحف العقول ٤٣٠؛ التوحيد ٣٠٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

الفلسفة كما تزعمون ومن يريد طلب العلم والمعرفة الدينيّة ـ التي هي الفلسفة بزعمكم ـ مباشرة من ارسطو أو ممّن شرح عقائده من قبيل ابن سينا أو غيره من الفلاسفة والعرفاء فانّه يسمّى سارقاً بحسب حديث الامام علي عليه السلام ومن تثبت عليه صفة السرقة في طلب العلم والهداية فانّه من البديهي أن يكون من المعتدين في النظام وبالتالي فانّه لن يحظى بأيّ شكل من اشكال الفهم والادراك والعرفان الحقيقي.

لأنّ الله عزّوجلّ يقول:

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1].

انّ العدوان يفضي إلى انسداد جميع الطرق والنوافذ وانغلاق القلب وحينئذٍ لن تنفذ أنوار الهداية إلى داخله ويبقى غارقاً في ظلمات الضياع بعيداً عن نور الحقيقة.

انّ التمسّك بنظريّات فلاسفة اليونان قبل آلاف السنين واعتبارها أساساً في الالهيّات لا يعني سوى التكذيب برسالة الاسلام والقرآن الكريم في اعلانه الصريح بنسخ جميع الشرائع والأديان:

﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللهَ شَهِيداً﴾[2].

وكذلك تكذيب كمال الدين وتمامه واشتماله على كلّ شيء:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

---

١. يونس: الآية ٧٤.

٢. الفتح: الآية ٢٨.

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾.

يقول البعض: «انّ الفلسفة والحكمة في إيران جزء لا ينفكّ من ثقاة الاسلام»[1].

ومعنى هذا أنّ الفلسفة لا تنفصل عن الدين.

انّ الفلسفة لا تنحصر في موضوع الالهيّات وماوراء الطبيعة، كما ان تدخلها في موضوع الالهيّات لم يكن مقيّداً بشرط تطابقها مع الدين، بل العكس.

واذن فانّ الفلسفة عبارة عن معرفة حقائق الأشياء فكلّ ما يطلق عليه شيء فهو يقع تحت مظلّة الاستدلالات الفلسفيّة لهذا كان الفيلسوف طبيباً وفلكيّاً وعالماً بالطبيعيّات وغير ذلك من المجالات الأُخرى.

فعلى سبيل المثال كتاب «القانون» في الطب لابن سينا وقد لاحظنا كيف ظهر بطلان أفكاره الفلسفيّة القديمة في جميع المجالات من قبيل الهيئة (الفلك) الطب وعلوم الطبيعيّات و...

وفي الوقت الذي افلتت هذه العلوم من أسار الفلسفة ستقع في أيدي المتخصّصين في هذه العلوم وتحقّق تقدماً واسعاً ما يزال الدين وثقافة الاسلام يرزح تحت نير الفلسفة والفكر اليوناني القديم.

ما هو الباعث على ظهور الفرقة في الأُمّة الاسلاميّة وظهور المذاهب المختلفة غير الفلسفة؟!

ان ظهور المعتزلة والأشاعرة والمرجئة والباطنيّة و... وانقسام كلّ مذهب

---

١. الاسلام وإيران خدمات متقابلة ٧١٥.

كلامي على نفسه وتحوّله إلى عشرات الفرق الكلاميّة لم يكن ليحصل لو لا تلك الأفكار الفلسفيّة المستوردة والتي يعود تاريخها إلى ما قبل الاسلام بل إلى ما قبل الميلاد!!

وهي أفكار لا تشتمل على شيء سوى الشرك كما سنرى!

انّ الانسان المعاصر اليوم وخاصّة في الدول المتقدّمة قد اكتشف ومنذ مدّة طويلة خرافيّة الأفكار اليونانيّة وأعلن بطلانها رسميّاً.

وهذا فرنسيس بيكون في كتابه ارغنون ينتقد الفلسفة القديمة بشدّة ويخطئها ويعتبرها فارغة ولا جدوى من ورائها:

«لم يعتمد العلماء القدامى منهجاً صحيحاً، ولم يكن لهم حظ من العلم، وكلّ ما استنتجوه كان على سبيل المصادفة، فقد تناول الفيلسوف بعض الأُمور المتداولة ومن دون التحقّق من صحّتها راح يبني عليها صروحاً من خيالاته وأوهامه وأفضل نموذج في هذا المجال فلسفة ارسطو»[١].

وهذا ديكارت الشخصيّة العلميّة الذي لا ينكر أحد دوره في التقدّم العلمي يقول:

«لم يكن لدى الفلاسفة القدامى من مناهج فكريّة سوى الخيال، وقد ثبت ان كلّ ما قالته الفلسفة اليونانيّة في مضمار معرفة الأشياء كان مخالفاً للواقع ولا أساس له من الصحّة».

«وهكذا ظهرت خياليّة وأوهام الفلسفة القديمة وتمّ نسخها من قبل ديكارت

---

١. مسار الفلسفة اوربا ١/١٣٧ ـ ١٤١.

فلم تبق سوى الدوائر الدينيّة المسيحيّة إذ ما يزال لها أتباع»[1].

وهناك أمثلة كثيرة تؤكّد بطلان هذه الفلسفة لم نوردها لأن أصل الموضوع هنا هو مدى توافق أو تعارض هذه الأفكار مع التعاليم الاسلاميّة ان الأوساط الفكريّة الغربيّة التي انبرت للرد على الاسلام إنّما كانت تنتقده انطلاقاً من هذه القضايا الفلسفيّة الخياليّة التي نفذت في عمق الفكر الاسلامي، متهمة اياه بأنّه المسؤول عن انتشار هذه الفلسفة والمدافع عنها وبالتالي السخريّة منه.

انّ مجدنا الحقيقي ورقينا الفكري والعلمي لن يتحقّق إلّا عند ما ننفصل عن الفلسفة ونستقي عقيدتنا من العلوم الاسلاميّة ونبدأ حركتنا من خلال بث روح البحث العلمي داخل المجتمع.

انّ الدين الاسلامي الحنيف يحث على طلب العلم ويمجّد الروح العلميّة وما أكثر الأحاديث الشريفة التي تحثّ على طلب العلم:

«من مات في طلب العلم مات شهيداً».

«طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة».

انّ الفلسفة اليونانيّة قبل ظهور الاسلام بقرون وإلى يومنا هذا لم تتمكّن من الكشف عن حقيقة مجهول صغير لتضيفه إلى عالم المعرفة! فكيف نعدّها علماً؟!

ترىٰ هل يحثّنا الاسلام على طلب هكذا علم!!

انّ العلم نور، يبدد ظلمات الجهل ويكشف عن الحقائق وهو من أعظم نعم الله تعالى على البشر زينهم وفضّلهم به فقيمة كلّ امرئ بمقدار علمه.

---

١. مسار الفلسفة في اوربا ١١ / ٢٠٦ و ٢ / ٧٩.

يقول النبي صلى الله عليه وآله:

«**أَكْثَرُ النَّاسِ قِيمَةً أَكْثَرُهُمْ عِلْما**»(١).

وعليه فان هذا المنهج والمسلك الذي عجز عن حل أدنى المشكلات ولم يبدد شبراً من ظلام الجهل وينقذ انساناً من مهاوى الضلال والضياع لا يمكن أن يسمى علماً بل ان تسمية الفلسفة علماً إنّما هو اساءة للعلم! لقد حثّ أهل البيت عليهم السلام من يصغي إلى أحاديثهم على طلب العلم والمعرفة ولو كانت الأفكار الفلسفيّة اليونانيّة علماً لما تردّد الأئمّة الأطهار من تشجيع شيعتهم ومريديهم في دعوتهم إلى تعلّم المنطق والفلسفة؛ بل انّنا نلاحظ العكس.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«**فَتَبّاً وَخَيْبَةً وَتَعْساً لِمُنْتَحِلِي الْفَلْسَفَةِ كَيْفَ عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْخِلْقَةِ الْعَجِيبَةِ حَتَّى أَنْكَرُوا التَّدْبِيرَ وَالْعَمْدَ فِيهَا**»(٢).

ألا يكفي ذمّ الامام عليه السلام عدم التدبّر والعمد في إبداع الخلق في بطلان «واجب الوجود من جميع الجهات»؟!

يقول المرحوم الشيخ البهائي قدس سره في ذمّ الفلسفة:

يا من أمن العلم المجازي

معرضاً عن شذى العلم الحقيقي

مشغول بفلسفة اليونان

---

١. بحار الأنوار ١/١٦٣؛ معاني الأخبار ١٩٥.

٢. بحار الأنوار ٣/٧٥؛ توحيد المفضّل ٦٨.

يائس عن حكمة الايمان

فؤادك في أسر علم أثري

أنت في اوجك عند الحضيض

من لم يفتح الباب بمفتاحه

زاد في الاشكال ايضاحه

ما انارت طريقاً اشاراته

ما أسعد أحداً بشاراته

لم يأت بمحصول محصّله

وإنّما أجمل مفصّله

حتّام تنشد من شفائه الشفاء

ومن كأس السم تطلب الدواء

علام في بؤسك كالمسكين

تفتات من فتات اليونانيّين

حتام تلمس شرهاً من كاس

ثمالة في قدح ابليس

انما أوصى النبي بسؤر المؤمن

ما الذي تطلبه من سؤر ارسطو

اطلب السؤر من هو في العرصات

ومن شفاعته تحصل الدرجات

واسلك الطريق إلى طريقته

واعتش على خبز شريعته

انه الطريق لا ريب فيه ولا شك

وهو الخبز ليس بمالح ولا دون ملح

كم يذهب بفلسفتك الغرور

تنسج من رطب ومن يابس

لقد فضحتك ما بين البشر

براهين ثبوت العقول العشر

لم تعد بشيء سوى انها نفختك

براهينك في تناهي ابعادك

ومن ذلك الفكر الذي هيولى صرف

لم يتبلور منه حتى حرف

كيف يمكن التصديق بهذا الأمر

أن للألوان في الظلمة مقر

ان علماً هذي مواضعه

هو ميدان معائد الشياطين

إلى أن تسوق حصانيك

وإلى متى بدراستك تختال

تعتاش علم دنيء

فضلات من فتات اليونان

أخبرني إلى متى كالذباب

تطنطن في فضلات الآخرين

أي غاية بلغت في انعدام الدين

لتجمع كتبهم كتاباً فوق كتاب

لم تقبل بوجهك على شريعة المصطفى

ولا بفؤادك بطريقة المرتضى

ماأصبت حظاًمن علم الفروع والاصول

فاخجل واستح من الله والرسول[١]

ومع حجم الفضيحة العالميّة التي منيت بها الفلسفة اليونانيّة في جميع المجالات إلّا انّها ما تزال تجثم بقوّة فوق الدين الذي ما يزال يرزح تحت نيرها.

أليس من العار والطامّة الكبرى على الاسلام أن يقال:

انّ المنهج الفلسفي في الإسلام ليس إلّا استنساخ لما هو في الدين المسيحي الذي ما يزال يتبع تلك الفلسفة القديمة.

ونستنتج من بقاء هذه الفلسفة بنفس قوّتها في الأوساط العلميّة الاسلاميّة مدى التشابه الفكري بين المجمعتين المسيحي والإسلامي في حيث انّ المسيحيّة من حيث العلم الديني ليس لديها من نصيب فجميع العقائد المسيحيّة هي من نسيج هذه الأفكار بما فيها هذا «الكلام» وهذا النسيج الفلسفي.

---

١. الكشكول ١/ ٢٤٩.

أمّا الاسلام وتعاليمه فهو من أرقى الأفكار ولا يمكن مقارنته بأحد من هذه الأديان السماويّة والمدارس والمذاهب البشريّة وانطلاقاً من الرشد البشري والتقدّم المستمر للانسان شرع الله عزّوجلّ شريعته الأخيرة في رسالة الاسلام التي تشتمل على جميع الحلول لكلّ معضلات البشر.

ومع كلّ هذا فماذا عاد علينا من وراء التسمّك بمنهج فلاسفة ما قبل الميلاد من اليونانيّين وضح مختلف أفكارهم المتناقضة في الحياة الفكريّة للمجتمع الاسلامي وتمريرها بحجج واهية من تقدّم بشري أحرزه أو سيحرزه بالنسبة للإسلام ومعرفته؟!

فهل انّ الاسلام كما هي المسيحيّة قد تورّط في حبائل الفلسفة ولا يمكنه الفكاك عنها ليست له القدرة على الافلات من هذه المناهج المنسوخة والأفكار الفارغة؟

ان القصور فينا نحن إذ بقينا جامدين ولم تنطلق لاستكشاف العلوم والمعارف الاسلاميّة من ينابيعها المتقدفة الأصليّة!

واذن فالانفعال بين العلوم والفلسفة يتيح للمتخصّصين في كلّ حقل علمي فرصة الانطلاق والبحث والتحقيق في الموضوع المنشود والكشف عن حقائقه وهم في غنى تام عن العودة والتقهقر لاستلهام أفكار قديمة جدّاً تعود إلى آلاف السنين.

المطلوب السعي وفق اسس جديدة تماماً في ادراك حقائق أيّ موضوع علمي كما بادرت المجتمعات المتقدّمة إلى ذلك وسجّلت تفوّقها في الكشوفات والازدهار العلمي.

وأثر ظهور اخفاقات وفضل الفلسفة وبطلان أفكارها ونظريّاتها الخرافيّة تحول العزوف عن دراسة الآثار الفلسفيّة إلى حالة من النفور الشديد من الفلسفة هو بمثابة اتلاف لسنوات العمر وانتشار سد كبير يحول دون التقدّم الفكري والرقّي الحضاري من أجل قطعوا كلّ العلاقات مع الفلسفة، ونبذو كلّ النظريّات الفلسفيّة في حقول الفلك والطب والعلوم الطبيعيّة وحتّى الرياضيّات بعيداً وكانت هذه الخطوة المصيريّة التي وضعت أقدامهم في طريق النجاح والازدهار وهذا ما تحقّق لهم من خلال العلم لا الفلسفة.

وهذه الحالة تنسحب على ميدان الالهيّات أو العلوم الدينيّة.

انّ التمسّك بأفكار فلسفيّة تعود إلى ما قبل الميلاد لن تؤدّي إلّا إلى تأخّر المجتمع ولا يقود الأُمّة إلّا إلى المزيد من الجهل والتخلّف.

واذن يتعيّن على المجتمع والأُمّة الاسلاميّة طلب العلم الحقيقي والمعارف الدينيّة من ينابيعها الأصليّة الصافية وهم أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام فهذا هو الطريق الوحيد لبلوغ الحقيقة.

انّ مسؤوليّة التبليغ الديني ونشر المعارف الاسلاميّة والشريعة مهمّة يتحمّلها النبي صلى الله عليه وآله حامل الرسالة الأخيرة للبشريّة، ثمّ يليه أوصياؤه من آله الأطهار فهم الأمناء على الوحي وخلفاء النبي صلى الله عليه وآله وهم وحدهم من يحمل علوم القرآن والوحي.

«من أتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك».

يقول هبة الله الشهرستاني مستغرباً هذا الاصرار المنير على نظريّات اكل الدهر عليها وشرب حيث كان القدماء ينظرون إلى عقائد فلاسفة اليونان على مسلّمات

لا تقبل الأفكار ويبلغ اصرارهم أنّهم ينبرون إلى تأويل الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة على أيّ نو كان لكي تنسجم مع ما يعتقدونه به من آراء الفلاسفة اليونان»[١].

وقد اعترف بذلك أحد كبار الفلاسفة والعرفاء وهو ملا صدرا قائلاً: «فلا جرم ابدع جلّ شانه أوّلاً العقول الضالّة والصور المكرمة ثمّ سائرها إلى أواخر تلك الطبقة وهي أرباب الأصنام ومثل الانواع الطبيعيّة التي أثبتها افلاطون وأفلاطونيّون، ونحن يمجّد مؤسّس المدرسة والفلسفة الاشراقيّة أعني الشيخ شهاب الدين السهروردي قائلاً: «شيخ أتباع المشرقيّين المحيي رسول حكماء الفرس في قواعد النور والظلمة»[٢].

ومن يقصد بـ«حكماء الفرس»؟!

انّهم الزرادشتيّة هذه الديانة التي سبقت ظهور الاسلام بمئات السنين!

وعليه ووفقاً لتصريحات هؤلاء الفلاسفة فانّه لم يكون لهم من همّ إلّا احياء أفكار فلاسفة عاشوا قبل الميلاد وقبل ظهور الاسلام فلم تكن لهم ولا لأفكارهم من صلة بالاسلام وإذا بهؤلاء الفلاسفة يحاولون دمجها بالاسلام من خلال آية ورواية وتفسيرهما تفسيراً تعسفياً من أجل تأييد مقولات الفلسفة اليونانيّة مهما كان الثمن!

لقد اعماهم وأصمّهم عشقهم للفلسفة اليونانيّة وحقاً ما قيل: «حبّ الشيء يعمي ويصمّ» بحيث انّهم كلّما شاهدوا تناقضاً بين مقولات الفلاسفة الذين

---

١. الإسلام والهيئة ٢٤.　　٢. الأسفار الأربعة ٦/١٩٩.

عشقوهم وبين أحاديث معلمي القرآن والمتخصّصين في الالهيّات عمدوا فوراً إلى تأويل الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة تأويلاً يتوافق مع نظريّاتهم البالغة القدم.

أجل كلّما صادفهم في الأحاديث والروايات ما يخالف عقائدهم الفلسفيّة قالوا:

«وفي هذا التفاته لطيفة لا يتسع المكان لبيانها».

انّ الفلسفة والعرفان (التصوّف) موضوعات أخذت من أهل السنة؛ ذلك انّ الفلسفة شاعت وانتشرت أوّل ما انتشرت بعد ترجمتها في الأوساط السنية.

قد أحيينا رسوم المتقدّمين في القول بهذا المذهب وتقويمه وذببنا عنه بقمع الشبه ورفع الشكوك»[١].

أليس ما ذكره ملّا صدرا من موضوعات في هذه السطور مجرّد خرافات لا أكثر؟!

العقول الفعّالة، الصور المكرّمة، مثل الأنواع الطبيعيّة!

أرأيت كيف يسعى فلاسفتنا إلى احياء خرافات فيلسوف من الفلاسفة الذين عاشوا في قرون ما قبل التاريخ!

هل تمتلك هذه الفرضيّة مصداقيّة علميّة حتّى تسعى أيّها الفيلسوف الاسلامي إلى بعثها واحيائها؟

قطعاً لا! لأن هذه العقول الفعّالة هي من أوجد النفوس الفلكيّة والأفلاك نفسها!

---

١. الأسفار الأربعة ٧/ ١٠٩.

ومع اثبات خرافيّة هذه الأفلاك والنفوس الفلكيّة، فهل يكترث عاقل لها فضلاً عن احيائها؟

والآن أيّها الفيلسوف الاسلامي وقد أثبت مهارتك في احياء ثقافات الآخرين ماذا أحييت من الاسلام؟!

ان ارنست رينان لم يجانب الحقيقة عند ما قال:

«انّ الفلسفة الاسلاميّة والايرانيّة هي نفسها الفلسفة اليونانيّة ذلك انّ الفيلسوف الاسلامي قام باحياء أفكار ونظريّات فلاسفة اليونان قبل الميلاد ونفخ فيها الروح ثمّ قدمها على انّها عرفان إسلامي وقد رأينا الفيلسوف الكبير ملّا صدرا (صدرالمتألّهين) كيف وقد كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام طالموا يحذرون أتباعهم من الاقتراب من الفلسفة ومن التصوّف وعلم الكلام، وقد ظلّ الشيعة فترة من الزمن في مأمن إلى أن سقطوا بدورهم في الفخ فأصبحوا كلاميين ومن ثمّ فلسفيّين.

وقد بلغ أنصار الفلسفة والعرفان (التصوّف) في تعصّبهم وتقليدهم انّهم يقولون «انّ قضايا الفلسفة هي نفسها معارف أهل البيت عليهم السلام».

وإذا ما صحّ هذا الزعم أليس من المتوقّع من أهل البيت عليهم السلام الذين «عادتهم الاحسان وسجيّتهم الكرم» ومسؤوليّتهم هداية الناس إلى الحق أن يصرّحوا ويتحدّثون عن منزلة اولئك الفلاسفة ويحثون الناس على استلهام أفكارهم؟

انّ ترجمة الفلسفة والعرفان إلى العربيّة هي السبب في رواج الفكر اليوناني الذي أفضل بعد فترة وجيزة إلى ظهور علم الكلام ومن ثمّ ظهور المذاهب والفرق المختلفة!

ويزعم أنصار الفلسفة والمنادون بحقانيّتها ان أئمّة أهل البيت عليهم السلام لم يصرّحوا

بشأنها في حين انّ الروايات التاريخيّة تكذب مزاعمهم إذ نجدهم عليهم السلام قد صرّحوا بذمّها وتقبيحها في ظروف كانت الأجهزة الحاكمة تساند هذه المشاريع الثقافيّة بقوّة وترصد تخصيصات ماليّة ضخمة لدعمها.

فكيف يزعم البعض انّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يوجهون الناس باتّجاه هذه الأفكار اليونانيّة إلّا انّهم لم يذكروا بالاسم أيّا منهم من قبيل سقراط، افلاطون وارسطو وفي مضمار العرفان أسماء من قبيل افلوطين وفرفريوس!

أليس هذا من باب تكران الجميل؟!

اذن العكس هو الصحيح انّ الأئمّة الأطهار لم يذكروا الفلسفة والتصوّف إلّا بالذم والتقبيح وفي هذا دليل على كذب وبطلان هذه المزاعم!

انّ القول بأن «أهل البيت كانوا هم من يحثّ الناس إلى الفلسفة والعرفان» هذا أكبر أُكذوبة في هذا الصدد.

انّ علوم الدين والتي جوهرها التوحيد والالهيّات من اختصاص الأنبياء والرسل والانسان لا يمتلك الاكتفاء الذاتي في هذا المضمار ومن أجل هذا بعث الله رسله وأنبياء لهداية البشر وانقاذهم من ظلمات التيه والضياع وما الرسالات الالهيّة إلّا اشراقات سماويّة تضيء الطريق لأهل الأرض.

وفي كلّ عصر نرى البعض من البشر يلجون في هذه المتاهات التي لا يمكن للعقل البشري والخيال والوهم أن يتلمّس الطريق الصائب أجل ان وادي الهيّات هو الوادي الصعب والمستحيل ومن دون اضاءات السماء من خلال الرسل والأنبياء والرسالات الالهيّة لا يمكن لأيّ من البشر أن يتلمّس طريقاً صائباً ولذلك يتيه الفيلسوف والمتصوّف ويضيع داخل شرنقة من الأوهام والتصوّرات

يحسبها حقائق لا تقبل النقاش الأنبياء والأوصياء هم وحدهم المؤهلون لقيادة البشريّة وهدايتها نحو التكامل الانساني وبلوغ الحقيقة.

ان الذات الالهيّة المقدّسة لا يمكن ادراكها ولا تقع ضمن المعقولات وما ورد في ما يدعى بالفلسفة الالهيّة إنّما سلسلة من التصوّرات تنهض على أساسها براهينهم واستدلالاتهم وتوصّلهم إلى مرحلة اليقين بالنتائج الحاصلة من تلك البراهين ما هو هذا اليقين الحاصل؟

هل لديهم ميزان ومعيار يمكن من خلاله معرفة تطابق أو عدم تطابق أو النسبة المئويّة من التطابق من اليقين الحاصل مع الحقيقة.

لقد شغلت استدلالات ماركس العقليّة العالم مدّة قرن من الزمن وتمكّنت من الحكم في كثير الدول وقد كان الماركسيّون قد بلغوا مرحلة اليقين في صوابيّة وحقّانيّة الفلسفة والنظام الشيوعي وبعد مدّة ظهر بطلان تلك الفلسفة للجميع.

وهكذا كلّ الاستدلالات الفلسفيّة إذ ان كلّاً منها تصرّ على حقانيّة مدرستها الفكريّة.

ومن هنا يوحي البعض إلىٰ نفسه ويعلن للآخرين قائلاً: بما ان مذهبنا حقّ والقرآن أيضاً حق فاذن فان مذهبنا هو علوم القرآن ذاتها!

وهكذا وانطلاقاً من اليقين الذي بلغوه والذي ينهض على البراهين والاستدلات الفلسفيّة يعتبرون ان كلّ اشكال الفصل بين الدين والفلسفة إنّما هو ظلم عظيم جدّاً!!

ولذا من أجل الخلاص من هذا التيه والضلال والضياع ومن أجل تعلّم علوم الوحي ومعرفة العلوم الدينيّة يجب على الجميع التمسّك بأهل البيت عليهم السلام لأنّه من

دون الانتهال من هذا النبع الصافي فان المصير سيكون هو الضياع والضلال والهلاك الأبدي.

انّ عدم ذكر أئمّة أهل البيت وعدم تنويهم بالفكر اليوناني أو الفلسفة وعدم اشارتهم إلى أساطين هذه الفلسفة إنّما يدلّ على تفاهتها.

ونحن نلاحظ كيف أنّ القرآن الكريم ذكر أسماء عدد من الأنبياء والرسل والأوصياء وكذا نجد انّ العديد من الأحاديث في تمجيدهم لأن الموضوع الأساسي في الدين والقرآن الكريم هي معرفة الله والالهيّات ولأنّ الأنبياء هم المخصّصون في معرفة الله والالهيّات ولكي نوضّح هذا الموضوع أكثر نشير إلى موضوع علم الطب على سبيل المثال انّنا نرى آراء المختصّين بهذا العلم تنال الاهتمام حتّى لو لم يكونوا مشهورين أمّا آراء غيرهم ممّن ليس لهم تخصّص في الطب فانّها لا تحظى بأيّ اهتمام حتّى لو كان أصحابها من المشاهير.

انّ هؤلاء ليسوا من المتخصّصين بهذا العلم وليست لديهم معرفة به إلّا انّهم يسعون أن يقدّموا أنفهم كمتخصّصين وهذا يجعلهم منفرين جداً ويدفعون الآخرين إلى النفور عنهم وعليه فان علوم الدين وهي الالهيّات بمعناها الأخص هي من

اختصاص الأنبياء الالهيّين وأوصيائهم وفي هذا الميدان يعجز الآخرون إذا ولجوه مستقلين معتمدين عقولهم أو ينتهون نهج أسلافهم حتّى لو كانوا على مستوى فليسوف كبير مثل ارسطوا أو افلوطين فالجميع ينضوون تحت مقولة الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقا»[١].

ولو كان الموضوع غير ذلك يعني إذا كانت الفلسفة عين الدين والدين عين الفلسفة فما هو الداعي لارسال الأنبياء لأنّ الانسان ليس بحاجة للرسل والكتب السماويّة كما هو الحال في مختلف ميادين الحياة فالانسان يستطيع من خلال عقله الكشف عن الحقائق في ميدان الطب والعلوم الطبيعيّة والفلك و...

فيما مضىٰ وقبل انفصال العلم عن الفلسفة فان كلّ سعي علمي يحصل كان يتمّ من خلال المنهج اليوناني يعني من خلال الفلسفة أمّا الآن فقد انفصلت العلوم عن الفلسفة وأصبح لكلّ علم متخصّصين يرجع إليهم الناس.

انّ الدين نظام مصمّم من لدن الله عزّوجلّ حيث يعجز الانسان عن ابداع منهج عقلي في علم الدين فلا مناص من مراجعة المتخصّصين في علوم الدين يعني أهل بيت الوحي وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهَا ﴾[٢].

انّ الدين وعلمه مصدره الله سبحانه وتعالى، ومن أجل الّا يحصل فهم مغلوط يتعيّن على الانسان الالتزام بالمنهج الذي يحدّده صاحب الدين لأن أيّ فهم مشوه أو ناقص أو مغلوط للدين يعني السقوط في مستنقع الشرك.

واذن يجب طلب علوم الدين من معلّميه الحصريّين وهذا هو الطريق الوحيد لتعلّم التوحيد وحينها يمكنه أن يتّجه إلى أفكار الآخرين وحينها تسطع له القيم.

انّ ضرورة التمسّك بأهل البيت من أجل انتهال العلوم والمعارف الدينيّة أمر

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.
٢. البقرة: الآية ١٨٩.

بديهي؛ لأنّه عدم معرفة الطريق والمسار الذي يوصلنا إلى الهدف يستلزم منّا أن نطلب من الدليل الذي يعرف بالتفصيل هذا الطريق وكلّ الطرق الآخرون ولديه علم تام بتفاصيل الخارطة وخبرة كبيرة بمعرفة أقصر الطرق.

ان الاصغاء إلى هكذا شخص مرشد وهادى والالتزام بتعليماته وتعاليمه سيكون ضماناً أكيداً في عدم الضياع والتيه وبالتالي الوصول إلى الهدف المنشود والغاية.

ولهذا نجد في الكثير من الآيات والروايات تحذيرات شديدة من الخوض اللامسؤول في علم الالهيّات ونظام التشريع.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ رَبِّهِ وَلَمْ يَأْخُذْهُ عَنْ رَأْيِهِ»[١].

انّ الفلسفة والفيلسوف يقول بأنّ الله هو الوجود حيث تتمركز كلّ كمالات الوجود وحتّى الوجود نفسه في الله على نحو تام واذا لغير الله حظاً من الوجود فانّما هو شعاع من منبع ومصدر الفيض.

واذن فان كلّ المخلوقات تشترك مع الله في الوجود وان العلم والعقل أيضاً هما عين الوجود.

فلا مناص من أن يكون الانسان الذي هو أحد المخلوقات ولديه علم وعقل شريك مع الله في كلّ الصفات المجرّدة وفي الوجود!

في حين جاء في الشريعة الاسلاميّة ان كلّ تصوّر ذهني عن الله سبحانه هو

---

١. بحار الأنوار ٦٥/ ٣٠٩؛ معاني الأخبار ١٨٥.

باطل وعلينا أن نقول: «سبحان الله عمّا يصفون».

وترى ماذا تعني هذه الجملة؟

انها تكذّب جميع الشعورات البشريّة التي ترتسم في ذهن الانسان عن الله تعالى.

من أجل فانّنا نكرّر في صلواتنا اليوميّة في الركوع وفي السجود وفي القيام قائلين: «سبحان ربّي العظيم وبحمده» «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر».

عن أيّ شيء تنزه الله سبحانه وتعالى؟!

فاذا كنت شريكاً معه في الوجود فلماذا هذا الاصرار على تنزيهه؟!

كما ترسم علامات استفهام على مقولة «جهل الله من استوصفه» و«ما وحّده من كيّفه» ذلك أنّنا جميعاً لدينا فهم عن الوجود ونحن ندرك هذا الوجود وهو أشدّ الأشياء وضوحاً لدينا ونحن نشترك معه في ذلك!

وإذن ماذا يعني قول المعصوم: «جهل الله من استوصفه» و«ما وحّده من كيّفه»!

انّ بعض أنصار الفلسفة يصرّون من خلال استدلالاتهم على شراكة المخلوق مع الخالق في الوجود وهي شراكة معنويّة وحقيقيّة!

في حين انّنا وفي صلواتنا اليوميّة ننفي وجود شريك لله سبحانه ونقول دائماً: «أشهد ان لا إله إلّا الله وحده لا شيك له».

وهذا نفي مطلق لوجود أيّة شراكة واشتراك وشريك لله تعالى حتّى ولو بنسبة

الذرّة إلى المالانهاية، لأنّ النفي جاء مطلقاً ولم يأت معرّفاً بـ«الـ» التعريف حتّى نقول انّه نفي لوجود إله آخر وخالق آخر غير الله فقط وإن كلّ الألفاظ المستخدمة بين الخالق والمخلوق إنّما هي اشتراك لفظي فقط يعني لا يوجد أيّ شكل من اشكال الاشتراك في المعاني اطلاقاً غير انّ الفلسفة والاستدلالات الفلسفيّة تعدّ أساساً لدى أنصارها في بلورة الأفكار والعقائد غير مكترثين لمن يعارض هذا التوجّه.

يقول أحدالفلاسفة في إثبات الاشتراك المعنوي للوجود بين الخالق والمخلوق:

«ونظيره في السخافة ما نسب إلى بعضهم ان مفهوم الوجود مشترك لفظي بين الواجب والممكن وردّ بأنّا إن نقصد بالوجود الذي نحمله على الواجب معنى أو لا والثاني يوجب التعطيل وعلى الأوّل إمّا إن نعني به معنى الذي نعنيه إذا حملناه على الممكنات وإمّا إن نعني به نقيضه وعلى الثاني يلزم نفي الوجود عنه عند إثبات الوجود له تعالى عن ذلك وعلى الأوّل يثبت المطلوب وهو كون مفهوم الوجود مشتركاً معنويّاً»[1].

أقول: انّ قوله: «إمّا أن نعني به الذي نعنيه إذا حملناه على الممكنات وإمّا نعني به نقيضه.

يثير هذا السؤال وهو: لماذا هذا التقسيم عند الحديث عن «الوجود» إلى وجود أو النقيض؟!

---

١. نهاية الحكمة، الطباطبائي ٨.

ثمّ عند ما ينسب إلى الله تعالى يبادر فوراً إلى نقيض الوجود؟!

هل من الضروري أن يكون مبدع الوجود في مرتبة وجود وخالق لذاته؟

ومن أين لك أن تقول؟!

الأديان الالهيّة قالت أوفلاسفة ما قبل الميلاد؟!

انّه لمن البديهي ان خالق «الوجود» ومبدعه أجلّ من أن يكون في درجة مخلوقه يعني الوجود حتّى يكون محكوماً بنفس القوانين جعلها تحكم مخلوقاته وأن يكون سنخاً لها ومحكوماً بالعدم!

وإذا كان الله هو الوجود، هذا الوجود الذي ندركه وهو أوضح الأشياء في المعرفة أليس قد ارتكب ظلماً كبيراً اذ لم يعرّف نفسه على انّه نفس هذا الوجود المعروف لدى الجميع من الجميع فيخرجنا من الحيرة في ذاته.

كلّا!

انّ «الوجود» الذي يطلق على الله تعالى هو غير الوجود الذي يطلق على الكائنات ذلك ان وجودها نابع من وجوده ولا يوجد شكل من أشكال السنخيّة بين هذين الموجودين وجود البارئ ووجود المخلوق.

وعندما نتحدّث عن وجود الله وعلمه وقدرته ونصفه هذه الاصطلاحات والألفاظ فان ذلك عائد إلى محدوديّة اللغة والكلام لدى البشر ان العلوم والمعارف الدينيّة تقول بوضوح تام:

«لأنّه تعالى خلاف خلقه»[1].

---

١. بحار الأنوار ٤/ ٢٧٤.

وعند ما سئل الامام الصادق عليه السلام ماهيّة الله تعالى قال عليه السلام:

«كُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلافِهِ»[١].

ويقول ثامن أئمّة أهل البيت عليهم السلام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«مَا تَوَهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَوَهَّمُوا اللهَ غَيْرَه»[٢].

ما أكثر النصوص الشريفة في هذا المضمار وما ورد أعلاه إنّما هو غيض من فيض.

ووفقاً لهذا هذه الاحاديث فان كلّ تصوّر ينشأ في الذهن ووهم عن الله تعالى في انّه هو الوجود فهو تصوّر باطل وانّ الله خلاف ذلك ولو انّ الله تعالى هو هذا الوجود استناداً إلى كشوفات أساطين فلسفة ما قيل آلاف السنين فلماذا كلّ تلك الحيرة في معرفته؟!

انّ مفردة «وجود» هي من أبسط المفردات العربيّة فلماذا لم نلاحظ لها استخداماً في نص قرآني أو نص روائي عن أهل البيت عليهم السلام لم نر مورداً واحداً يعرّف الخالق بأنّه الوجود.

وهل كان أساطين الحكمة اليونانيّة ومن ثمّ أتباعهم قد بلغوا من الشأو ما جعل البارئ في قبضتهم بحيث يعرفون كيفيّته وماهيّته؟!

وقد بلغ الفلاسفة الاسلاميّون في تقليدهم لفلاسفة اليونان انّهم لم يتعمّقوا في تلك الأفكار القديمة والنظريّات الساذجة والتي ظهرت خرافيتها في جميع

---

١. المصدر السابق ٣/ ٢٩.

٢. الكافي ١/ ١٠١؛ بحار الأنوار ٤/ ٣٩؛ التوحيد، الصدوق ١١٣.

المجالات ان انصاف الاميين باتوا يعرفون هزالة تلك الأفكار لا تعدو ان تكون خرافات ولكن هذه الخرافات أصبحت لدى المتفلسفين أكثر استحكاماً من الآيات القرآنيّة الكريمة فراحوا يؤسّسون لنظريّاتهم انطلاقاً من هذه الأفكار.

حتّى انّهم اذا صادفوا آية تتقاطع مع أُولئك اليونانيّين بادروا فوراً إلى تحت معان لها تتوافق نظريّات أُولئك الفلاسفة ألم يقل الامام علي الرضا عليه السلام:

«فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ»[١].

وأمام هكذا روايات هل يمكن أن تصمد فرضيّة «الاشتراك الوجودي المعنوي بين الخالق والخلق»؟!

وما أكثر هذه الروايات التي تثبت بطلان «التشكيك» وهو الاشتراك الوجود المعنوي بين الخالق والخلق؟! هذا الخالق الذي توجد لديه الصفات على نحو تام بينما هي لدى المخلوق ناقصة.

وعليه فان هذا النصّ الشريف:

«فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ».

يكفي في ابطال هذه الفرضيّة.

وما أكثر الأحاديث الشريفة في هذا المضمار و«العاقل تكفيه الاشارة».

وعليه ومن خلال ما ورد أعلاه نستنتج ان مقولات فلاسفة ما قبل الميلاد أصبحت لفلاسفة الامّة الاسلاميّة أصلاً وأساساً وليس القرآن الكريم وأهل البيت الكرام عليهم السلام.

---

١. بحار الأنوار ٤ /٢٢٧.

وعوداً على بدء في مناقشة من يزعم وحدة الفلسفة والدين نقول لمن يؤمن بأنّ القرآن الكريم حجّة انّ الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

ألا يكفي هؤلاء الذين يريدون العودة في سير القهقرى إلى الوراء والاقتباس من فلسفة أكل الدهر عليها والشرب هذا الاعلان السماوي للهداية والرشاد؟!

وعند ما تزعمون بأنّ الفلسفة والدين أمر هما واحد فهذا القرآن يمثل الطريق الأكثر وضوحاً والخطّ المستقيم هو أقصى الطرق في الوصول إلى الهدف! فأيّ الطرق أولى بالسلوك؟ أليس الدين الاسلامي هو آخر الأديان ورسالته آخر الرسالات وكتابه آخر الكتب السماويّة، فانّه يقول صراحة:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[٢].

وما أكثر اولئك الذين يظنّون بأنّهم ساروا في الآفاق وسبروا الأعماق.. أعماق النفس وعرجوا نحو الأفلاك فشهدوا وشاهدوا وعكفوا على مختلف المدارس الفلسفيّة والأفكار والآراء الباطلة الفارغة يتدارسونها ويوسعون فيها ولكنّهم تأوا بأنفسهم عن العلوم والمعارف الاسلاميّة!

ومع ان بعضهم قد نبع فكره أثر دراساته ومطالعاته في مضمار الفلسفة القديمة إلى حدّ العبقريّة إلّا انّه عند ما تصادفه آية أو رواية واضحة في معانيها ودلالاتها بسيطة في تعبيرها فانّه يعرض عن معناها الواضح والأكيد بسبب تناقضها مع ما

---

١. الإسراء: الآية ٩.
٢. آل عمران: الآية ١٤٤.

يتبناه من آراء فلسفيّة ويحاول جاهداً تلمس معان أُخرى تتوافق مع عقائده الفلسفيّة يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد! من دون أن تقدح في قلبه شرارة البحث عن الحقيقة والانتباه إلى ان الفلسفة لا علاقة لها بالدين بل انّها تعارضه وتتقاطع معه وهكذا فانه يبتعد عن الحقيقة ضائعاً إلّا انه يحسب نفسه على الحق والصواب وربما كان فرحاً بما لديه من أوهام وتصوّرات وخيال.

﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[١].

ماالذي فعلته الفلسفة هل حلّت مشكلة منذ آلاف السنين وإلى يومنا هذا وهل بددت جهلاً ورفعت عائقاً وأضاءت أُفقاً؟!

قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي ٱللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ * أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللهِ وَٱلمَلاَئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٢].

فلو ان مجتمعاً تثبت له حقانيّة الاسلام واطلق عليه اسم الاسلام ثمّ اعتنق النهج الشيوعي أو النهج المثالي واتّخذه منهجاً في الحياة أفلا يشمله الخطاب القرآني في الآيات أعلاه؟!

لقد وضح لدينا الحق وتجلّت لنا حقانيّة النبي الأكرم ﷺ والقرآن الكريم وكمال الدين الاسلامي في نظامه التشريعي الذي لم يعجز في بيان أيّة مسألة ولم

---

١. يونس: الآية ٧٤.
٢. آل عمران: الآيات ٨٥ ـ ٨٧.

يقصّر في حلّ أيّة معضلة ووضحت لدينا حقانيّة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم معلّمين للقرآن الكريم وبيّنوا لنا في أحاديثهم الشريفة معالم الطريق الذي يقودنا نحو الهدف المنشود ومع ذلك نعرض عن كلّ ذلك ثمّ نولّي وجوهنا شطر فلاسفة عاشوا قبل آلاف السنين فنتبنى أفكارهم ونعتمد فلسفتهم أساساً لعقائدنا!! ألا ينطبق علينا قوله تعالى:

﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾؟!

قال تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1].

مع التأكيد على أنّ القرآن الكريم بمفرده لا يمكن أن يقوم بعمليّة التعليم وإنّما في ضوء ارشادات المعلم الالهي ولهذا فانّ الله أرسل أنبياءه يعلّمون عباده تعاليمه المدرجة في كتبه فكان نبيّنا خاتم الرسل معلّماً للقرآن الكريم يعلّم المسلمين الالهيّات ثمّ أوصيائه من بعده.

انّ الآية الكريمة تنطوي على دلالة واضحة في الانفصال القائم بين الدين والفلسفة واختراق العلوم الاسلاميّة عن الأفكار البشريّة واذن فانّ القرآن الكريم لم يأت مؤيّداً لأفكار الغابرين من فلاسفة ما قبل الميلاد وإنّما هو أحسن الحديث.

انّ القرآن الكريم هو آخر الكتب السماويّة ولم يقتصر نزوله على مجتمع دون

١. البقرة: الآية ١٥١.

آخر ولا على مكان دون مكان ولا زمان دون زمان آخر، لا يحدّه مكان ولا زمان انّه دين الله تبارك وتعالى لعباده أجمعين على امتداد العصور ومرّ الأجيال وشريعته ثابتة فيها بيان كلّ شيء وهو دين كامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قائماً بالحق ما قامت السماوات والأرض.

ومن هنا فان قبول واعتناق وتبني أيّ من أشكال الفكر البشري وأيّ منهج فلسفي قديم أو حديث هو بمعنى الكفر وعدم الايمان بهذا الكتاب السماوي الخالد وتكذيب بمقولة كماله وشموله بجميع العلوم التي يحتاجها البشر.

لا مناص اذن من الاذعان إلى أنّ القرآن الكريم والاسلام غير الفلسفة التي نبتت خرافتها ومازالت تبحث في معقولتها في الفلسفة الحديثة[١].

وثبت أيضاً انّها لا تعدو أن تكون مجرّد خرافات لا أكثر!

ويطول بنا الحديث إذا ما أردنا أن نبحث في مغايرة الفلسفة للدين ورعاية للاختار نكتفي بالاشارة فقط إلى ما قاله الامام أميرالمؤمنين عليه السلام بألم وأسى وهو يراقب الاختلاف في طرق التفكير حيث ظهرت مجموعات فكريّة مختلفة ومتنازعة فيما بينها يقول عليه السلام:

«تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلافِ قَوْلِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالاخْتِلافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً

---

١. مسار الفلسفة في اوربا ١/ ١٣٤ و ١٦٤ و٢٠٦؛ ٢/ ٦ و٨٠.

فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَفِيهِ تِبْيَانُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ لا اخْتِلافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلّا بِهِ»[١].

ويكشف هذا النص عن الفوضى في المحاكم التي كانت سائدة في البلاد الاسلاميّة في الخلافة الثالثة ويؤكّد على انّ القرآن الكريم وحده هو مصدر النظام التشرعي لم يفرّط في شيء وفيه تبيان كلّ شيء ولا تكشف الظلمات إلّا به وان أحكامه هي التي يجب أن تكون الأساس في الفكر والعقيدة الالهيّة وليس الأفكار المستوردة.

ان افلاطون وفلوطين وتلامذتهما من أهل العرفان يعرّون الانسان على انه كائن نوراني استناداً إلى عقيدتهم في تجرّد الروح عن الزمان والمكان وبالتالي نورانيّة ذاته.

فماذا يقول الفلاسفة الاسلاميّون في ذلك؟

يقول شيخ الاشراق:

«وهي نور من أنوار الله تعالى القائمة لا في أين»[٢].

ويقول القاضي سعيد القمي:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨.

٢. ثلاث رسائل لشيخ الاشراق ٢٤.

«انّ النفس عقل بالعرض ونفس بالذات وما ذكره ذلك العارف القمي مأخوذة من كلمات الأقدمين كهذا الفيلسوف العظيم (ارسطاليس) فانّه قال في الميمر الأوّل في اثولوجيا من انّ النفس هو عقل...»[١].

وقد نوّهنا سابقاً إلى ان اسم الكتاب «ثئولوجيا» ومؤلّفه فلوطين لا أرسطوا.

ويقول صاحب الميزان:

«من حكم المادّة التغيّر وقبول الانقسام والمفروض أن ليس في شهودنا المسمّى بالنفس شيء من هذه الأحكام فليست النفس بمادية بوجه»[٢].

ويقول أيضاً:

«ان آيات القرآن الكريم تعرّف الروح ببيان جامع مطلق بأنّه غير مادي «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» وأمر الله في خلق الأشياء ليس تدريجيّاً ولا يكون مسخّراً للزمان والمكان اذن فان الروح لا حقيقة لها إلّا أمر الله وليس ماديّة ولا توجد فيه خاصيّة الماديّة من التدرّج والزمان والمكان»[٣].

والنصوص في هذا المضمار لدى أنصار الفلسفة كثيرة وهي تؤكّد على موضوع غير ماديّة الروح وبالتالي نورانيّة ذاتها.

والمراد هنا ليس اثبات تجرّد الروح او ماديّته بل كلّ هذا الاهتمام والاصرار على اثبات فرضيّة فلسفيّة يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد طرحها فلاسفة يونانيّون ويحاولون تفسير الآيات القرآنيّة في ضوء تلك الفرضيّة وغيرها:

---

١. مصباح الهداية ١٥١.
٢. الميزان ١/ ٣٦٤.
٣. الشيعة في الاسلام، صاحب الميزان ٩٩.

«ان آيات القرآن الكريم تعرف ببيان جامع مطلق ان الروح ليس مادّة».

وعدم ماديّة شيء ما يعني نورانيّته وبالتالي غير خضوعه للزمان والمكان وتوصيف الروح بـ «المجرّد» يعني تجرّد روح الانسان عن المادّة والزمان والمكان وبالتالي نورانيّة ذاته.

وعند ما يطلق على شيء بأنّه نوراني فانّه يعنى انّه يكون ظاهر بذاته ومظهر لغيره فالأنوار الماديّة من قبيل نور المصباح فمع انبعاث النور منه فانّه يظهر ذاته وعندما يسطع نوره على الأشياء في الظلام فانّه يثيرها ويظهرها ويجعلها مرئية وهذا المثال ينسحب على الأشياء المعنويّة أيضاً.

فانّه بالعقل والعلم بداية نجد أنفسنا لدينا هذا النور واذن ظاهرون بالذات وكلّ ما ندركه ونجده هو على أثر نور العقل والعلم هذا.

ويسطوع نور العقل والعلم تتحوّل المجهولات إلى المعلومات واذن مظهر للغير.

وكلّ ما يدعى نور فان له هذه الخاصيّة.

وفي تعريف الروح قالوا انها نور ومن سنخ العقل والعلم وعلى أساس هذا التعريف فان خاصية العقل والعلم أمر ذاتي الروح وليس صفة زائدة عليه.

هل تجد هذه الخاصيّة في روحك نفسك يعني ظاهر بالذات ومظهر للغير؟!

انّ الروح والنفس فينا هو الكائن الذي عند ما نتحدّث باسمه نقول: «أنا» وحقيقتنا هو الروح وليس البدن.

وإذا كان روحنا نوري الذات، عالم الذات، عاقل الذات، فان هذا يستلزم

ظهور ووضوح النفس للنفس يعني «ظاهر بالذات» ومظهر للغير.

فهل تجد مثل هذه الخاصية لديك بحيث لا يوجد فيك ظلام وعدم علم بالنسبة لنفسك؟!

لأن هذا المعنى من خواص النور، فلا معنى لوجود الظلام في النور ولأنّ النور ظاهر بالذات؛ يعني انّه بذاته ظاهر وواضح؛ فانه لا يحتاج في معرفته إلى نور آخر.

واذن فان كلّ ما كان ذاتاً لذلك النور و«منوّراً» فانّه لا يقع تحت تأثير نور «المنوَّر» (اسم مفعول).

العلم والعقل نور وكلّ ما نريد معرفته نستفيد من هذا النور وكلّ ما يصبح معقولاً معلوماً ليس نوراً.

لأنّه لو كان نوراً لما احتجنا في معرفته إلى نور ان نور الشمس هو العامل في رؤيتنا للأشياء في المحيط الخارجي، ولو لم يكن هذا النور موجوداً لانعدمت رؤيتنا للأشياء.

واذن فان العامل في معرفتنا الأشياء الواقعة في الخارج هو نور الشمس في النهار وأنوار المصابيح الكهربائيّة في الليل.

وبسبب انشالنا بالمنوّرات يعني الأشياء المنيرة بسبب سطوع النور عليها فانّنا لا نلتفت إلى العامل الأساسي في الرؤية وهو النور.

ومن أجل معرفة هذا النور فانّنا لا نحتاج إلى نور آخر، المطلوب فقط الاعراض عن المنوّرات والتوجّه نحو المنوِّر وعندما نشاهد مصدر النور لأن ذاته نور، وظاهر بالذات.

انّ الانسان ليس لديه معرفة عن العالم الخارجي إلّا من خلال نور عقله ونور علمه وكلّما ضعف وتضاءل هذان النوران في الانسان تضاءل ادراكه عن العالم الخارجي من قبيل البلهاء والمجانين.

مع انّ هؤلاء لديهم روح ولكن ذاته غير النور؛ ان أرواحهم لا يمكنها، فعل شيء في ادراك العالم الخارجي ومعرفته.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[١].

ترىٰ ما هو الأمر الربوبي هذا؟

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢].

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في توضيح هذا الأمر الالهي:

«يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَإِنَّمَا كلامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ»[٣].

وعليه فانّ الروح مخلوق أيضاً كسائر مخلوقات الله سبحانه إلّا انّه عزّوجلّ أبقاه سرّاً لا يعرفه البشر واذن فانّ الله سبحانه قادر على أن يمنح البشر علماً أكثر فيما يخصّ موضوع الروح.

ان سطوع هذا النور الضئيل من العلم على الروح يمكّن الانسان من الحصول

---

١. الإسراء: الآية ٨٥.
٢. يس: الآية ٨٢.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

معلومات عن الروح بعد أن يقع تحت أشعّة نور العلم وبالتالي فانّ الروح لا يمكنه أن يكون نوري الذات.

لأنّه وكما أوضحنا سابقاً ان المنوِّر (اسم الفاعل) وباعث النور لا يقع تحت تأثير النور وهذا خلاف ذاته.

فاذا ابتدعنا لمفردة «الأمر من عندنا يخالف مخالف للقصد الالهي من أجل اثبات فرضيّة الأجانب أفلا يعد هذا عدواناً أو ابتعاداً عن الصراط المستقيم؟!

أليس من الظلم انّنا لا نراجع أهل بيت الوحي في موضوع الروح الذي قال عزّوجلّ عنه: «وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً».

انّ المراد من هذا البحث ليس إثبات تجرّد الروح أو ماديّته وإنّما ما هو أبعد من ذلك وهو تساؤل ملح لماذا يصرّ انصار الفلسفة اليونانيّة على الدفاع الفرضيّات القادمة من وراء آلاف السنين ويقومون بتأويل آيات القرآن الحكيم حسب أمزجتهم وبما يتوافق مع آرائهم النابعة من الفلسفة اليونانيّة.

لماذا؟ ليس إلّا بهدف الدفاع عن فرضيّات مستوردة من ثقافات أجنبيّة والاعراض عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام مع ادّعائهم حبّ آل النبي صلى الله عليه وآله.

وقد ورد في حديث صاحب الميزان ومن أجل اثبات تجرّد الروح ونوريّة ذات الروح وعدم حاكميّة أحكام المادّة على الروح ما يشير إلى استفادة من هذه الفرضيّات.

ان من أحكام المادّة هي قابليّتها على التغيير ولأنّه لا نلاحظ تغييراً في الروح، فاذن هي غير ماديّة بينما ان عدم مشاهدتنا للتغيير في الروح هو بدليل كونها

بسيطة وغير مركّبة وليس لأنّها غير ماديّة.

وهذا الكيفيّة نشاهدها إلى حدّ ما في تحول المادّة إلى طاقة واذن فالروح (شيء) لطيف وبسيط.

يقولون: لا تغيير في الروح وان الانسان منذ أن وعى وجوده يقول «أنا» وهذا الشخصيّة و«الانيّة» في الانسان باقية من دون تغيير وتحلّل على التغيّرات المستمرّة في البدن واذن فانّ الروح غير ماديّة!

أقول: الروح جسم لطيف، وغير قابل للمقارنة مع البدن من حيث التركيب والتغيير.

ان صوت الانسان في المذياع (الراديو) يتحوّل إلى أمواج صوتيّة ويبث أو يسجّل على أشرطة التسجيل الصوتي.

وبعد مدّة قصيرة يمكن أن يحدث في الصوت الأصلي للانسان تغييرات في انه الصوت المسجّل على الشريط يبقى على حاله من الجودة الأوليّة مدّة طويلة جدّاً.

فهل ان عدم التغيير في الشريط الصوتي أو الأمواج الصوتيّة يعود إلى عدم ماديته؟!

كلا! وإنّما بسبب تحوّل الصوت إلى أمواج صوتيّة هي أكثر لطافة من حيث الوجود وهذه التغييرات الحاصلة في هذه الأمواج الصوتيّة غير قابلة للمقارنة مع الصوت الأصلي في الانسان لأنّ التغيرات التي تحدث في الأمواج الصوتيّة بطيئة جداً بسبب لطافة الصوت في الأمواج الصوتيّة بحيث لا يشعر الانسان بها.

انّ الروح ليست بمأمن من التغيرات، إلّا ان هذه التغيرات هادئة جداً وبطيئة جداً قياساً بالتغيرات التي تطرأ على البدن بحيث ان الانسان لا يشعر بها وذلك

بسبب لطافة الروح لا بسبب عدم ماديّته ان كلّ شخص يشعر على نحو الدقّة بالتكامل الحاصل في نفسه قياساً إلى مرحلة الطفولة، ان هذا التكامل هو تغيير طارئ في الروح.

انّنا نستخدم وسائل من قبيل الحاسوب لخزن المعلومات ولسنوات وآماد طويلة وهي خلال ذلك باقية في مأمن من أيّ تغيير وعلى نحو يتيح للأجيال القادمة الاستفادة من هذه المعلومات المخزونة.

انّ هذا المعلومات في الانسان تكون في معرض التغيير السريع اذ من الممكن ان أعرف اليوم موضوعاً ما يكن أنساه في اليوم التالي وأفقده فهل ان عدم التغيير في جهاز الحاسوب أو التغيير البطيء جداً والذي قد يحصل في اماد طويلة دليل على تجرّد هذه الوسيلة الماديّة وغير ماديّتها؟!

وعليه فان مقارنة روح الانسان مع بدنه أو جسمه هو من قبيل مقارنة سرعة سير الانسان مع سرعة الضوء الأمر الذي يثبت بطلان هذه المقارنة.

انّ كلّ شيء يقارن مع شبيهه من حيث المستوى وليس مع غيره.

انّ المادّة والطاقة كلاهما ينتميان إلى المادّة لكنّهما على نحوين مختلفين واذا أردنا معرفة كلّ منهما من خلال مقارنتهما فان هذا لا يسفر عن نتيجة سوى الضلال والتيه!

وذكروا عدم التدرّج في خلق الروح دليلاً على انه غير ماديّ واستندوا في ذلك إلى آية من القرآن الكريم!

فهل هذا استنتاج من فلسفة المدرسة اليونانيّة أو آرائهم الخاصّة أو أنّه مأخوذ عن أهل البيت عليهم السلام؟!

انّ هكذا آراء لم ترد عن مدرسة أهل البيت واذن فهو لابدّ أن يكون من آرائهم الخاصّة التي أسّسوها على الأفكار اليونانيّة!

جاء في الحديث القدسي الشريف:

«مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلامِي»[١].

أليس في هذا الحديث ما يحثّنا على التزام جانب الاحتياط في مضمار تفسير آيات القرآن الكريم بهدف تبرير الأفكار اليونانيّة ومحاولة نفخ الروح فيها واحيائها من جديد؟! أليس في هذا الحديث الشريف ما يردعنا عن ذلك؟!

لا يوجد أدنى وجه اشتراك بين الأفكار اليونانيّة وتعاليم الاسلام وإلّا فهل توجد آية قرآنيّة واحدة تشير إلى انّ الروح ليس مادّة!

انّ مفردة «أمر» فسرت بمعنى الخلق الآني وانعدام التدرّج في خلق الروح واستدلّوا بذلك على انّ الروح ليس ماديّاً.

احياناً ثمة ظهرة في حالة تولّد واحياناً ظاهرة قد ولدت نريد أن نبيّن للآخرين ظهورهما من حيث الكيفيّة في خصائصهما ومزاياهما في الحالة الأُولى كيفيّة الخلق وظهور الكائن يستلزم عوامل من قبيل الارادة والأمر وايجاد العلل و... حيث أحد العوامل المؤثّرة في تولّد اية ظاهرة «أمر» الظهور.

في الحالة الثانية يعني بيان كيفيّة ايجاد ظاهرة الكائن في البداية عرض نفس الظاهرة ومن ثمّ الحديث عن خصائصها ودقائقها ومن ثمّ الحديث عن أمر العامل الموجد لها.

---

١. بحار الأنوار ٢ / ٢٩٧؛ التوحيد ٦٨؛ وسائل الشيعة ٢٧ / ١٨٦.

انّ الله تعالى في الآية الكريمة وبعد بيان وعرض خلق السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار بأمره يذكر مخلوقاته قائلاً:

﴿أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ﴾[1].

انّ الله عزّوجلّ يبيّن خلق السماوات والأرض وسائر المخلوقات ويذكّر بهذه الحقيقة وهي أنه إليه يعود الخلق والأمر وليس وجود نظام يعمل آلياً في ايجاد آية ظاهرة وخلقها.

ان كلّ ظاهرة وخلق كلّ انسان إنّما يحصل بأمره سبحانه وتعالى وليس وفق نظام مصمّم من قبل ويعمل آلياً ولا أثر فيه لارادة الله وأمره ومفردة «ألا له» كافية في الدلالة على ذلك، ذلك انّه في بيان كيفيّة الخلق وعلى أساس نظريّة ان «أمر» الخلق حدث دفعة واحد وليس على نحو تدريجي فان النص ليس بحاجة إلى عبارة «ألا له» التي جاءت بعد بيان الخلق في آخر الآية.

ان العبارة تؤكّد على هذا الموضوع وهو ان وجود وظهور آية ظاهرة إنّما حصل بأمره سبحانه وليس على أساس نظام ربّاني رفيع يخلو من أمر جديد صادر عن خالق النظام حتّى في خلق ابسط المخلوقات.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ ٱلسَّماءُ وَٱلأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[2].

ان سرعة الأمواج الضوئيّة قياساً بالسرع الاخرى في هذا النظام تعكس عدم التدرّج النسبي.

---

١. الأعراف: الآية ٥٤. ٢. الروم: الآية ٢٥.

فهل ان عدم التدرّج نسبي دليل على عدم ماديّة الذات بالنسبة إلى الأمـواج الضوئيّة وانّها نوريّة الذات؟!

انّ المادّة لها حالتان من الوجود:

١ ـ وجود مادّي.

٢ ـ وجود على شكل طاقة.

والطاقة تحصل نتيجة التغيّر في المادّة، والمادّة من خلال هذا التغيّر لا تتحوّل أبداً إلى صورة أنوار مجرّدة من قبيل العقل والعلم.

في كلّ الكتب الفلسفيّة يكثر الحديث حول تجرّد الروح ونوريّة ذاتها قائلين: إنّنا نجد خواصّاً في الروح غير قابلة للانطباق على المادّة وأن هذه الخواص لا تشاهد في المادّة واذن فانّ الروح كانت مجرّد ونوري الذات.

بينما يعدّ في الفلاسفة أنفسهم بوضوح تام عن عجزهم وقصورهم فـي ادراك الحقائق وانّهم غير مطّلعين على حقائق الأشياء وانّه ليس في وسع الانسان معرفة حقائق الأشياء.

واذن من المؤكّد انّهم لا يمتلكون المعرفة عن المادّة وخواصّها الذاتيّة أيضاً.

ونلاحظ اليوم كيف تمكّن الانسان من الكشف عن خواص جـديدة للـمادّة كانت خافية على الغابرين.

يقول ملّا صدرا في كتابه:

«واعلم إنّ الشيخ الرئيس ذكر في التعليقات بهذه العبارة: أنّ الوقوف عـلى حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر ونحن لا نعرف عن الأشـياء إلّا الخـواص

واللوازم والاعراض ولا نعرف الفصول المقوّمة لكلّ واحد منها الدالّة على حقيقته، بل نعرف انّها أشياء لها خواص واعراض، فانّا لا نعرف حقيقة الأوّل ولا العقل ولا النفس ولا الفلك ولا النار والهواء والماء والأرض ولا نعرف أيضاً حقائق الاعراض... ولا نعرف حقيقة الحيوان»[١].

ويعبّر ملّاصدرا عن عجزه وعدم قدرته على معرفة حقيقة الأشياء قائلاً:

«واعلم انّ أفاضل البشر قاصرون عن ادراك حقائق الأُمور السماويّة والأرضيّة على وجهها وعن الاحاطة بدقائق الصنعة وعجائب الفطرة وآثار العناية والحكمة التي فيها، بل الأكثرون عاجزون عن ادراك حقيقة النفس التي هي ذات الشخص وتفاصيل أحوالها وسريان قوّتها في آلات البدن وحواسه وأعضائه وكيفيّة ترتيب الأعضاء واشكالها وأوضاعها وأجزائها ومنافع كلّ واحد واحد منها وأحوالها وأفعالها وغاية كلّ فعل.

فانّ الذي تفطن به المشرحون ولاح لهم بقوّة الفكر شيء قليل لا نسبة له إلى ما ذهلوا عنها من الدقائق والعجائب والحكم في صنع الباري فيها.

فاذا كانت احاطة الانسان بنفسه وبدنه على ما ينبغي متعذرة، فكيف يكون الاحاطة بما في العالم الجسماني والروحاني ممكنة؟ وأكثره لا يمكننا الاطّلاع على حقيقة وجوده، فضلاً عن ادراك حقائق جميع الموجودات إلّا ان مع هذا العجز الموجود في الطبع ونحن في عالم الغربة لابدّ أن نتأمّل ونتفكّر في عجائب الخلقة وبدائع الفطرة امتثالاً لقوله تعالى: «أولم يتفكّروا في أنفسهم»»[٢].

---

١. الأسفار الأربعة ١/٣٩١.

٢. المصدر السابق ٧/١١٨.

انّ شخصيّة في مستوى ملّا صدرا الفيلسوف والعارف في الفلسفة الالهيّة حتّى اشتهر بلقب: «صدر المتألّهين» يعترف على نحو صريح بعجزه وعجز الانسان عموماً عن معرفة حقائق الأشياء والمادّة.

وهذا الاعتراف بالعجز نلاحظه لدى الفلاسفة على نحو ما في التعبير واذن مع هذا العجز عن معرفة حقيقة المادّة وحتّى خواصّها واعراضها فهل من الصحيح أن نقول:

ـ «إنّنا لم نشاهد هكذا خواص في الروح كما نشاهدها في المادّة واذن فانّ الروح[1] غير مادي وبالتالي فانّه نوري الذات».

ولو كانت هذه فرضيّة علميّة نالت استحقاقها من الاهتمام ولكنّها فرضيّة فلاسفة ما قبل الميلاد بقرون وقد ظهر بطلان جميع الفرضيّات في جميع المجالات، فهل تستحق منّا كلّ هذا الاهتمام بحيث تصرفنا عن الاهتمام بتعاليم أهل البيت عليهم السلام.

فلو انّ خواصّ من المادّة التي كشف عنها الانسان المعاصر واستخدمها في أجهزة الصوت والاتّصالات الهاتفيّة و... استخدام الخواص الكهر ومغناطيسيّة وخواص الضوء كالتي نستخدمها في حياتنا اليوميّة في أبسط الأجهزة كالراديو والتلفاز مثلاً لو انّها عرضت على أُولئك الفلاسفة ألا يحكمون بغير مادّيتها؟!

لأن خواص المادّة التي كانوا يعرفونها في ذلك لم تكن موجود في هكذا أجهزة! ولو افترضنا انّهم أصدروا حكماً كهذا أفلا يتمسّك به أنصار المدارس

---

١. نتعامل مع الروح كاسم مذكّر ومع النفس كاسم مؤنّث كما هو الحال في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام ـ المترجم.

الفلسفيّة في جميع المذاهب الاسلاميّة بما في ذلك الشيعة؟!

فهل يصح بعد هذا الاعتراف الصريح والقاطع بعدم معرفة المادّة وخواصّها الحكم على الروح بأنّه غير مادّي؟!

اذن يجب علينا الرجوع إلى الله تعالى والسؤال منه حتّى في مسألة العلم القليل الذي مُنح للانسان في موضوع الروح لأنّه عزّوجلّ يقول:

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[١].

ولا يمكن التعرّف على الأحكام الالهيّة إلّا من خلال أهل بيت الوحي فقط فهم مهبط الوحي وأهل الذكر وحملة علوم القرآن.

«إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ».

واذن يجب علينا مراجعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أو أوصيائه حملة علوم القرآن ومعلّميه الحصريّين الذين اصطفاهم الله وأورثهم علم الكتاب.

يقول سيّدنا الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«وَالرُّوحُ جِسْمٌ رَقِيقٌ قَدْ أُلْبِسَ قَالَباً كَثِيفاً»[٢].

ونلاحظ انّ الامام عبّر عن الروح بالـ«جسم» والفرق بين الاثنين هو في لطافة الروح وكثافة البدن فكلاهما اذن من سنخ مادّي واحد.

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أَلا وَمَثَلُ الْعَقْلِ فِي الْقَلْبِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الْبَيْتِ»[٣].

---

١. الشورى: الآية ١٠. ٢. الاحتجاج ٢/٩٦؛ بحار الأنوار ٦١/٣٤.

٣. بحار الأنوار ١/٩٩؛ علل الشرايع ١/٩٨؛ مستدرك الوسائل ١/٨١.

وهذا الحديث الشريف يدلّ على مغايرة ذات العقل للروح.

فقد مثّل الروح بالبيت الذي هو مظلم الذات وبالتالي لا يمكن ان يكون الذات.

جدير ذكره وفي ضوء الآيات والروايات أنّ القلب هو الروح وهناك اضافة ما ورد بعض الآيات الكريمة تفند بصراحة كون الانسان نوري الذات فعلى سبيل المثال قوله تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]

وقوله عزّوجلّ:

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾[٢].

انّ الآية (١٢٣) من سورة الأنعام تفيد بأنّ الله عزّوجلّ أحيا الانسان ثمّ جعل له نوراً، واذن فانّ الحياة هي الروح والروح غير النور والنور نعمة افاضها الله سبحانه وتعالى على الروح.

واذن فانّ روح ليس نوري الذات ولو كان الروح نوري الذات فانّه لا يمكن جعل النور له بعد خلقه، لأنّ النور لا يقبل نور غيره ولهذا فانّ الفلاسفة باثبات تجرّد ونوري ذات الروح يعرّفون الانسان بأنّه عالم بالذات.

وتصرّح الآية (٤٠) من سورة النور بأنّ الانسان ليس له نور إلّا أن يجعل الله له نوراً فالقول بأنّ الانسان نوري الذات تكذيب لله عزّوجلّ في قوله: «فما له من نور».

---

١. الأنعام: الآية ١٢٣.
٢. النور: الآية ٤٠.

يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«الرُّوحُ مَسْكَنُهَا فِي الدِّمَاغِ وَشُعَاعُهَا مُنْبَثٌّ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ دَارَتُهَا فِي السَّمَاءِ وَشُعَاعُهَا مُنْبَسِطٌ عَلَى الْأَرْضِ فَإِذَا غَابَتِ الدَّارَةُ فَلا شَمْسَ وَإِذَا قُطِعَتِ الرَّأْسُ فَلا رُوح»[١].

وشخصيّة الانسان تبقى كما هي بقطع أطرافه وجوارحه ولكن بقطع الرأس فان انفصال الروح عن البدن أمر حتمي.

وهذا شاهد على موقع الروح في دماغ الانسان وفي هذا دليل على مادّيّة الروح.

والنصوص الواردة عن أهل البيت في هذا المضمار كثيرة.

يقول «لايبنيتز» العالم الآلماني الشهير:

«الروح والجسم حقيقة واحدة، وما يقال بأن حقيقة الروح هو العلم كلام خاطئ لأنّه إذا كان كذلك، فماذا يكون معنى النوم والاغماء؟ ان الفكر والعلم آثار الروح وليسا حقيقته»[٢].

وجاء في حديث للامام محمّد الباقر عليه السلام روي:

«عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَيْفَ هَذَا النَّفْخُ فَقَالَ إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرِّيحِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً لِأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنَ الرِّيحِ وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ عَنْ لَفْظَةِ الرِّيحِ لأَنَّ الْأَرْوَاحَ مُجَانِسَةٌ لِلرِّيحِ وَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى

---

١. بحار الأنوار ٦١/٢٥١؛ المناقب ٤/٣٥٣.

٢. مسار الفلسفة في اوربا ٢/٨٦.

نَفْسِهِ لِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الْأَرْوَاحِ كَمَا قَالَ لِبَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ بَيْتِي وَلِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ خَلِيلِي وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ وَكُلُّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مُحْدَثٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ»[1].

وفي ذلك العصر لم تكن لتوجد مفردة تصوّر لطافة الروح وماديّتها في الوقت غير الريح (الهواء المتحرّك) ولم يكن الناس يومئذٍ يعرفون مفردات أكثر لطافة من الريح مثل «الأمواج» ولو كان الروح أمراً غير مادّي وبالتالي نوري الذات فلا تصحّ مقارنة مع الريح وحتّى مع الأمواج الماديّة!

وفي جميع المواضيع نجد آراء الفلاسفة والعرفاء تتقاطع مع تعاليم أهل البيت عليهم السلام ولو أردنا استقصاء جميع الموارد لاضطرنا ذلك إلى تأليف مجلّدات ومجلّدات!

وخلاصة القول انّ ترجمة الفلسفة والأفكار اليونانيّة القديمة إلى اللغة العربيّة كانت تهدف إلى اطفاء أنوار أهل بيت الوحي الساطعة من خلال مشروع بعيد المدى يعمل تدريجيّاً على ضخ الأفكار الفلسفيّة اليونانيّة في الحياة الفكريّة للأُمّة الاسلاميّة والتمهيد لظهور المدارس الكلاميّة المتناقضة والمتصارعة الأمر الذي يفضي إلى انقسام الأُمّة الاسلاميّة إلى فرق مختلفة متناحرة.

فبينما نرى المعتزلة يمجّدون الامام علي عليه السلام كما هو واضح في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، نرى الأشاعرة الذين ظهروا بعد المعتزلة لا يكترثون لهذا الامام العظيم بل ونراهم أحياناً يتطاولون على مقام أهل البيت عليهم السلام الرفيع.

---

١. الكافي ١٣٣/١ (باب الروح)؛ بحار الأنوار ٢٢٨/٦١؛ معاني الأخبار للشيخ الصدوق ١٧.

وفي هذا ما يشير إلى هذه الحقيقة المرّة وهي ان مستوى مودّة أهل البيت عليهم السلام لدى المسلمين جميعاً كان شائعاً جدّاً وعالياً قبل ترجمة الفلسفة اليونانيّة ونفوذها في الحياة الفكريّة ثمّ نلاحظ انحساراً مخيفاً في مستويات هذه المودّة في وجدان المجتمع الاسلامي وقد انضى هذا الانحسار إلى ظهور الفرق الاسلاميّة المتناقضة في طريقة تفكيرها وتوجّهاتها وعقائدها.

وللمؤول دون التشرذم والتمزّق والتفرقة علينا أن نلتف حول أهل البيت الكرام عليهم السلام ولا نقول إلّا ما قالوا وما نتعلّمه منهم صلوات الله عليهم أجمعين.

هكذا أوصانا سيّدنا ومولانا الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام.

«قُولُوا مَا قِيلَ لَكُمْ وَسَلِّمُوا لِمَا رُوِيَ لَكُمْ وَلا تَكَلَّفُوا مَا لَمْ تُكَلَّفُوا فَإِنَّمَا تَبِعَتُهُ عَلَيْكُمْ وَاحْذَرُوا الشُّبْهَةَ فَإِنَّهَا وُضِعَتْ لِلْفِتْنَةِ»[1].

١. بحار الأنوار ٧٤/٤٠٨؛ تحف العقول ١٥٤؛ وسائل الشيعة ٢٧/١٠٢.

الفصل الرابع

حول العرفان

كما بيّنّا ذلك في المقدّمة انّ العرفان والتصوّف كلمتان مترادفتان في الدلالة على معنى واحد ويطلق التصوّف أو العرفان على فرقة بلغوا في معرفة الله مرحلة رأوه فيها عين مخلوقاته والمخلوقات عينه هو وفهوره والعرفان «عنوان ثقافي» و «التصوّف» عنوان اجتماعي لهم[1].

وكان لهؤلاء مذاهب متعدّدة يجد المرء تفصيلاً عنها في كتب من قبيل «حديقة الشيعة للمحروم المقدّس الأردبيلي ﵀.

وكانت بداية العرفان أو التصوّف من «الحلول» و «الاتّحاد»، ثمّ انتهج مسارات متعدّدة بعد نفوذ الثقافة اليونانيّة لينجم عن هذا المسار الصوفي احدى وعشرون فرقة يطبع كلّ واحدة منها ذوق شخصي خاص لمتصوّف كانت له طريقته الخاصّة ومنهجه في السلوك العرفاني والصوفي غير انّها تلتف جميعاً حول محور أساسي وهو القول بـ«وحدة الوجود».

وقد اندثر معظم هذه الفرق باستثناء فرقة واحدة تعرف بـ «الجمهوريّة» وهي

---

١. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، قسم العرفان ٧٠.

لا تحمل هذا الاسم على نحو علني مكشوف ولكن أفكارها منتشرة لدى الصوفيّة المعاصرين.

وهؤلاء يدّعون إلى عدم رفض أيّة عقيدة أو شخص فليس هناك من إنسان سيّئ وانسان فاضل ويجب أن تحب الجميع فلا نوالي أحداً ونعادي آخر لأن جميع المخلوقات إنّما هي ظهور للخالق وتجمل له سواء كان «الشمر» أو الامام الحسين عليه السلام فالجميع كلّهم على الصراط المستقيم سواء كان معاوية أو علي عليه السلام وهؤلاء يتحدّثون ويلهجون بـ «العشق» وينقمون على العقل ويعتبرون علوم الدين، علوماً ظاهريّة وعلماء الدين علماء الظاهر.

ولأنّهم يقولون بتوحيد الأفعال بمعنى ان الفاعل لكلّ الأفعال هو الله سبحانه اذن فلا لوم لأحد مهما ارتكب من فعل شنيع.

يقول شاه نعمة الله ولي:

الفاعل المريد في العالم واحد

الحقيقة الأفعال لم تصدر عنك[1]

ويقول أيضاً:

المفعول واحد والفعل واحد والفاعل واحد

نحن أيضاً بذلك إذا كنت أنت في شكّ[2]

ويقول أيضاً:

انظر جيداً إلى المرآة

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٤٨٨. ٢. المصدر السابق ٦٩١.

كي لا تقل ان في العالم سوءً[١]

ويقول مولانا جلال الدين في المثنوي لسان حال اميرالمؤمنين عليه السلام:

لم يزل قولي لما كان موتي بيدك

كيف احتال والقضاء يصدر منك

ليس في روحي بغضاً لك

ذاك اني لا أعلمه إليّ منك

واداة الحق أنت والفاعل حق

كيف لي أضرب على آلة الحق وأطعن ودق

وقد تطرّقنا فيما مضى إلى بطلان توحيد الأفعال واثبات عدم صحّته وما بقي من تراث المتصوّفة والعرفاء هو شعارهم ومقولتهم «وحدة الوجود» والاعتقاد بأنّ الله ظهر بصورة مخلوقاته وهي عقيدة مقتبسة من عرفاء ما قبل الميلاد في اليونان وفارس واستمرّت من خلال العرفاء والمتصوّفة الاسلاميّين والايرانيّين.

تقول الفلسفة: انّ الوجود وجميع كمالاته متمركز في ذات الباري ومع ان للكائنات حظ من هذا الوجود إلّا انّها ليست ذاته.

ومثالاً على ذلك: التيار الكهربائي الذي يصدر عن محطّة توليد الطاقة الكهربائيّة ويتم توزيعه في جميع أنحاء البلاد، فلكلّ مستهلك نصيب من ذلك، ان التيار الكهربائي موجود في كلّ مكان وهذا لا يستلزم وجود المحطّة في كلّ مكان انّها موجودة في مكان خاص ومحدّد من قبل.

---

١. المصدر نفسه ٤٢٨.

وبهذا التوصيف ليس من الضروري أن تكون الذات الالهيّة حاضرة في كلّ مكان.

أضف إلى ذلك انّ العرفاء ومشايخهم كان معظمهم قد أفنى عمره في البحث عن حقائق الأشياء ومعرفة الله من خلال المنهج الفلسفي ولم يصلوا إلى نتيجة.

وقد أشرنا سابقاً إلى ما قاله الشيخ الرئيس ابن سينا وصدر المتألّهين (ملّا صدرا) واعترافهما بعجز الانسان عن معرفة حقائق الأشياء[1] وكذلك اذعانهم في عدم امكانيّة معرفة ذات الخالق وقالوا:

«يدرك العقل النظري قصوره وعجزه عن ادراكه تعالى والاحاطة به»[2].

ومع هذا الاعتراف الصريح ترىٰ ما جدوى البحوث الفلسفيّة!

اذن فانّ العرفاء والصوفيّة هم أشخاص يفنون أعمارهم في متاهات فكريّة مستغرقين فيها إلى حدّ لم يعد ينتبهوا إلى ما هم فيه من تيه وضياع ومن دون ان يراجعوا أنفسهم ويعودوا إلى جادّة الصواب والصراط المستقيم المتمثل بمنهج أهل بيت الوحي والتمسّك بهم.

لقد تراكمت الادران على قلوبهم فاظلمت وطبع عليها بالجهل المطبق: «طبع على قلوبهم فهم لا يعلمون».

واذن فانّهم مستغرقون في قضايا ذوقيّة عادة ما تزدهر في هكذا حالات وبعد أن يدركوه أنّهم قد أفنوا سنوات العمر في بحوث فلسفيّة لا طائل من ورائها ومن دون نتيجة اذا بهم يعلنون على الملأ براءتهم من المدرسة ونفورهم من هذا المكان

---

١. الأسفار الأربعة ١/٣٩١.
٢. علي والفلسفة ٤٨.

الذي كانوا يتلقّون فيه علوم الفلسفة.

يقول عمر الخيّام يعبّر عن استيائه من الفلسفة:

يالفخري بالخرابات[١] التي أهلها أهل

فان أحسنت النظر رأيت أن الصعب سهل

لم يخرج من المدرسة صاحب قلب

فلتدمر هذه الخرابة دار الجهل

ويقول شاه نعمة الله ولي:

طالت المدّة وأنا أطوي المسافات بطريق العقل

آن لي أن اسألك العشق طريقاً آخر[٢]

ويقول أيضاً:

اني لأرى علماء الديار

عندهم علم ولكن دونما عمل

يفنون أيّام عمرهم ولياليه

في قيل وقال وبحث وجدل

كلّهم يجهل بعضهم بعضاً

بل كلّ يكفّر الآخر بالمثل[٣]

---

١. الأماكن المهجورة حيث يسكنها النسّاك والزهّاد ـ المترجم.

٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ٤٥٩.
٣. المصدر السابق ٦٢٨.

وهذه الأبيات تعبّر عن شعور بالحسرة والندم على صرف سني العمر في القيل والقال.

يقول الشيخ البهائي رضوان الله عليه واصفاً حالتهم النفسيّة: «ان من أعرض تعلم العلوم الدينيّة وصرف وقته في تعلّم الفنون الفلسفيّة عند ما يرى عمره مؤذناً بالغروب والأُفول فانه يقول:

أفنيت عمري مع الاسلام في شدّ وجذب

ها أنا الآن أموت وتبقى بعدي حمّى الزنار[١]

وبعد مدّة طويلة تكاد تستغرق العمر كلّه من السعي والاستغراق في البحوث الفلسفيّة اليونانيّة ومن أجل معرفة حقائق الأشياء والأهم من ذات معرفة ذات خالق العالم من دون الخروج بنتيجة تذكر اذا بهم يعترفون بالنهاية عن جهلهم وعجزهم عن معرفة حقائق الأشياء وعدم حصول العرفان ومعرفة ذات الخالق وبالتالي عدم سطوع نور الايمان في قلب الفيلسوف اثر استغراقه في البحوث الفلسفيّة بل ان ما يحصل هو العكس تماماً وهو تراكم الظلمات في القلب واثر ذلك يلجأ وهو في سنوات عمره الأخيرة ليلقي بنفسه في احضان العرفان والتصوّف ويسلّي نفسه الحائرة بالعشق والهيام على أمل أن يعوض بذلك عن سنوات العمر الضائعة ولعلّ أن يشرق نور الايمان في قلبه ان تمسكهم بـ «الوجود» وعدم انفكاكهم من هذا المعبود الخيالي يكون قد طبع على قلبه بالظلام فلن يشرق نور الايمان في قلب الصوفي (العارف).

---

١. كشكول الشيخ البهائي ١ / ٢١٤.

هنالك يستنجد بـ«العشق» علّه يكون طوق نجاة تنقذه من التيه والضياع قالوا في ابن سينا: «ابن سينا فيلسوف وليس بعارف ولكنّه لم يكن فيلسوفاً جافاً خاصّة في أواخر عمره إذ أبدى ميولاً نحو العرفان فثمّة فصل تحت عنوان «مقامات العارفين» أفرده في كتابه الاشارات الذي آخر مؤلّفاته[1].

هكذا هي أحوال معظم الفلاسفة الذين أفنوا أعمارهم في الفلسفة إلى أن تدهمهم مرحلة الشيخوخة.

ان العارف (الصوفي) في محاولاته وسعيه في فترة دراساته الفلسفيّة يتمكّن فقط من العثور على هذه الحقيقة ـ في تصوّراته طبعاً ـ وهي «الوجود» اما في خصوص معرفة الخالق فان يتوصل إلى هذه النتيجة وهي لا يمكن معرفة الخالق فهذه الحقيقة في غيب مطلق فيقول: «لا اسم له ولا رسم له».

لهذا فهو يغيّر منهجه في البحث والوصول إلى الله ويسلك طريق التصوّف والعرفان وحينئذٍ يرى الله تعالى حاضراً وشاهداً في كلّ مكان بحيث انه يستمد منه العون باستمرار ويلجأ إليه في كلّ آن.

فما هو هذا الخالق وكيف؟

من المؤكّد انّه من دون الرجوع إلى الأدلّاء الالهيين والاكتفاء بالمعطيات الذاتيّة والمعلومات الفلسفيّة من قبل فان العارف المتصوّف يستدلّ على هذا النحو:

ـ ان هذا «الوجود» الذي هو حاضر في كلّ مكان حيث الكائنات ظهوره

---

١. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، مطهري ٢٥ (قسم العرفان).

وتجلّيه واذن فان «الوجود» هذا ظهر بصور المخلوقات المختلفة هو الله!!

وعليه فان ظنون العارف المتصوّف تتّجه إلى ان الله ظهر مخلوقاته وبالتالي فهو حاضر في كلّ مكان.

وتقول المدرسة الماديّة: ان ما يظهر بصورة هذا وذاك هي المادّة!

وفي المدارس الفلسفيّة هو «الوجود» من دون أن تكون للمخلوقات حظّاً في الالوهيّة.

ولكن في التصوّف (العرفان) فان لكلّ شيء نصيب من الالوهيّة وفي النتيجة فان كلّ شيء هو الله!!

لماذا وبأيّ دليل يؤدّي الله هذا الدور ويظهر بصور مخلوقاته؟!

ويأتي الجواب: من أجل أن يرى وترىٰ كمالاته «التوحيد والموحِّد والموحَّد الثلاثة كلّهم واحد لدى الأوحد في كلا العالمين الموجود واحد هو في كلّ لحظة يتجدّد[1].

وعليه فان جميع مراتب الوجود من وقائع «حوادث وأنبياء وأعداء الأنبياء وجنات وجهنّم وكلّ ما هو موجود وما سيوجد هو كلّه ذات الله ولا شيء غيره!

«ليس في الدار غير ديّار».

واذن فان كلّ ما يرى في عالم الوجود وحتّى جميع الدسائس والمؤامرات هي الأخرى هي في نظر العارف (الصوفي) هو ومنه:

الفاعل واحد وفعله واحد أيضاً حينا يُرى حسناً وحيناً سيّئاً.

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٢٢٨.

وفي ضوء ما يقول العارف (الصوفي) لا يوجد ما هو حسن وسيّيء فكلّ شيء خيال هو (الله) يظهر لنا على هذا النحو.

وما يقصد العارف الصوفي يعبّر عنه بوضوح المقطع الشعري أدناه:

في مرتبة ساجد وفي مرتبة سجود
في مرتبة عابد وفي مرتبة معبود
في مرتبة عبد وفي مرتبة رب
في مرتبة حامد وفي مرتبة محمود
في مرتبة فان وفي مرتبة باق
في مرتبة معدوم وفي مرتبة موجود
في مرتبة طالب وفي مرتبة مطلوب
في مرتبة قاصد، في مرتبة مقصود
في مرتبة آدم في مرتبة خاتم
في مرتبة عيسى، في مرتبة داود
في مرتبة ليس له حد في مرتيّة ليس له عدّ
في مرتبة محدود في مرتبة معدود
في مرتبة ظاهر في مرتبة باطن
في مرتبة موجود في مرتبة مفقود
في مرتبة موسى في مرتبة فرعون
في مرتبة مقبول في مرتبة مردود

في مرتبة سيّد في مرتبة عبد

في مرتبة واجد[١] في مرتبة موجود[٢]

ويقول جلال الدين مولانا في ديوانه المعروف بـ«ديوان شمس تبريزي»:

في كلّ لحظة يظهر على شكل تمثال خيالي يخطف القلب ويختفي في كلّ آن يظهر ذلك الحبيب بزيّ حيناً شيخاً وحيناً فتياً

وكما أشرنا سابقاً ان كلّاً من جلال الدين مولانا وشاه نعمة الله ولي ينتميان إلى مذهب الأشاعرة من أهل السنّة.

ومن المؤكّد ان عقائدهما لا يمكن أن تكون على عقيدة أهل البيت عليهم السلام ولأنّهما صوفيان فهما من أعداء أهل البيت عليهم السلام بالاصالة وللشيعة أيضاً بالتبع.

وفي ضوء العقيدة الصوفيّة انّ جميع الأشياء وكلّ الظواهر والحوادث هي الله بذاته واذن فانّ الصراع بين موسى وفرعون هو صراع مع الذات وبالتالي فهو مسرحيّة هزليّة ليس أكثر.

لأنّه لا لون له أضحى أسير اللون، موسى أصبح في حرب مع موسى

غير انّه لما يزول اللون، اذا بفرعون في صلح مع موسى

يعني انّ الوجود هو الله ظهر بصورة موسى وفرعون والحقيقة كلاهما واحد.

وهنا نقطة الانفصال بين الفلسفة والعرفان وعلى حد تعبيرهم:

تكامل الفلسفة نحو العرفان.

---

١. وردت في النص: واحد وأغلب الظن: واجد بمعنى الموجد للأشياء ـ المترجم.

٢. المصدر السابق.

وقولهم: العرفان هو تكامل الفلسفة لا معنى له.

إذا كان العرفان هو تكامل الفلسفة لم يكن الفيلسوف لينفر من العرفان!

أعود وأقول مرّة أُخرى انّ الانسان حرّ في اعتناق عقيدته فلا اكراه في الدين ولكن ما يحزّ في النفس هذه الماعم الكاذبة التي يطلقها المتصوّفة وحتّى الفلاسفة الاسلاميّين في ان مقولاتهم هي مقولات القرآن الكريم ومعارف أهل البيت الكرام عليهم السلام.

لأنّه لا يوجد أيّ قاسم مشترك بين الفلسفة والعرفان والتصوّف وبين العلوم الوحيانيّة التي يشتمل عليها القرآن الكريم ومدرسة أهل البيت عليهم السلام معلّمي القرآن الحصريين بل ما هو موجود هو العكس تماماً فكلّ ما ورد من أحاديث شريفة عن أهل بيت الوحي هو تكذيب للأفكار والعقائد الفلسفيّة والصوفيّة.

انّ أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون باستمرار في ان «كنهه تفريق بينه وبين خلقه»، «**فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ**»[1].

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«**مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لا يُشْبِهُ شَيْئاً وَلا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلافِهِ**»[2].

وعليه يجب على اتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أن يقوموا بمطابقة أيّ عقيدة ورايٍ صادر من أيّ شخص مع عقائد أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم لأنّها المعيار الوحيد في المشروعيّة أو عدمه، ذلك انّه لا يجوز التقليد في اصول العقيدة وعلى

---

١. بحار الأنوار ٤/٢٢٧.

٢. المصدر السابق ٣/٢٩٠.

المرء أن يعتقد ويؤمن عن وعـي وإدراك ولذا مـن الضـروري أن يـطابق الآراء والأفكار والعقائد التي تموج بها الحياة الفكريّة حيث يـعيش مـع تـعاليم أهـل البيت عليهم السلام.

انّ الآراء التي تصدر عن علماء الدين في خصوص العقيدة إنّما تنفذ في صميم العقيدة وهي التي تحدّد مسارنا في الحياة، انّها ليست أحكام فقهيّة أو فتاوى.

انّ الموضوع حسّاس للغاية بحيث قال العلماء برفض كلّ عـقيدة لا تـتطابق تعاليم أهل البيت الوحي عليهم السلام.

لقد قام العرفاء والمتصوّفة بدمج تصوّراتهم التي هي عرضة للتغير بمرور الزمن مع قضايا التوحيد أو المناهج المقتبسة من الزرادشتيّة وغـيرهم مـن اليـونانيّين والاسكندريّين ثمّ فكروا مع أنفسهم قائلين:

ـ لدينا حقيقة تدعى «الوجود» التي هي الله وجوهر مشـترك بـين الخـالق والمخلوق وذات لا محدودة والتي إذا اعتبرنا موجوداً من الموجودات مـنفصلاً عن هذه الذات بدلنا هذه اللامحدويّة إلى محدوديّة.

ولأنّ الذات الالهيّة غير قابلة للتغيير اذن فان الذات اللامحدودة لا تتحوّل إلى محدود، وبالتالي فانّ الموجود والمخلوق غير منفصل عن هذه الذات، فلا مناص من القول بأن كلّ موجود هو تعيّن خاص عن هذا الجوهر يعني الله وهـو الذي أسماه الله وفي النتيجة يقولون: العالم والكائنات جميعاً أسماء الله.

ثمّ يستشهدون من أجل إثبات فرضيّاتهم بآيات وروايات لا تشـتمل عـلى شكل من أشكال الدلالة عن مزاعمهم وإنّما يقومون بـتفسيرها تـفسيراً يـتطابق وينسجم مع عقائدهم وقد ذكرنا بعض الأمثلة في ذلك.

ولو كان لهذه الفرضيّات رصيداً من الحقيقة لورد بيانها في القرآن الكريم ولبيّنها معلّموا القرآن الكريم في شكل عقيدة ونظريّات أساسيّة!

لقد أمر القرآن الكريم الانسان بقراءة الآيات والتدبّر في معانيها ودلالاتها.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾[2].

مطلوب منّا أن نتعلّم قضايا التوحيد وأُصول العقيدة وأن نتعمّق في البحث ومن المؤكّد ان هذا السعي يوصل الانسان إلى حالة من الرسوخ الايماني ويحقّق رضا الله عزّوجلّ.

انّ التعمّق الرؤية والبحث والتحقيق وتبادل الأفكار سوف ينهض بالواقع الفكري للمجتمع ويسهم في تنمية الادراك لدى أفراد المجتمع واذن فان ما يمتاز به الدين الاسلامي الحنيف هو في دعوته الانسان إلى التأمّل في أُصول العقيدة والايمان بها ايماناً واعياً وعن قناعة تامّة وإلّا يقلّد في أُصول الدين أحداً من العالمين في حين لا يوجد في سائر الأديان هكذا تمجيد واحترام لعقل الانسان فالمسيحيّة على سبيل المثال لا تربي الانسان على التفكير وإنّما على التقليد فما يقوله القس هو الحقيقة يتلقّفها الآخرين دون تأمّل وتدقيق فهو لا يتساءل مثلاً ماذا تعني الأقانيم الثلاثة؟!

---

١. البقرة: الآية ١٢١.
٢. ص: الآية ٢٩.

ونحن نجد في أشعار شاه نعمة الله ولي مدائح في أهل البيت عليهم السلام وهو الأشعري المذهب يعبّر فيها عن عقيدته في العالم وانّه مجرّد خيال:

وجود هذا وذاك نقش خيالي

فلا حقيقة سوى وجود الكبرياء

وحقّاً قلت إن قلت «الكلّ حقّ»

ولست بمخطئ إن قلت ان «الكلّ خلق»[١]

وهذا ما يذهب إليه شيخ الصوفيّين الأكبر محيي الدين بن عربي متابعة لـ«فلوطين»:

«وإذا كان الأمر على ما قرّرناه فاعلم انّك خيال وجميع ما تدركه كلّه خيال في خيال»[٢].

وقوله: «العالم خيال في خيال ووهم في وهم وليس في الدار غير ديّار».

ومن خلال مقولات عرفاء المجتمع الشيعي نجد انّهم نهضوا بهذه المهمّة وهذه المسؤوليّة وهي تعشيق تصوّف ابن عربي مع العقائد الشيعيّة في إيران ولا تنحصر هذه المهمّة بشخص شاه نعمة الله ولي الذي ينتمي إلى مذهب أهل السنّة.

قالوا: إنّ الله تعالى ظهر وتجلّى بصورتي وصورتك وجمع الكائنات وإلّا فلا انفصال بين الخالق والمخلوق.

وعند ما يستخدم القرآن الكريم لفظ الخالق والمخلوق فانّه يفعل ذلك من أجل أن يدرك عوّام الناس هذا المعنى وإلّا أين هو الخالق! وأين هو المخلوق! كلّ ما

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٨٧.
٢. فصول الحكم ٢٣٧.

موجود وكلّ من موجود إنّما هو! «ولا يمكن التعبير عنه بالعلّة والمعلول والأثر والمؤثّر والخالق والمخلوق أيضاً جاء على مذاق العامّة».

إنّ القرآن الكريم لم يتحدّث أبداً على مذاق جماعة دون جماعة وكلّ تعاليم القرآن وآياته حقائق قطعيّة ومسلّمة.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللهِ قِيلاً﴾[1].

وهذا ما نراه في مناجاة أهل البيت عليهم السلام فهم يخاطبون الله عزّوجلّ قائلين:

«قلت وقولك الحقّ».

وإذا ما صادف وجود من يفسّر القرآن الكريم بحسب ذوقه ورأيه الخاص فهذا خطأ وانحراف عن نهج الحق ولهذا جاء في الحديث القدسي انّ الله عزّوجلّ قال:

«مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلامِي وَمَا عَرَفَنِي مَنْ شَبَّهَنِي بِخَلْقِي»[2].

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله:

«أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي رَجُلُ يُنَاوِلُ الْقُرْآنَ يَضَعُهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِه»[3].

وكثير هي الروايات التي تعذّر من تفسير القرآن الكريم بحسب الآراء الشخصيّة والمشارب والأهواء انّ كلام الله لا يعلم تأويله إلّا هو والراسخون في العلم وهم آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً والقرآن «لا يمسّه إلّا المطهّرون» ولذلك فان تفسير القرآن

---

١. النساء: الآية ١٢٢.
٢. الاحتجاج ٢/١٩٢؛ بحار الأنوار ٢/٢٩٧.
٣. بحار الأنوار ٨٩/١١١.

الكريم في ضوء الثقافات المستوردة خطيئة كبرى؛ ذلك انّ القرآن الكريم علمي ولا يمكن تعلّمه من دون معلّم مختص وأيّة محاولة من هذا القبيل سوف لا تفضي إلّا إلى الضلال والتيه والضياع وعليه نرى أن مقولات العرفاء والصوفيّة تـنهض على أساس أذواق وظنون ولا غير وهو ما يعبّر عنه في أدبيّات الشريعة بـالرأي والهوى يقول القرآن الكريم في بطلان الطرق الصوفيّة:

﴿ٱتَّبِعُوا مَاأُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَاتَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ﴾[1].

وكذا قوله تعالى أيضاً:

﴿أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[2].

وبذلك فان اتّباع الأهواء والآراء الشخصيّة في شؤون الدين باطل وحرام ذلك انّ الايمان بكمال الدين الاسلاميّة فان اتّباع التـصوّرات الذاتـيّة يـعني انكـار التعاليم الدينيّة وقد حذّر القرآن الكريم من اتباع الأهواء والمشارب البشـريّة، قال تعالى:

﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِـي كُـلِّ وَادٍ يَـهِيمُونَ * وَأَنَّـهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾[3].

واذن فان من خصائق الشعر والشاعريّة والأذواق الذاتيّة هو الهيام في وديان الخيال الاستثناء الوحيد هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

القرآن الكريم يستثني المؤمن الذي يعمل الصالحات.

---

١. الأعراف: الآية ٣. ٢. محمّد: الآية ٣٣.

٣. الشعراء: الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

فكيف يمكن التأكّد من إيمان الفرد أو الشاعر؟

وما أكثر المنافقين الذين كانوا يجارون باسم الاسلام والدفاع عن الدين وبمرور الأيّام ظهرت حقائقهم وما كانوا يضمرون وفي زمانهم كان البسطاء من الناس يعتقدون بايمانهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقد كان بعض الشعراء ينشدون قصائدهم في حضرة النبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام واحياناً ينال بعضهم التكريم لأنّ النبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام هم وحدهم من يعرف أسرارهم وما تنطوي عليه نفوسهم من الايمان.

وليس الهدف هو الحط من شأن الشعر والشاعريّة بل ان هذه القريحة نعمة الهيّة وموهبة ربّانيّة كسائر النعم حيث شكر هذه النعمة يكمن في توظيف هذه الموهبة في ما يحقّق رضوان الله تبارك وتعالى وعليه فان قصائد وأشعار العرفاء والمتصوّفة في موضوع أُصول العقيدة وعلى أساس الأذواق الذاتيّة يعد من كبائر الذنوب، ذلك ان هذه الأشعار تشتمل على أفكار مغايرة للدين في أُصول العقيدة وعندما يتلقى الناس هذه الأفكار في قالب شعري وأدبي فانّها تنفذ في أعماقهم وتفعل فعلها التخريبي داخل النفوس من خلال ما تبثه من خرافات ويمتاز الشعر بقدرته التأثيريّة فالايقاع الموسيقي ينفذ داخل النفس الانسانيّة بسهولة ولذلك فانّ الأفكار التي تصبّ في قالب شعري تنفذ داخل النفس من دون ردود فعل.

أمّا في حالة النثر فانّنا نجد القارئ في حالة تحفّز لا يقبل الفكرة التي يطّلع

---

١. البقرة: الآية ٨.

عليها في قالب منثور على عدّتها.

وقد سئل الامام جعفر الصادق عليه السلام عن معنى كلمة «الغاوون» في الآية الكريمة أدناه:

﴿ وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ ﴾[1].

فقال صلوات الله عليه:

«**الْغَاوُونَ هُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَعَمِلُوا بِخِلافِهِ**»[2].

وعليه فان القوانين في نظام التشريع والدين لا شأن لها مع الأذواق البشريّة ولا علاقة لها مع الأذواق والمشارب الذاتيّة، بل ان هذه القوانين والمقرّرات حقائق الهيّة حملها عزّوجلّ أنبياءه ورسله لابلاغها عباده ولا يوجد نبي ولا وصيّ نبيّ قرّر من عنده شيئاً بل انّ تعاليم الله والقرآن الكريم هو كلام الله أنزله على رسوله محمّد صلى الله عليه وآله لابلاغ رسالته إلى جميع الناس.

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[3].

والانسان يصل شاطئ السعادة حتّى يطلب الحق والحقيقة عن طريق أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين وليس عن طريق آخر.

وقد اعترف الصوفيّة أنفسهم بأن معتقداتهم تنهض على أساس ذوقيّاتهم ولأن أفراد المجتمع من حيث الذوق ليسوا على مستوى واحد فان الذوقيّات العرفانيّة لا يمكنها أن تتمتّع بالثبات في جميع المراحل.

---

١. الشعراء: الآية ٢٢٤.
٢. بحار الأنوار ٢ / ٣٧.
٣. النمل: الآية ٦.

يقول شاه نعمة الله ولي في إثبات «وحدة الوجود»:

ـ وبالذوق رأيت العين واحدة والاسم مئات

الذات واحدة وما أكثر الصفات

الخاص واحداً والعام بالمئات

الحسن واحداً وفي المرآة من دون حساب

والروح واحداً في ألف جسم

والراح واحدةً والكأس بالمئات

إلى أن يقول:

الاسم واحد وإن سماه أحد بالمئات

يا عزيزي! لم يصرني حقيقته مئات

كان واحداً؛ اسمه بالمئات[1]

ويمتلك الشعر قابليّة النفوذ في النفس الانسانيّة بسبب الايقاع الموسيقى الذي تولّده الأوزان الشعريّة.

انّنا إذا قمنا باجراء مقارنة ودراسة لعقائد أهل العرفان والتصوّف في جميع الأديان والمذاهب فلن نجد اختلافاً فيما بينها لكي يمكن القول ان أحدها له منشأ وحياتي وانه مأخوذ من أهل بيت الوحي.

ففي عقائدهم يتساون الكفر مع الايمان:

لا تتكلّم عن الكفر والتديّن وضحّ في طرق العشق

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٢٣٠.

ليس في هذا الطريق للكفر والدين مجالاً

ويقولون:

في «خرابات» العشق سكرنا

يتساوى الكفر والايمان كي تعلم

وأيضاً:

يتلاشى الكفر والايمان حيث كان

انه اللب وهما لون وقشر

وما هذه المدائح في أهل البيت عليهم السلام التي يطلقها شاه نعمة الله ولي في ديوانه إلّا ذرّاً للرماد في العيون من أجل تمرير تصوّف ابن عربي في الأوساط الشيعيّة في إيران وهذا ما نراه واضحاً في مقدّمة الديوان.

أضف إلى ذلك ان موقف المتصوّفة التقليدي من أهل البيت عليهم السلام هو موقف سلبي متشنّج وعدائي.

وهذه حقيقة صرّح بها الأئمّة الأطهار من آل الرسول صلى الله عليه وآله وقولهم: «انّهم أعداؤنا».

وهذا جلال الدين مولانا يصرّح بعدائه الشديد وبغضه لشيعة آل النبي صلى الله عليه وآله وقد ظهر جليّاً في أشعاره التي تطرق فيها إلى ظروف فرض الحصار على مدينة سبزوار من قبل الملك «خوارزم شاه»[١] واضعاً الشيعة باقذع الصفات[٢].

---

١. هذا الملك الذي استأسد على أهالي سبزوار بسبب تشيّعهم لآل رسول الله الأطهار فرّ كالجرذ أمام جيوش هولاكو ـ المترجم.

٢. المثنوي الدفتر الخامس ٨٦٢.

يقول شاه نعمة الله ولي:

ماهية العالم ظلال شمس الدين

كان هذا وذاك لشمس الدين

«نعمة الله» وإن كان سيّد الملوك

الّا انّه من عبيد شمس الدين

المرشدون الأربعة هم امام الانس والجان

ودليل الأولياء الأربعة شمس الدين[١]

وهو يقصد من المرشدين الأربعة الخلفاء الراشدين ومنهم الامام علي بن أبي طالب وهنا يمجّد شمس الدين ويعتبره إماماً لهؤلاء الخلفاء.

ويقول جلال الدين مولانا في ديوانه «شمس تبريزي»:

شيخي ومرادي دائى ودوائي

ابوح بقولي أنت شمسي وإلهي

بك وصلت إلى الحق أيّها الحق

لك شكري ياكوكبي وشمسي والهي

والهاً بعشقك يا ملك العالمى

ما دمت تنظر الي يا شمسي وإلهي

خفيت فيك حتّى لم يبق مني أثر

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٤٨٨.

هكذا كان يقتضي الأدب يا شمسي والهي

أين حاتم طيّ كي يقبّل الركاب

هذا وقت السخاء والعطاء يا شمسي والهي

عيسى الذي أحيا الموتى رأى فناءه

أيّها اسمي الخالد يا شمسي وإلهي

هلم يا سحاب وأمطر في مشرق العالم ومغربه

وانفخ اصور كي يصل شمسي وإلهي

قل للحور وللقصور يخرجن من الجنان

وارفع الكرسي لقدوم شمسي وإلهي

كعبتي ومعبدي وجحيمي وجنّتي

مؤنس دهري وشمسي وإلهي

لو لمع البرق ألف عام بشرق وغرب

فهو لن يأتي بعلامة منك يا شمسي وإلهي

زعيقي وصياحي من بوابة الروم إلى بلخ

لن يخطئ الأصل يا شمسي وإلهي

من أبواب مصر إلى الصين يعلو ضجيجي

انشد مقالة شمس الدين يا شمسي وإلهي

من هو شمس الدين ؟

انّه أحد مشايخ الصوفيّة الذي وقع تحت تأثير أفكاره الصوفيّة البعيدة عن علوم الوحي الإسلامي.

وفي معرض الرد على «رسالة رفع الشبهات» أقول:

أنتم باتباعكم أمثال هذا الهادي والدليل للأولياء والمرشدين الأربعة وبالتالي الهادي والدليل لعلي أميرالمؤمنين عليه‌السلام كما قال شاه نعمة الله ولي، فهل أنتم يا فرقة الصوفيّة وشاه نعمة الله ولي ومولانا جلال‌الدين أخذتم كلّ معارفكم من أهل البيت عليهم‌السلام؟!!

أم أنّكم أخذتم معارفكم من أشخاص أمثال محيي‌الدين بن عربي وشمس الدين كما أعلن ذلك زعيمكم شاه نعمة الله؟!

يقول شاه نعمة الله ولي في تمجيد شيوخه:

كان شيخاً أبو الحسن البصري

كان شيخاً لشيوخ المحفل

وجد صحبة لعلي الولي

كان في غايته عبداً لعلي

فما هي منزلة الحسن البصري في مدرسة أهل البيت؟

ولد الحسن البصري في سنة ٢١[1] للهجرة أي بعد وفاة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بعشر

---

١. استبعد أن تكون ولادته في هذا التاريخ لأن عمره في واقعة الجمل سيكون ١٥ سنة فقط! وإذا ما ثبتت صحّة هذا التاريخ فان ظلالاً من الشك سوف تحوم على حقيقة لقائه بالامام علي عليه‌السلام ـ المترجم.

سنين وتوفي سنة ١١٠ هـ عن عمر يناهز التاسعة والثمانين عاماً يمكن القول انّه كان مبغوضاً من أهل البيت عليهم السلام.

ولمعرفة المزيد عن شخصيّة هذا الرجل يمكن مراجعة الكتاب الجليل «بحار الأنوار» المجلّد ٤٢ الصفحة ١٤١ «باب الحسن البصري» إذ أورد المؤلّف رحمه الله طائفة من الروايات حوله وفيما يلي هذه الرواية التي تصف لقاءه بالامام علي عليه السلام بعد هزيمة الناكثين في واقعة الجمل.

وقد روى هذا الرجل قصّته في عدم اشتراكه في حرب الجمل وقال انّه كان يستعد للالتحاق بجيش الامام علي عليه السلام وفي الطريق سمع منادياً يقول له: يا حسن إلى أين؟! ارجع فان القاتل والمقتول في النار.

وفي اليوم الثاني أراد الالتحاق بجيش الناكثين فلما وصل إلى «الخريبة» بالقرب من ساحة المعركة سمع نداءً يقول له: يا حسن إلى أين؟! ارجع فانّ القاتل والمقتول في النار.

«فرجعت ذعراً وجلست في بيتي».

قال الامام علي عليه السلام: صدقت أفتدري من ذلك المنادي؟

قال الحسن: لا.

قال عليه السلام: ذاك أخوك إبليس.

اذن فالموجّه له كان أخوه إبليس.

ورآه الامام عليه السلام يسجّل في ألواحه خطابه بعد دخوله عليه السلام البصرة.

فقال عليه السلام: أما انّ لكلّ قوم سامريّاً وهذا سامري هذه الأمّة ألا انّه لا يقول:

«لامساس» ولكنّه يقول: لا قتال[١].

ونقل إلى الامام محمّد الباقر عليه السلام بعض فتاوى الحسن البصري فـفندها ثـمّ قال عليه السلام:

«**فَلْيَذْهَبِ الْحَسَنُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَوَاللهِ مَا يُوجَدُ الْعِلْمُ إِلّا هَاهُنَا**»[٢].

وروى أبوحمزة الثمالي قال:

أتى الحسن البصري أبا جعفر (الباقر) عليه السلام فقال: جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: ألست فقيه أهل البصرة؟

قال: قد يقال ذلك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟

قال: لا.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟

قال: نعم.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: سبحان الله لقد تقلّدت عظيماً من الأمر! بلغني عنك أمرٌ فلا أدري أكذلك أنت أم يكذب عليك.

قال: ما هو؟

قال عليه السلام: زعموا انّك تقول: انّ الله خلق العباد ففوّض إليهم أُمورهم.

---

١. الاحتجاج للطبرسي ١/٢٥١؛ بحار الأنوار ٤٢/١٤٢.

٢. الكافي ١/٥١؛ بحار الأنوار ٤٢/١٤٢؛ وسائل الشيعة ١٨/٤٣.

قال الراوي: فسكت الحسن.

فقال عليه السلام: أفرأيت من قال الله له في كتابه انّك آمن، هل عليه خوف بعد هذا القول؟

فقال الحسن: لا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: اني أعرض عليك آية وأنهي إليك خطاباً ولا أحسبك إلّا وقد فسّرته على غير وجهه، فان فعلت فقد هلكت وأهلكت.

فقال له: ما هو؟

قال عليه السلام: أرأيت حيث يقول (القرآن):

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾[1].

يا حسن! بلغني انّك أفتيت الناس فقلت: هي مكّة فهل يقطع على من حجّ مكّة؟ وهل يخاف أهل مكّة؟ وهل تذهب أموالهم؟

قال: بلى!

قال عليه السلام: فمتى يكونوا آمنين؟

بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرآن التي بارك الله فيها.

ثمّ راح الامام يبيّن له التفسير الصحيح للآية الكريمة وأنّ الأئمّة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله «أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا، ذريّة مصطفاه بعضها من بعض، فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى، ونحن الذريّة المصطفاة ألا أنت ولا

---

١. سبأ: الآية ١٨.

أشباهك يا حسن!

فلو قلت لك حين ادّعيت ما ليس لك وليس إليك: يَا جَاهِلَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمْ أَقُلْ فِيكَ إِلّا مَا عَلِمْتُهُ مِنْكَ وَظَهَرَ لِي عَنْكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ بِالتَّفْوِيضِ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمْ يُفَوِّضِ الْأَمْرَ إِلَى خَلْقِهِ وَهْناً مِنْهُ وَضَعْفاً وَلا أَجْبَرَهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِ ظُلْما»[١].

هذه هي طبيعة العلاقة بين الحسن البصري وبين أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

فهل من الصواب القول ان الحسن البصري وأتباعه كانوا يأخذون عن أهل البيت عليهم السلام؟!

ألّف الحسن البصري أوّل كتاب في التصوّف تحت عنوان «رعاية حقوق الله» ويشتمل على مقولات تناقض في الصميم تعاليم أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام.

ولذا يتعيّن علينا أن نستجيب إلى أواحمره ونواهيه!

انّ جميع الكتب التي ألّفها أهل العرفان والتصوّف سواء كانت نثراً من قبيل آثار ابن عربي وملّا صدرا أو شعراً من قبيل مثنوي جلال‌الدين مولانا وديوان شاه‌نعمة الله ولي تزخر بالمقولات التي تتناقض مع العلوم الوحيانيّة للاسلام واستقصاء كلّ ما ورد من تناقضات يتطلّب تأليف العديد من المجلّدات.

ولأنّنا نناقش أفكار الصوفيّة النعمة الهيّة فانّنا سنذكر بعض الأمثلة حول مقولات شاه‌نعمة الله ولي من أجل بث الوعي بين أفراد المجتمع فلا يتخدعون ببع الدعايات التي تحاول توظيف مودّة أهل البيت عليهم السلام في تمرير أفكاره غريبة مناقضة لتعاليمهم صلوات الله عليهم.

---

١. الاحتجاج للطبرسي ١/ ١٧٨؛ بحار الأنوار ٢٤/ ٢٣٢.

انّ حريّة العقيدة مكنونة للجميع شرط الاعلان والوضوح في الأفكار والانتماء أما أن يحاول البعض ضخ الفكر المستورد تحت ستار خدّاع فهذا ما نرفضه بشدّة.

ان محاولة الايحاء بأن الأفكار العرفانيّة والصوفيّة مأخوذة من تعاليم أهل البيت عليهم السلام والتستّر على ذلك بنظم الأشعار في مدح أهل البيت عليهم السلام هو عمل غير أخلاقي وهذه أمثلة على شدّة التناقض بين مقولات «النعمة الهيّة» وبين تعاليم أهل البيت عليهم السلام.

يقول شاه نعمة الله ولي:

كلّ ماهو موجود في دار الوجود

كلّه موجود من نور القدم[١]

«لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ وَلا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَلا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ»[٢].

هل تلاحظ شدّة التناقض بين مقولة شاه نعمة الله ولي وما قاله الامام علي عليه السلام:

«فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ فَقَدْ أَظْهَرَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَوَّلٍ قَدِيمٍ وَلا وَاحِدٍ وَأَنَّ الْكَلامَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَلَيْسَ لَهُ بَدْءٌ وَلَيْسَ بِإِلَه»[٣].

والأمثلة في هذا التناقض بين مقولات العرفاء الصوفيّة وبين العلوم الوحيانيّة للاسلام كثيرة جدّاً.

ولتجنّب الأطناب نكتفي بالاشارة إلى مثالين:

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٤٢٣. ٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٣.

٣. الاحتجاج للطبرسي ٢/ ٤٠٥؛ بحار الأنوار ١٠/ ٣٤٣.

يفسّر شاه نعمة الله ولي الولاية في حبّ آل علي عليه السلام يقول مخاطباً المجتمع الشيعي:

ألا يا أيّها المحبّ لآل علي

أنت مؤمن كامل بلا دجلِ

انتهج طريق السنّة مذهبنا

وإلّا فأنت ضال مضلّل

ثمّ يعرّف نفسه فيما بعد بأنّه أشعري المذهب وعدو للمذهب المعتزلي.

وبسبب أشعار الصوفيّة في مديح أهل البيت عليهم السلام من أجل خداع الجماهير وتمرير أفكار الصوفيّة فانّه يصعب على أفراد الناس أن يصدّقوا بأن مؤسّس فرقة النعمة الهيّة أعني شاه نعمة الله ولي لم يكن شيعيّاً وانّه كان أشعري المذهب!

يقول مولانا جلال الدين في مديح الامام علي عليه السلام:

من هنا قرن النبي باجتهاد

اسمه واسم علي مولى العباد

قال من كنت له مولى وحبيب

فعلي ابن عمّي له مولى وحبيب[١]

ولدى المطالعة في المثنوي وديوان «شمس التبريزي» نرى تمجيداً وثناءً على «بايزيد البسطامي» و«شمس التبريزي» وسائر زعماء الصوفيّة تماماً كالذي نراه من تمجيد لهم في أشعار شاه نعمة الله ولي.

---

١. المثنوي الدفتر السادس ١٢٦٥.

تنهض العقيدة الزرادشتيّة على ان ايزد «الرب» «هو كلّ الأشياء» وهذا ما نراه أيضاً في مقولات ابن عربي الذي يقول:

فان قلت بالتنزيه كنت مقيّداً وان قلت بالتشبيه كنت محدداً[١].

وهم يقولون: انّه لا يوجد أساساً من فرق بين الخالق وبين المخلوق سوى ان سائر صفات الكمال تتمركز في ذات الخالق على نحو مطلق ولكنّها توجد ناقصة مقيّدة في ذات المخلوق.

يقول شاه نعمة الله ولي:

هو الحق والوجود المطلق فافهم

هو المقيّد وهو المطلق فافهم

لقد حيّرك خيالك الباطل

انظر المجمع هو الحق فافهم

أنت الطالب وأنت المطلوب فافهم

فقل بالروح هو الصدق فافهم

إلىٰ أن يقول:

يا صاح ان هذا العالم نقش خيال

ومنام فنم أنت أيضاً وافهم

وهكذا نرى كبار العرفاء ومع ادّعائهم الاسلام والدفاع عن الاسلام يقومون بتسويق وتمرير ونشر الأفكار الفلسفيّة والعرفانيّة المستوردة والتي يعود تاريخها

١. فصوص الحكم ١٣٤.

إلى ما قبل ظهور الاسلام بل إلى ما قبل الميلاد! من قبيل فرضيّة: «الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد» والله تعالى داخل ضمن هذه القوانين ان التناقض القائم بين الفكر الفلسفي والقوانين (الخياليّة) السائدة في نظام التكوين وبين الكتاب العزيز والسنّة الشريفة لهو أظهر من الشمس في رابعة النهار.

١ ـ التناقض مع الكتاب:

قال الله تبارك وتعالى:

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

من دون أن يكون ذلك منوطاً بصدور أمر منه بأمر آخر:

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٢].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣].

٢ ـ التناقض مع السنّة الشريفة:

«يا مَنْ لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، يا مَنْ لا يَمْنَعُهُ فِعْلٌ عَنْ فِعْلٍ، يا مَنْ لا يُلْهِيهِ قَوْلٌ عَنْ قَوْلٍ، يا مَنْ لا يُغَلِّطُهُ سُؤالٌ عَنْ سُؤالٍ»[٤].

«وَاللهُ سَرِيعُ الْحِساب لأَنَّهُ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأنٍ وَلا مُحَاسَبَةُ أَحَدٍ مِنْ مُحَاسَبَةِ آخَر»[٥].

---

١. هود: الآية ١٠٧.
٢. البروج: الآيات ١٤ ـ ١٦.
٣. البقرة: الآية ١١٧.
٤. دعاء الجوشن الكبير.
٥. بحار الأنوار ٩٦/ ٢٥٧.

وعليه فان صدور «كف» عن ذات الخالق المقدّسة لاحداث شيء أو أشياء ليس محدوداً بـ«كن» وفعله سبحانه شيئاً لا يكون مشروطاً بآخر كما يذهب إلى ذلك الافلاطونيون المستحدثة.

وإذا ما صحّت تصوّرات وتخيّلات الفلاسفة الاسلاميّين على ذات الباريء في عدم صدور الفعل منه إلّا بعد تكوّنه فان هذا تكذيب للآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴾.

وهذا حكم الله عزّوجلّ صريحاً في من لا يحكم بحكم الله سبحانه:

﴿ **وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ** ﴾[١].

وجاء في أحاديث أهل البيت الكرام عليهم السلام:

«**كُلُّ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بِغَيْرِ قَوْلِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ طَاغُوت**»[٢].

وعجيب أمر هؤلاء! يدّعون الدفاع عن الاسلام ثمّ ينسبون إلى الاسلام أوهامهم وما يتّجه خيالهم من الأحكام من دون خوف من حكم الله في من يحكم بغير حكمه!!

وهذا هو القرآن الكريم وهذه هي أحاديث أهل البيت الكرام لا يوجد فيها من أفكار الفلاسفة وفطريّات الفلسفة من أثر، بل ما هو موجود في الأحاديث نهي عن تبنّي أو القول بغير قولهم عليهم السلام:

«**وَلا تَقولُوا بِما لا نَقُول**» «**شَرٌّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِشَيْءٍ مَا لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنَّا**»[٣].

---

١. المائدة: الآية ٤٤.

٢. مستدرك الوسائل ١٧/٢٤٤؛ دعائم الاسلام ٢/٥٣٠.

٣. الكافي ٢/٤٠١.

والأحاديث في هذا المضمار كثيرة ما يؤكّد موقف أهل البيت الصريح والسلبي من كلّ اولئك الذين يدّعون إلى انتهاج طريق التصوّف والعرفان والفلسفة والتحليق في فضاء الخيال أو اقتباس آراء الفلاسفة الأقدمين في الالهيات وقد أمروا بالتمسّك بأهل البيت عليهم السلام حملة علوم الوحي الالهي.

يزعم العرفاء والصوفيّة انّهم توصّلوا إلى الحقائق عن طريق الكشف وان هذه الكشوفات أو الكشفيّات تبلغ من الأهميّة بحيث لا يمكن مقارنتها حتّى مع التعاليم الواردة في الكتاب والسنّة بينما لاحظنا في باب «العشق» انّه لا أساس لما يعرف بـ «الكشف» في العلوم الوحيانيّة للاسلام.

ومع افتراض صحّة موضوع «الكشف» فانّه ليس من جدوى ولا فائدة من ارسال الأنبياء الالهيّين وانزال الكتب السماويّة وكذا لا حاجة لوجود أهل البيت عليهم السلام!

انّ العارف والصوفي يزعم انّه بالرياضة والانزواء والعزلة ومن دون الحاجة إلى طلب العلم فان حقائق الأُمور تتجلّى وتظهر كما هي!

فاذا آمنّا بذلك جدلاً فانّه يتوجب الرجوع إلى العارف والصوفي لكسب الهداية وتنتفي الحاجة إلى وجود الأنبياء إذ يتسنّى لكلّ فرد أن يمضي دورة في الرياضة الروحيّة و«السير» و«السلوك» الروحي تحت اشراف «المرشد» و«القطب» ليصل إلى مرحلة رفيعة من السمو تتجاور مراحل الأنبياء والرسل الالهيّين!

ولهذا يقف العرفان موقفاً سلبيّاً من العلم وطلب العلم لأنّه لا طائل من وراء ذلك! بل أنّ العلم في رأي المتصوّفة في ذاته سدّ في طريق الوصول إلى الحقيقة!

«الفكر حجاب والعلم هو الحجاب الأكبر».

لكلّ فرقة وجماعة من العرفاء والصوفيّة كشوفات أو كشفيّات خاصّة بها وما أكثر العرفاء والمتصوّفة الذين توصّلوا حقائق تناقض تماماً الحقائق التي ظهرت لغيرهم حقائق توصّلوا إليها بطريق الكشف أيضاً!!

هذا أبو حامد الغزالي العارف الشهير توصّل إلى بطلان مذهب الاماميّة وظهرت له عن طريق المكاشفة أفضليّة أبي‌بكر على الامام علي عليه السلام[١] في توصّل عارف آخر وعن طريق الكشف إلى خلاف ما توصل إليه الغزالي!

انّ جميع العقائد الصوفيّة تنهض على أساس الأذواق الشخصيّة لأهل العرفان حيث يعدّ الذوق في رأيهم أوّل درجات الكشف والشهود[٢]!

وقد لاحظنا على سبيل المثال شاه نعمة الله ولي وكيف حدّد المراتب الوجوديّة لله سبحانه في ان الله في مرتبة الجحيم وفي مرتبة الجنّة وفي النهاية يقول:

وهذي المراتب من ذوقنا لك بيّنا

فان كنت للذوق طالباً فاقرأ مقالنا[٣].

انّ موضوع الكشف والذوق موروث من الثقافة الفارسيّة القديمة وتحديداً من الديانة الزرادشتيّة.

---

١. الدرّ المنثور ٣١؛ الاثنا عشريّة ١٦٤؛ إحياء العلوم ١/ ١٠٧.

٢. يقول ابن عربي:

«إذا طالبك أحد بالبرهان على علوم الأسرار الالهيّة، فقل:

ـ ما الدليل على حلاوة العسل؟ سيقول: هذا علم لا يحصل إلّا بالذوق فقل: هذا مثل هذا!! ـ المترجم.

٣. ديوان شاه نعمة الله ولي ٦٥١.

وتحرير حكمة الاشراق أي الحكمة المؤسّسة على الاشراق الذي هو الكشف أو حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس وهو أيضاً يرجع إلى الأول لأن حكمتهم ذوقيّة فنسبت إلى الاشراق الذي هو ظهور الأنوار العقليّة ولمعانها وفيضانها بالاشراقات على الأنفس عند تجرّدها وكان اعتماد الفارسيّين في الحكمة على الذوق والكشف وكذا قدماء يونان خلا ارسطو وشيعته فان اعتمادهم كان على البحث والبرهان لا غير»[١].

واذن فان جهود العرفاء والصوفيّة الاسلاميّين انصبّت في الدفاع عن ميراث الآباء والأجداد وكانوا يهتبلون أدنى الانتصارات السياسيّة في المجتمعات الاسلاميّة لغرض هذه التقاليد الموروثة.

ففي منطقة اسلاميّة تبرز «الوهابيّة» لتمثّل الاسلام الحقيقي وفي بلاد أُخرى من أرض الاسلام يظهر تصوّف ابن عربي على انّه الاسلام الحقيقي وكلاهما يقوم بنفس الدور في دعم الحكومات والأنظمة السياسيّة الجائرة!

خلافاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا مُحمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾[٢].

وما يلاحظ هو ان الاصطلاحات التي يستخدمها العرفاء الصوفيّة هي في الغالب نفس الاصطلاحات التي كان يستخدمها الزرادشتيّون القدامى والذين عرفوا فيما بـ«الزنادقة».

---

١. شرح حكمة الاشراق ١٢.
٢. آل عمران: الآية ١٤٤.

إذ يطلق على سبيل المثال لقب «پير مغان» على مرشد الطريقة الصوفيّة و«مغان» جمع «مغ» بمعنى «گبر»[١] واذن «پير مغان» كان لقباً يطلق على شيوخ الطريق الصوفيّة الاسلاميّين أيضاً.

واذن فانّ الفرضيّات ومقولات الفلاسفة والعرفاء الصوفيّة خليط من ارث مستورد وميراث الأجداد ولا ربط له بالدين الاسلامي الحنيف وكلّ ما يقتبسه العرفاء والمتصوّفة من الاسلام من استشهاد بالآيات والروايات هو من أجل تدعيم أفكارهم وإثبات صحّة العقائد اليونانيّة والفارسيّة القديمة لا أكثر.

وفي رأيهم انّ الاسلام لم يأت بجديد لكي يكون أصلاً بل انّ جميع الأُصول الضروريّة في الالهيّات إنّما أسّس لها قدماء الفرس قبل الميلاد!

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[٢].

﴿ وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُم قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾[٣].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[٤].

ألا تنطبق هذه النصوص القرآنيّة على الذين يقتصرون في الأفكار والعقائد على ميراث فكري يعود إلى ما قبل الميلاد لأنّه ميراث الآباء والأجداد ثمّ يحاول

---

١. عابد النار أو المجوسي ـ المترجم.
٢. المائدة: الآية ١٠٤.
٣. الزخرف: الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.
٤. البقرة: الآية ١٧٠.

تبرير تلك الأفكار بشواهد من القرآن والسنّة ومن خلال تفسيراتهم الذاتيّة لهذه النصوص المقدّسة!!

ومن المقارنات انّهم يمجّدون ذلك التراث الضارب في القدم لأقوام كانوا يعتنقون عقائد وثنيّة!

وقد لاحظنا انّ ملّا صدرا يذكر صراحة انّ شيخ الاشراق شهاب الدين السهروردي الشافعي المذهب والايراني القوميّة استلهم أفكاره من تراث الفرس القديم والذي يعود في تاريخه إلى ما قبل الميلاد!

وكذا اعترافه هو شخصيّاً بأنّه أحيا تراث القدماء: «ونحن قد أحيينا رسوم المتقدّمين في القول بهذا المذهب وتقويمه وذببنا عنه بقمع الشبه ورفع الشكوك»[١].

«وإذا كان شيخ الاشراق أيضاً قد انتخب هذا المنهج فلأنّه وقع تحت تأثير العرفاء والمتصوّفة الاسلاميّين»[٢] وليس الاسلام وإلّا أين هو النص الاسلامي الذي يقول:

«بسيط الحقيقة كلّ الأشياء»؟!

ومتى قال الاسلام:

«الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد»؟!

وغير ذلك من الأفكار والفرضيّات الصوفيّة في الالهيّات!

في وقت ثبت بالدليل العلمي القاطع انّ جميع نظريّات وفرضيّات فلاسفة ما

---

١. الأسفار الأربعة ٧/١٠٩.
٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، مطهري ١٤٥.

قبل الميلاد في العلوم الطبيعيّة والفلك والفيزياء إنّما هي خرافات في خرافات!

فماالذي حصل لكي تكون أفكار اولئك الفلاسفة في الالهيّات في مأمن من الخطأ.

ألا تنطبق عبارات القرآن الكريم من قبيل «لا يعقلون» و«لا يهتدون» و«لا يؤمنون» على أتباع فلاسفة ما قبل ظهور الاسلام وما قبل الميلاد؟!

وكما أشرنا ان مسألة «الكشف» والشهود في العرفان والتصوّف تشغل موقعاً مهمّاً وهو في طليعة العوامل في الكشف عن حقائق الأشياء وإذا كان الأمر كذلك فان من يبلغ مرحلة الكشف والشهود يكون قد تجاوز درجة الأنبياء والرسل!!!

وقد «قيل لبايزيد البسطامي: إذا كان يوم القيامة اجتمعت الخلائق تحت لواء محمّد عليه الصلاة والسلام قال (بايزيد): والله انّ لوائي أزيد من لواء محمّد وانّ الأنبياء والخلائق تكون تحت لوائي»[1].

ويقول شاه نعمة الله ولي:

نعمت الله في جميع العالم واحد

لا جرم فهو سيّد كلا الدارين[2]

ان كلّ ما تحصل عليه أيّة فرقة صوفيّة عن طريق الكشف والشهود من (المعارف) فهي حقائق يقينية لا يتطرّق إليها الشكّ أبداً مع انّها في الغالب تتصادم مع كشوفات وكشفيّات الفرق الصوفيّة الأُخرى!! بل حتّى أثبت العلم بطلانها وأظهر خرافيّتها!

---

١. تذكرة الأولياء ١٦٣.

٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ١٣٤.

ولذلك فانّ العارف الصوفي يدّعي لنفسه العصمة من الخطأ؛ يقول شاه نعمة الله ولي:

سيّداً أنا وعن الخطأ معصوم

وكلّ ما أرى هو الصواب[١]

وهذا مثال نذكره من كشفيّات اللاهيجي التي وردت في كتاب «گلشن راز» (روضة الأسرار) يقول اللاهيجي:

«وفي تلك الحال انكشفت لي حكمة عجيبة وغريبة في خلق العالم ومنها مثلاً حكمة لماذا ان العرش بلا زينة فلا كوكب عليه ولماذا كلّ الكواكب ثابتة في الفلك الثامن؟! وما السبب في ان كلّ فلك من هذه الأفلاك السبعة كوكب واحد»[٢].

ونلاحظ هنا كيف توصل هذا العارف إلى تلك «الحقائق الفلكيّة» وكشوفاته في عالم الفضاء!! وظهرت له منظومات نجوميّة خاصّة!!

وبالبؤس الانسان وشقائه ورياضاته الشاقّة إذا كانت النتيجة هذه الكشوفات الفلكيّة الخرافيّة!

وكم خدع الناس بابن عربي وأمثاله من العرفاء وبكشوفاتهم وبشهوداتهم وها هو علم الفلك والفضاء الخارجي يكشف عن بطلان فرضيّاتهم ليس في الفلك وحده وإنّما في العلوم الآخرين من طب وغير ذلك ومن قضايا العرفان والتصوّف التي يتمّ التأكيد عليها هي امكانيّة الوصول إلى أعلى درجات الكمال من قبيل الولاية والنبوّة وحتّى الالوهيّة كلّ ذلك متاح للانسان من خلال الرياضة الروحيّة!

---

١. المصدر السابق ٤٤٥. ٢. گلشن راز (روضة الأسرار) ١٨٥.

وما أكثر العرفاء والمتصوّفة الذين هتفوا في احدى شطحاتهم قائلين:

ـ أنا الحقّ!

فهم يقولون في اشعارهم على سبيل المثال:

بالعباة يمكن للعبد أن يصير الله... ولا يستطيع أن يصبح كليم الله وكما نادى الزرادشتيون من قبل قائلين: «كلّ ما موجود هو ايزد»[1].

نادى متصوّفة الاسلام: «هو كلّ الأشياء» انّ الله وجود مطلق ظهر بصورة مخلوقاته.

وهو الذي ظهر ويظهر بصورة موسى وفرعون والجنّة والجحيم و... وان هذا التعيّن والتطوّر من خصائص ذات واجب الوجود الذي هو المطلق فعلى سبيل المثال فهو مثل ماء البحر في أوانٍ مختلفة ولكلّ اناء سعة تدعىٰ التعيّن، فالاختلاف بين ماء البحر والماء الموجود في الأواني هو في الاطلاق والتقييد وإلّا فان الماء واحد ومن جوهر واحد.

انّ الماء الموجود في هذه الأواني بامكانه إذا بذل سعيه وجهده الخلاص والافلات من قيد الاناء والالتحاق بالبحر، إلّا انّه لا يوجد اناء بامكانه أن يصبح على نحو سائل في اناء آخر وهذا هو معنى بيت الشعر الآنف الذكر:

بالعبادة يمكن أن يصبح الله

ولا يمكن أن يصبح كليم الله

وفي السير الصعودي المزعوم الذي يسلكه العارف أو الصوفي وبعد أن يطوي

---

١. ايزد: الرب ـ المترجم.

السلّم الخيالي في الرقيّ والاطّلاع التدريجي على ذات الله في تخيّله، تتبلور ولايته وأولويّته ازاء الآخرين الذين لم يبلغوا هذا المقام الذي وصل إليه وكلّما زاد رقيه نحو الكمالات الخياليّة يعني معرفة تجلّي وظهور الله بصورته وبصورة كلّ أعضائه اتّسعت دائرة ولايته أكثر.

انّ وجدان الأولويّة اثر الارتقاء بهدف تحصيل الكمال في الانسان أمر طبيعي ولكن إذا كان الرقي أمر خيالي مثل الارتقاء لدى العرفاء والصوفيّة ووجدانهم الله! فان وجدان الأولويّة والولاية على الآخرين الذين لم يصلوا إلى هذا المستوىٰ من الكمال هو الآخر أمر خيالي وغير حقيقي وكذب غير ان الذين يطلبون العلوم التجريبيّة ويبحثون ويحقّقون في كسبها أو الذين يطلبون العلوم والمعارف الوحيانيّة للاسلام من صادرها الحصريّة التي تتمثّل بأهل البيت عليهم السلام فان وجدان الولاية المحدودة في دائرة العلم الذي يبحثون فيه هو أمر حقيقي.

مثالاً على ذلك ولاية الطبيب على غير الأطبّاء في المجال الصحي وولاية الفقيه على غير الفقهاء في مضمار الفقاهة هو أمر حقيقي.

أمّا ولاية العارف والصوفي على الآخرين وهي ولاية عامّة! أمر فارغ وباطل لأنّ الكمال المزعوم الذي اكتسبه العارف الصوفي والارتقاء الذي حقّقه هما أمران خياليّان.

انّ الولاية في نظام التشريع والدين تنهض على أساس وجود الكمالات والفضائل العلميّة والعقليّة في الشخص وهي لدى أهل البيت صلوات الله عليهم موهبة الهيّة ولدى الآخرين اكتسابيّة ولهذا السبب فانّ الولاية لدى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام هي ولاية عامّة ولدى الآخرين من أصحاب

العلم منحصرة بدائرة علمهم.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[١].

وفي الشريعة تنسحب هذه الأنواع من الولاية على العلماء وعامّة الناس ولا يوجد عامل آخر غير العلم يوجب احراز حتّى الولاية الجزئيّة.

فيما نرى ان العرفاء والصوفيّة ومن دون اكتساب أيّ من العلوم ـ لأنّهم ينظرون إلى العلم نظرة سلبيّة ويعتبرونه الحجاب الأكبر الذي يحول دون وصولهم إلى الحقائق ـ ومن خلال ممارسة الرياضة الروحيّة والانزواء والعزلة يزعمون وصولهم إلى مراتب ومقامات من قبيل «الشيخ» و«المرشد» و«القطب» وحتّى «الالوهيّة» أيضاً!!

وإذن فانّ الولاية الخياليّة لمن وصل هذه المقامات من قبيل القطب والشيخ والمرشد في الأوساط الصوفيّة بل على جميع الناس هو أمر حتمي!!

وهي ولاية واضحة البطلان ذلك ان من مقوّمات الولاية هذه وجود القدرة لدى الفرد الذي يدّعيها!

ومن مستلزمات وجود القدرة أو القوّة وجود عامل الرادع الذي يمنعه من استخدام هذه القدرة في غير محلّها والتي تدعى «العصمة» وهذه الخصلة ينحصر وجودها في أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم.

واذن فانّ الولاية تكون منحصرة في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

---

١. الأحزاب: الآية ٦.

إيران موطن زعماء الصوفيّة

انّ دراسة حياة الشخصيّات التي أسّست للتصوّف والعرفان في الأُمّة الاسلاميّة تظهر ان اصول الغالبيّة منهم ايرانيّة يحدوهم الحماس في احياء عقائد الأجداد ولذا كانوا يتلوّنون دينيّاً ومذهبيّاً بالبيئة التي يعيشون فيها وكانت العرفاء والصوفيّة الذين يعيشون في أوساط شيعيّة ينظمون الاشعار في حبّ علي وذريّته.

غير ان العرفان في جوهره الحقيقي ليس إلّا ذوقيّات الزرادشتيّة وانبعاث للثقافات الايرانيّة القديمة.

يقول مولانا جلال الدين:

وأنا ذلك المجوسي الذي يرشح الايمان مني

وأنا الكفر ولكنّي بأمن وأمان

وجاء في ترجمة حياة افلوطين انّه عاش قبل ظهور الاسلام بقرون ويعدّ المؤسّس للافلاطونيّة المستحدثة وأيضاً المؤسّس للعرفان والتصوّف في المسيحيّة هذا التصوّف الذي ظهر في الحياة الثقافيّة للأُمّة الاسلاميّة.

«كان فلوطين شخصاً مرتاضاً وعارفاً سافر إلى إيران والهند ومن المحتمل أن يكون قد أخذ عقائده العرفانيّة من إيران والهند»[١].

«تعدّ الفلسفة والحكمة في إيران جزءً لا ينفكّ من الثقافة الاسلاميّة»[٢].

---

١. أصل الفلسفة والمنهج الواقعي ١ / ٤٠ قاموس دهخدا ـ مفردة صوفي.

٢. إران والاسلام، الخدمات المتقابلة ٧١٥.

«منذ القرن الثالث الهجري وحتّى إلى يومنا هذا رفع الايرانيّون راية الفلسفة الاسلاميّة»[١].

ومن المثير للدهشة انّه من بين كلّ البلدان الاسلاميّة انفردت إيران بهذا المزيّة!! فهل انّ التشيّع وأتباع أهل البيت عليهم السلام هو الباعث لاعادة تأهل واحياء الأفكار الفلسفيّة القديمة والمستوردة ونشرها في صفوف المجتمع الايراني؟!

ومن المؤكّد انّ أهل السنّة كانوا هم الباقين في تعلّم الفلسفة وجميع زعماء الفلسفة والتصوّف في إيران كانوا من أهل السنّة ويحاول المتصوّفة المعاصرين تبرير تبني أسلافهم لعقائد مخالفة للاماميّة بأنّه كان من باب التقيّة وإلّا فانّهم كانوا من الشيعة!

ولكن الحقيقة هي غير ذلك تماماً؛ ذلك انّه لا توجد فرقة أو مذهب من المذاهب الاسلاميّة مرّ بظروف مريرة كالتي عانى منها الشيعة!

لقد عانى الشيعة ألواناً من القهر والاضطهاد، أمّا أتباع المذاهب الاخرى فقد كانوا أحرارً في بيان عقائدهم لأن مذاهب أهل السنّة جميعاً تعتبر الخلافة شأناً بشريّاً والخليفة ينتخب من قبل الناس.

أمّا الشيعة فيعتقدون بأنّ الخلافة والامامة شأن الهي كالنبوّة وإن خلافة الرسول صلى الله عليه وآله مقام رفيع جداً يلزمه وجود شخص في مستوى النبي صلى الله عليه وآله يكون هو الوصي والخليفة والامام بعد النبي صلى الله عليه وآله يتولّى هداية الأُمّة ولهذا فانّه لا يمكن أن تكون الخلافة شأناً بشريّاً.

---

١. المصدر السابق.

وبسبب هذه العقيدة كان الشيعة يعانون صنوف الظلم من قبل الحكومات والحاكمين فكان أتباع أهل البيت يمارسون التقيّة وإخفاء عقائدهم خوفاً من بطش السلطات إلى أن تأسّست لهم دولة في إيران حيث تمّ اعلان مذهب أهل البيت عليهم السلام المذهب الرسمي في إيران.

وما يزال أتباع المذهب الامامي يعانون في العديد من الدول الاسلاميّة وخاصّة في المملكة السعوديّة حيث يعيش شيعة الحجاز ظروفاً قاسية ويعانون من اضطهاد السلطات ومصادرة حقوقهم بل وحتّى الحجّاج والمعتمرين الشيعة الذين يفدون للحج والعمرة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله يعانون من المضايقات وتصادر كتب الأدعية والزيارات التي يحوزتهم.

ولهذا فقد اضطرّ الشيعة على مرّ فصول التاريخ إلى التزام جانب التقيّة خوفاً من بطش الحكومات والحاكمين اقتداءً بالمسلمين الأوائل الذين كانوا يعيشون في مكّة ظروفاً قاسية جدّاً.

وعوداً على بدء نورد اسماً آخر من الأسماء اللامعة في عالم العرفان والتصوّف وهو «بايزيد البسطامي» الذي توفي سنة ٢٦١ هـ ما يعني انّه عاصر الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

وبايزيد إيراني أيضاً من أهل بسطام كان على الديانة الزرادشتيّة مدّة سبعين سنة[١] «ولم يذكر أحد ان عمر السلطان بايزيد أكثر من ثمانين سنة»[٢].

ترىٰ ماذا يكون حال شخص اعتنق الاسلام وهو في السبعين من عمره وتوفّي

١. تذكرة الأولياء ١٦٥. ٢. قاموس دهخدا، أبو يزيد.

في سنّ الثمانين عاماً؟ كم أنفق من الوقت في تعلّم العربيّة وكم استغرق من الزمن في تعلّم العرفان الاسلامي؟!

انّ مسألة تلقي العلوم في سنّ الشيخوخة أمر بالغ الصعوبة! وإذا ما افترضنا صحّة نسبة العرفان المجوسي إلى الاسلام فكيف تسنى لـ«بايزيد» أن يطوي هذه المسافات (العلميّة) ويرتق سلم العرفان الاسلامي ليصل إلى مقام القطبيّة ومن ثمّ الالوهيّة؟!

ان قدراً من التأمّل والتحقيق في حياة «بايزيد» فهل يمكن ادّعاء هكذا شخص للالوهيّة نابعاً من العلوم الوحيانيّة للاسلام؟!

اذن لا مناص من الاذعان في ان هذا الرجل اضطرّ إلى أن يظهر عقيدته السابقة (الزرادشتيّة) بغطاء إسلامي وخداع البسطاء.

وهكذا ندرك حجم الدسائس والمؤامرات التي نحاك من أجل اطفاء النور وقطع الطريق على طلب العلوم الوحيانيّة للاسلام!

يقول بايزيد:

«كلّ من هو عارف بالحق جاهل وكلّ من هو جاهل بالحقّ عارف»[١].

وسئل: بأيّ شيء يمكن الوصول إلى الحقّ؟

فأجاب: بالعمى والصمم والبكم[٢].

وقال أيضاً: «العلم غدر؛ والمعرفة مكر؛ والمشاهدة حجاب؛ إذن فمتى تريد أن تجد ما تطبله؟!»[٣].

---

١. تذكرة الأولياء ١٥٥. ٢. المصدر السابق ١٥٦.
٣. المصدر نفسه ١٥٧.

اذكّر مرّة أُخرى انّه اعتنق الاسلام وهو في السبعين من عمره فكيف تسنّىٰ له في هذه السن أن يتعلّم اللغة العربيّة لأنّه من المؤكّد إذا أخذنا بنظر الاعتبار المدينة التي ولد فيها وبعدها عن البلاد العربيّة انّه كان يجعل هذه اللغة.

فكيف أمكنه أن يتعلّم ما يعرف بـ «العرفان الإسلامي» من دون معلّم ومن دون اتقانه للعربيّة ثمّ يصل مرحلة «معراج الروح»[١] ويصبح «حجّه الله» و «الخليفة بالحقّ» و «قطب العالم» ؟ ![٢]

ويكون لواؤه أعظم من لواء رسول الله وصاحب الشريعة الاسلاميّة.

ونشير إلى قوله بهذا الصدد:

«والله انّ لوائي أعظم من لواء محمّد فانّ الأنبياء والخلائق تكون تحت لوائي»![٣]

وإنّ من الأنبياء بل أعظمهم سيّدنا محمّد وبزعم بايزيد سيكون نبيّنا ﷺ تحت لواء بايزيد!!

يقول مولانا:

ورأى بايزيد في مزيدة الطريق

سمع من الحقّ اسم قطب العارفين[٤]

ومقام القطب لدى العارفين بمنزلة الروح من الجسد.

يقول مولانا:

---

١. المصدر نفسه ٦٠.
٢. المصدر نفسه ١٢٩.
٣. المصدر نفسه ١٦٣.
٤. المثنوي ٢٤٤.

القطب من كان مار الأفلاك

ومنزلة القطب لدى الصوفيّة عظيم جدّاً بحيث يتوقّف وجود الكائنات على وجوده ولو لا القطب لآلت حركة الأفلاك إلى السكون ولزالت عن الوجود.

«فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب وهم الجامعون للأهوال والمقامات بالاصالة أو النيابة كما ذكرنا وقد يتوسّعون في هذا الاطلاق فيسمّون قطباً كلّ من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه... لا يكون منهم في الزمان إلّا واحداً وهو الغوث أيضاً ومن المقرّبين وهو سيّد الجماعة في زمانه، ومنهم من يكون في ظاهر الحكم ويجوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبدالعزيز والمتوكّل.

ومنهم له الخلافة الباطنة خاصّة ولا حكم له في الظاهر كأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لا حكم له في الظاهر»[١].

يقول مولانا في قصّة ادّعاء بايزيد الالوهيّة:

جاء ذلك الفقير المحتشم

بايزيد قائلاً لمريده: أنا الله

قال سكران عياناً ذوالفنون

لا إله إلّا أناها فاعبدون[٢]

وقال أيضاً:

---

١. الفتوحات المكيّة ٢/ ٦.
٢. المثنوي ٧٢٩.

«سبحاني ! سبحاني ! ما أعظم شأني »[١].

« وقال قائل له : أنا أرى في خدمتك خلائق رجالاً ونساءً؛ ما هم ؟ ! قال : انّهم هم الملائكة يأتونني لسؤالاتهم العلميّة وأنا أجيبهم ! ![٢]

وقال أيضاً : ليس في جبّتي سوى الله ![٣]

ويبدو انّه وصل إلى مرحلة من الرقي انّه لم يعد بحاجة إلى العبادة !

فقد صرّح لأحدهم قائلاً :

« إنّي جمعت عبادة أهل السماوات والأرض وجعلتها في وسادة أضعها تحت رأسي »[٤].

وأرسل له ذوالنون المصري مصلاة فأعاد الشيخ (بايزيد) إليه قائلاً : وما أفعل بالمصلاة ؟ ! ارسل المسند كي نتكئ إليه[٥].

يعني انّه وصل إلى الذروة وهو يؤكّد خروجه من الشريعة لأنّه لم يعد بحاجة إليها بعد ان وجد الحقيقة .

وجدت الله ورأيت الحقيقة

فخرجت من عين الشريعة

وهكذا يعترف بايزيد صراحة خروجه

من الشريعة والالتزام بأحكامها

١. تذكرة الأولياء ١٢٤.
٢. المصدر نفسه ١٤١.
٣. المصدر نفسه ١٣٧.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه ويبدو انه يعني انّه وصل إلى مرحلة التحكّم في الوجود ـ المترجم.

النصوص التي تدلّ على شركه وشرك أمثاله كثيرة جدّاً.

وقد اهتمّ «العطّار» كتابه «تذكرة الأولياء» بجمع هذه المقولات.

وجاء في كتاب «الاعلام» حول شخصيّة بايزيد:

«هو أوّل من تحدّث عن الفناء في ذات الله وروّج لـ«وحدة الوجود»[1].

كما يبرز «منصور الحلّاج» كأحد الأسماء اللامعة في «التصوّف» وهو الآخر إيراني الأصل ولد في احدى القرى في ضواحي شيراز توفي في بغداد سنة ٣٠٩هـ وكان اعتقل سنة ٣٠١ وانتهى اعتقاله بمحاكمته وادانته واعدامه صلباً.

«يعدّ من أكثر العرفاء اثارة للجدل في العصر الاسلامي وله شطحات كثيرة اتّهم بالكفراً والارتداد وادّعاء الالوهيّة»[2].

وقد ظهر أثناء محاكمته انّه كان جاهلاً بالعلوم الوحيانيّة القرآنيّة وعلم الفقه والحديث الاسلامي.

واشتهرت عنه مقولته: أنا الحق، سافر إلى مدينة قم وكان الشيعة حينما يعيشون حالة من الحريّة النسبيّة.

وفي تلك الفترة كان الحلّاج يصرّح بأفكاره وأعلن الوهيّته وقد سمع يقول: «أنا مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود» في إشارة إلى الأقوام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

وكان الحلّاج قد بعث برسالة إلى الزعيم والعالم الشيعي ابن بابويه القمي وها هو الآن جاء يعرّف نفسه على انّه وكيل ونائب الامام المهدي المنتظر «عجّل الله

---

١. الاعلام ١٣٢.

٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة، المطهّري ١٠٣.

فرجه» لعلمه بأنّ الغالبيّة الساحقة من سكّان قم هم من الشيعة الذين يعتقدون بغيبة الامام واختفائه عن الأنظار، ويبعد تبادل الحديث قال له العالم الشيعي الجليل القدر بازدراء: ما أفرغك للجهالات؟! وطرده من المجلس!

ومع صدور اللعن من الامام المهدي عليه‌السلام بشأنه[١] ولكنّنا نلاحظ العديد ممّن ينظّر له ويروّج لأفكاره في الأوساط الاجتماعيّة الشيعيّة وقد اشتهرت حادثة تمزيق ابن بابويه لرسالته التي يدّعي فيها نيابته للامام المهدي صلوات الله عليه[٢].

ومن زعماء التصوّف والعرفان جنيد البغدادي من أهالي نهاوند المتوفّى سنة ٢٩٧ هـ من ضواحي مدينة همدان غرب ايران كان معروفاً في الأوساط الصوفيّة بـ «سيّد الطائفة» ومقولاته هي عين مقولات سائر المتصوّفة كما ذكر ذلك الشيخ العطّار في كتابه تذكرة الأولياء الباب ٤٢.

وتجنّباً للأطناب نعزف عن ذكر سائر مشاهر العرفاء والصوفيّة ولدى التأمّل في حياتهم ومقولاتم يتّضح لكلّ منصف انّهم كانوا يسعون إلى احياء وبعث العقائد الصوفيّة التي تمثّل الثقافة الايرانيّة السائدة قبل ظهور الاسلام.

ولهذا نرى عزوفاً من أهل العرفان والتصوّف عن طلب العلوم الوحيانيّة القرآنيّة ويتساوى لديهم آل رسول الله وأهل بيت الوحي عليهم‌السلام مع آل بني أُميّه!

يقول أبو حامد الغزالي الايراني المدفون في مدينة مشهد سنة ٥٠٥ هـ والذي يعد أحد أبرز المؤسّسين للتصوّف في الأُمّة الاسلاميّة:

---

١. بحار الأنوار ٥١ / ٣٧٠. ٢. المصدر السابق ٥١ / ٣٨٠.

«ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة عن معاوية في الامامة... وقد قال أفاضل العلماء كلّ مجتهد مصيب»[١].

في حين يقول الامام علي عليه السلام في رسالته إلى زياد بن أبيه:

«وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ فَاحْذَرْهُ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ»[٢].

معاوية الشيطان هو في رأي الصوفي والعارف من قبيل الغزالي مجتهد وكلّ مجتهد مصيب!!

ومن بين كبار العرفاء والمتصوّفة ملّاصدرا صاحب الأسفار الأربعة نكتفي بذكر النصّ التالي الذي يكشف عن أفكاره ومقولاته في توحيد الأفعال:

«وذهبت طائفة أُخرى وهم الراسخون في العلم وهم أهل الله خاصّة إلى ان الموجودات على تباينها في الذوات والصفات والأفعال وترتّبها في القرب والبعد من الحقّ الأوّل والذات الأحديّة يجمعها حقيقة واحدة الهيّة جامعة لجميع حقائقها وطبقاتها... وهذا المطلب الشريف الغامض اللطيف فما وجده وحصوله بالكشف والشهود عقيب رياضاتهم وخلواتهم، وهو ممّا أقمنا عليه البرهان مطابقاً للكشف والوجدان؛ فاذن كما انّه ليس في الوجود شأن إلّا وهو شأنه كذلك ليس في الوجود فعل إلّا وهو فعله»[٣].

وهكذا نلاحظ انّ ملّاصدرا يقول بـ«وحدة الوجود» وكذلك بـ«توحيد

---

١. احياء العلوم ١ / ١١٤.

٢. نهج البلاغة كتاب رقم ٤٤.

٣. الأسفار الأربعة ٦ / ٣٧٢.

الأفعال» ويعد الصوفيّة من الراسخين في العلم.

فمن هم الراسخون في العلم؟!

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[1].

ويقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أينَ الذينَ زَعَمُوا انّهم الراسِخُونَ فِي العلمِ دُونَنا كذباً وبَغياً علينا... بنا يستعطى الهُدىٰ ويستجلىٰ العمىٰ»[2].

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام في تعريف من هم الراسخون في العلم:

«نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ»[3].

وهذه صراحة جليّة في حصر الراسخين في العلم في أهل البيت عليهم السلام واتّهام كلّ من يحاول سلب هذا التوصيف عنهم ونعت غيرهم به بالظلم والعدوان فكلّ من يدّعي ذلك لنسفه أو لغيره فانّما يضع على نفسه علامة استفهام كبرى في طبيعة علاقته مع الأئمّة الأطهار من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن المؤسف أن نرى في صفوف المجتمع الشيعي مثل هذه التوجّهات والمقولات الخطيرة ونسبتها إلى الكشف كطريق لتحصيل هكذا معلومات وليس عن طريق العلم.

---

١. آل عمران الآية ٧.   ٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

٣. الكافي ١/٢١٣؛ بحار الأنوار ٢٣/١٩٨؛ بصائر الدرجات ٢٠٣؛ تفسير العياشي ١/١٦٤.

واذن فان هذه الكمالات لا يمكن حصرها في أفراد معدودين وهم الأئمّه من أهل بيت الوحي!!

وعند ما تتصادم كشوفات المتصوّفة والشهود العرفاني الصوفي مع تعاليم أهل البيت عليهم السلام فانّه يتمّ اهمال هذه التعاليم بل حتّى لو تصادمت مقولات العرفان والصوفيّة مع آيات القرآن الكريم فلا غبار على كشفيّات العارف والصوفي وتبقى الأولويّة لهذه الكشفيّات، وهم يبرّرون ذلك في انّ الله عزّوجلّ عند ما يتحدّث خلاف المقولات والكشفيّات العرفانيّة والصوفيّة، فانّما ليطابق فهم وذوق العامّة وإلّا فانّ الموضوع هو نفس ما نقول!

وعليه فانّنا نجد الفلاسفة والعرفاء أو المتصوّفة حتّى عند ما يتحدّثون عن الدين فلا يعنيهم رأيه أبداً فالاصالة دائماً وأبداً أفكارهم ومقولاتهم وكشوفاتهم!

ولدى مراجعتنا كتب الفلاسفة والعرفاء الاسلاميّين فانّنا لا نلاحظ سوى المقولات الفلسفيّة وما كتبه الفلاسفة قبل آلاف السنين وهم عند ما يستندون إلى آية أو رواية فانّما يفعلون ذلك لتبريد وتمرير أفكارهم.

كما جاء اكتسابهم الصبغة الاسلاميّة واشتهارهم بهذا التوصيف «الاسلامي» لأنّهم يعيشون في بيئة إسلاميّة وإلّا فلا شأن لهم بالاسلام ولا حتّى معرفة بالعقائد الاسلاميّة وإذا تحدّثوا عن الاسلام فانّما من أجل خداع الناس من العوام:

وجدت الله ورأيت الحقيقة خرجت أنا من عين الشريعة.

ولهذا السبب لا تجد في مقولاتهم واشعارهم ذكراً للدين الاسلامي المنبثق عن طريق كتاب الله عزّوجلّ والسنّة الشريفة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وما يذكرونه من نصوص اسلاميّة فانّما لتبرير توجّهاتهم وفرضيّاتهم ومقولاتهم.

لقد جاء الدين الاسلامي بالحكمة الالهيّة والعلم الجديد ومن المنطقي انّه ليس الفلسفة والفكر الزرادشتي واليوناني القديم والموروث وإلّا انتفت صفة الجـديد عمّا جاء به الاسلام الحنيف.

ومن هنا فانّ الارتقاء الفكري للانسان ونموّه قد جعله الخالق تبارك وتعالى في رسالته الخاتمة ونسخ وأبطل ماسبقها من عقائد وأفكار.

ويعتقد العرفاء والصوفيّة في مضمار الولاية والنبوّة ـ التي هي اصطفاء الهي ـ بأنّ الانسان قادر على الوصول إلى هذا المقام الرفيع.

ومن أوساط العـرفاء الشـيعة مـن يـذهب إلى هـذا الرأي يـقول المـرحـوم الشاه آبادي: «لقد حصل لسيّدنا أميرالمؤمنين وذريّته عليهم السلام مقام التشريع الذي هو مقام النبوّة والرسالة ولكن لأن رسول الله ﷺ تحصّل له هذا المقام من قبل فقد اختصّ بهذا الحق وأظهر التشريع فلم يبق مجال بعده لأولياء الله».

وهذه الفكرة مقتبسة من مدرسة أهل السنّة والجماعة.

يقول الشاعر الايراني سعدي:

وسوى عمر ليس للنبوّة من يجدر

بعد خاتم الرسل خاتم الأنبياء

وكتاب الله وسنّة رسوله ينكران هذا الموضوع؛ ذلك انّ التشريع ارساء دعائم الدين وأُصوله من الله عزّوجلّ ومهمّة الرسل والأنبياء البلاغ وحـمل رسـالة الله وايصالها إلى البشريّة ومهما بلغ النبي والرسول من العلوّ في الشأن والقرب الالهي فليس له أن يشرّع الدين ومسؤوليّة الرسول ﷺ ابلاغ رسالة الله.

انّ النبوّة والرسالة والامامة إنّما هي اصطفاء الهي ولا يمكن للبشر أن يبلغ هذا المقام.

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[١].

وقال عزّوجلّ على لسان المسيح عيسى بن مريم:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللهَ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾[٢].

وجاء في قصّة سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام:

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴾[٣].

واذن فانّ النبوّة اصطفاء الهي وانتخاب ربّاني وليس لغيره عزّوجلّ من حق في التدخّل في أمر التشريع.

وهكذا بالنسبة للامامة إذ جاء في قصّة إبراهيم عليه السلام وبعد امتحانه من لدن الله عزّوجلّ قال سبحانه:

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾[٤].

وقوله عزّوجلّ بشأن سيّدنا إسحاق وسيّدنا يعقوب عليهما السلام:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[٥].

---

١. يوسف: الآية ٦.
٢. مريم: الآية ٣٠.
٣. مريم: الآية ٤٩.
٤. البقرة: الآية ١٢٤.
٥. الأنبياء: الآية ٧٣.

وفي ضوء هذه الآيات الكريمة؛ انّ الأنبياء والرسل والأئمّة إنّما وصلوا إلى هذا المقام الرفيع بالاصطفاء والانتخاب الالهي وهم يقومون بهداية البشر وهذه الهداية تحصل بأمر الله عزّوجلّ «يهدون بأمرنا».

وهنا يكمن الاختلاف العقائدي بين الشيعة والسنّة؛ فأهل السنّة يرون في الامامة والخلافة شأناً دنيويّاً لا ارتباط له بنظام التشريع.

يقول ابن عربي:

«وتخيّلوا (الشيعة الاماميّة) أنّ أهل البيت أولى بهذا المناصب الدنيويّة»[1].

انّ الشيعة يعتقدون بأنّ الامامة والخلافة منصب الهي كما أشارت الآيات الكريمة إلى هذا المعنى وهذا تاريخ الرسالات الالهيّة يشهد بأنّ الأنبياء وأوصيائهم كانوا جميعاً مصطفين من لدن الله عزّوجلّ، فلم نجد في هذا التاريخ الطويل ان امة من الامم وقوماً من الأقوام انتخبوا اماماً لهم أو عيّنوا من يخلف نبيّهم لمواصلة طريق النبي والرسول!

فلا مناص من الاذعان إلى هذه الحقيقة وهي ان انتخاب الامام هو سنّة الهيّة التي لا يمكن تبديلها:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[2].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[3].

ومن جهة نظر الصوفيّة والعرفاء سواء من الشيعة والسنّة انّ السنن الالهيّة لا

---

١. الفتوحات المكيّة ١/٢٨٢. ٢. الأحزاب: الآية ٦٢.
٣. الفتح: الآية ٢٣.

تجري عليهم لأن مقامهم كما هو في خيالاتهم أسمى من أن يكون انتخاباً الهيّاً أو سنّة من سننه؛ فهم يقولون ما ينسجون.

قال رسول الله ﷺ يخاطب وصيّه عليّاً عليه السلام:

«إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلّا أَنَّكَ لَسْتَ بِـنَبِيٍّ وَلَكِـنَّكَ وَزِيـرٌ وَإِنَّكَ لَـعَلَى خَيْرٍ»[١].

وقال ﷺ في مناسبة أُخرى:

«أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[٢].

الاختلاف بين مفهومي الرسول والنبي هو في تطبق النظام التشريعي والتأصيل له فالرسول يحمل رسالة الله ويؤدّي مهمّة الرسالة وبالنبوّة يتابع تطبيق هذه الرسالة الالهيّة[٣].

واذن لو كان اسناد النبوّة إلى الامام علي عليه السلام وحتّى سائر الصحابة أمراً جائزاً كما يعتقد بذلك العرفاء فان هذا المقام سيزداد إحكاماً وصلابة بعد وفاة رسول الله ﷺ وبسبب حاجة الأُمّة الاسلاميّة إلى القيادة والامامة فان رحيل النبي ﷺ لا يوجب سلب هذا المقام.

وعليه واستناداً إلى قول النبي ﷺ: «لا نبيّ بعدي» فان بطلان اسناد مقام النبوّة إلى الصحابة أمر بديهي.

قال الله عزّوجلّ:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢. بحار الأنوار ٦٨/١٢٧؛ شرح ابن الحديد ١٣/١٠٩.

٣. بحار الأنوار ١١/٣٤٠؛ علم اليقين ١/٣٦٦.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١].

قال رسول الله ﷺ في توصيف الأئمّة:

«وهم الذين قال الله أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»[٢].

ونجد في أحاديث الأئمّة الأطهار عليهم السلام الاشارة إلى معنى الآية الكريمة أعلاه بقولهم: «نحن اولئك»[٣].

وقد صرّحوا صلوات الله عليهم انّ الله عزّوجلّ اصطفاهم وأورثهم علم الكتاب.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِه فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَ طَعْمَ حَلاوَةِ إِيمَانِه لأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ».

ويقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«نَحْنُ الْخُزَّانُ لِدِينِ اللهِ وَنَحْنُ مَصَابِيحِ العِلْم... لا يَضِلُّ مَنِ اتَّبَعَنَا وَلا يَهْتَدِي مَنْ أَنْكَرَنَا»[٤].

فاذاكان الامام علي عليه السلام والأئمّة المعصومون عليهم السلام على الحق، فان الغزالي وابن عربي وأضرابهما الذين ينكرون بشكل صريح مسألة امامة أهل البيت عليهم السلام وكذا

---

١. فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.

٢. بحار الأنوار ٧/ ١١٩؛ تفسير القمي؛ تفسير فرات ٢٤٩؛ شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٧٧

٣. الكافي ١/ ٢٢٦؛ بحار الأنوار ١٧/ ١٣٣؛ بصائر الدرجات ٤٥؛ وسائل الشيعة ٢٧/ ٢٠٠.

٤. تحف العقول ١٢١؛ بحار الأنوار ١٠/ ١٠٨؛ الخصال ٢/ ٦٣٠.

من تابعهم في هذا النهج من قبيل مولانا وشاه نعمة الله ولي لا يمكن أن يكون لهم حظّ من حقائق الايمان والعرفان الاسلامي وأنّ كلّ مقولاتهم في مضمار الهداية كذب وخلاف للواقع وواضح قول الإمام علي عليه السلام: «لا يهتدي من أنكرنا».

اذكر مرّة أُخرى انّ هذه الأحاديث الشريفة هي غيض من فيض كثير في هذا المضمار.

يقول الامام موسى الكاظم عليه السلام:

«فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْرَثَنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ»[١].

اذن فالأئمّة الأطهار من آل النبي صلى الله عليه وآله هم حملة علم الكتاب وهم من اصطفاهم الله واجتباهم لهداية عباده بعد وفاة رسوله صلى الله عليه وآله ولا يوجد مقام آخر في التشريع الاسلامي غير النبوّة والامامة.

يقول الامام علي عليه السلام:

«يَا كُمَيْلُ الدِّينُ لِلهِ فَلا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ الْقِيَامَ بِهِ إِلّا رَسُولاً أَوْ نَبِيّاً أَوْ وَصِيّاً يَا كُمَيْلُ هِيَ نُبُوَّةٌ وَرِسَالَةٌ وَإِمَامَةٌ وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلّا مُوَالِينَ مُتَّبِعِينَ أَوْ عَامِهِينَ مُبْتَدِعِينَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»[٢].

فالامامة مقام ينحصر بالأئمّة المعصومين وخلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وأوصيائه انتخبهم الله عزّوجلّ لهداية عباده.

---

١. الكافي ١/٢٢٦؛ بحار الأنوار ١٧/١٣٣.

٢. بحار الأنوار ٧٤/٤١٧؛ وسائل الشيعة ١٨/١٧؛ تحف العقول ١٧٥.

«سُمِّيَ الْإِمَامُ إِمَاماً لأَنَّهُ قُدْوَةٌ لِلنَّاسِ مَنْصُوبٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ عَلَى الْعِبَادِ»[١].

و «**عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قَالَ فَقَالَ لَوْ عَلِمَ اللهُ أَنَّ اسْماً أَفْضَلُ مِنْهُ لَسَمَّانَا بِهِ**»[٢].

واذن فانّ «الامام» اسم منتخب من لدن الله عزّوجلّ سمّى به عباده الذين اصطفاهم لهداية البشريّة وبالتالي فانّه اسم توقيفي يواكبه نهي شرعي عن تسمية الغير به.

وهذه الحرمة الشرعيّة لا معنى لها لدى أهل العرفان التي تختلف مدرستهم ومنهاجهم عن مناهج جميع الأديان.

وفي الشريعة يطلق لقب الفقيه والمجتهد على المتخصّص في علوم الدين ومن بذل الجهد واجتهد في طلب العلم وتلمس الحكم الشرعي من مظانه الشرعيّة وفي ضوء الأحاديث الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام وليس لديه منصب أو مقام.

وعند ما يجري الحديث عن ولاية الفقيه في نظام التشريع فلأن ذلك يعود إلى تخصّصه في علوم الدين وبالتالي الاهتمام بشؤون الآخرين في ضوء القوانين الشرعيّة ويتّسع هذا الأمر إلى حد يكون عالم دين في محلّه ما ملزماً بالاشراف على الشؤون الدينيّة لسكان تلك المحلّة.

وينسحب هذا الالزام الشرعي على الطبيب أيضاً إذ يجب عليه الاشراف على صحّة الناس الذين يعيشون في هذه المهملة.

---

١. بحار الأنوار ٢٥/١٠٤؛ معاني الأخبار ٦٤.

٢. بحار الأنوار ٢٥/١٠٤.

وهذا الولاية للفقيه أو الطبيب وأمثالها أمر عقلي حيث يدرك الجميع ضرورته.

وعلى فانّ «القطبيّة» و«المرشديّة و«الشيخيّة» و«المراد» وأمثال ذلك من الألقاب لدى الصوفيّة هي عناوين مخترعة ومبتدعة وبالنهاية فهي خلاف الدين.

والعرفاء والصوفيّة عند ما يصلون إلى المقام الخيالي وهو الولاية العرفانيّة فانّهم يجدون أنفسهم في حل من جعل الحديث ووضع العبارات والكلمات تدفعهم إلى ذلك شدّة حبّهم للناس ومن أجل افهامهم على نحو أفضل.

ويعسر علينا هضمم هذا الموضوع وادراكه ذلك انّه يقال: هل انّ العرفاء والصوفيّة أكثر رحمة وحناناً من رسول الله ﷺ والأئمّة الأطهار من آله عليهم السلام؟!

قال الله تعالى يصف لعباده رأفة رسول الله ﷺ وحنانه المتدفّق:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١].

وهذه الخصلة موجودة لدى أوصيائه من آله الأطهار عليهم السلام فكلّ إمام في عصره هو بمنزلة الرسول ﷺ لأنّه خليفته ووصيّه.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«الْأَئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ»[٢].

ولهذا السبب قال رسول الله ﷺ:

«أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ»[٣].

---

١. التوبة: الآية ١٢٨.

٢. بحار الأنوار ١٦/٣٦٠؛ الكافي ١/٢٧٠.

٣. بحار الأنوار ٦٩/٣٤٣.

وقد أمر الجميع بحماية الأئمّة عليهم السلام:

«أَيُّهَا الْكَافِلُونَ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام»[١].

ويقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَ لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ وَقُلْ مَا تَعْلَمُ وَلا تَقُلْ مَا لا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»[٢].

وعندما يقوم الامام المعصوم ببيان المعارف القرآنيّة والعلوم الوحيانيّة فانّهم لا يحدثون من عندياتهم وإنّما ورثوه من علوم جدّهم صلى الله عليه وآله.

«إِنَّا لَوْ كُنَّا نُحَدِّثُكُمْ بِرَأْيِنَا وَهَوَانَا لَكُنَّا مِنَ الْهَالِكِينَ وَلَكِنَّا نُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثَ نَكْنِزُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمَا يَكْنِزُ هَؤُلاءِ ذَهَبَهُمْ وَوَرِقَهُمْ»[٣].

ولا يجد المرء في كلّ الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام انّهم كانوا يحدّثون من عندياتهم وإنّما ميراث من النبي صلى الله عليه وآله حيث يفتتح الامام المعصوم حديثه قائلاً حدّثني أبي عن جدّي أو سمعت أبي وثمّ يورد سلسلة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه من خصائص عصمتهم عليهم السلام.

ولهذا كانوا يحذّرون من اطلاق المقولات بدون الرجوع إليهم **«وَلا تَقُولُوا مَا لا نَقُول»**[٤]؛ **«أَمَا إِنَّهُ شَرٌّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِشَيْءٍ مَا لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنَّا»**[٥].

---

١. المصدر السابق ٢/٣.
٢. نهج البلاغة، كلام ٣١.
٣. بحار الأنوار ٢١/٢٨.
٤. بحار الأنوار ٢٥/٢٦٩.
٥. الكافي ٢/٤٠١؛ وسائل الشيعة ٢٧/٢٧٠.

فاذا كان الامام والقرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام حقّاً فان وضع المصطلحات وجعل الحديث واطلاق مصطلحات لا صلة لها بالقرآن الكريم والحديث الشريف عمل خاطئ وذنب كبير.

انّ القرآن الكريم ليس قاصراً في إيصال المفاهيم فهو من البلاغة والبيان ما حيّر بني البشر.

ولذا فانّ الحديث على نحو آخر هو بمثابة تكذيب لبلاغة القرآن ونصاحته وتكذيب لأهل البيت عليهم السلام في تبيين المعارف القرآنيّة وإذن فان مصطلحات مثل «العشق» و«الكأس» و«الخمرة» وأمثالها إنّما استعادة وتقليد لما كان عليه الغابرون وإلّا لا أثر لها في الاسلام وهي لا تعدو سوى تشويه الحقائق واقتياد الآخرين إلى متاهة فكريّة وضياع!

انّ الأصل الذي ينهض العرفان والتصوّف هو «العشق» فهل من الصواب الارتباط بموضوع ذوقي لا إسلامي؟! إذ لم ترد مفردة عشق في القرآن الكريم أبداً كما لم يرد لها ذكر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام يعني لا وجود لها في الكتاب والسنّة.

فاذا كان لهذا الايحاء أو الالقاء الشيطاني الذي شغل في قلب العارف مكان الايمان رصيداً من الحقيقة لكان من الواجب على رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه الكرام عليهم السلام أن يتطرّق إليه ويذكره ولكان يبيّنه للمسلمين؛ سيّما وأن مفردة «عشق» هي مفردة عربيّة؛ ترى هل غفل رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عنها؟!

فهل تجد لها ذكراً في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أم انّها من اختراعات المتصوّفة وذوقيّاتهم؟

ومن حقّهم ذلك ولكن لا يحقّ لهم أن ينسبوا ذوقياتهم إلى الاسلام وصاحب العقيدة فـ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[١].

انّ على الأُمّة الاسلاميّة ألّا تقول إلّا ما قاله القرآن الكريم وسنّة رسول الله وأهل بيته الكرام مثلما ان أهل البيت عليهم السلام لا يقولون ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٢].

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ**»[٣].

انّنا مأمورون بالتمسّك بالقرآن الكريم والتمسّك بأهل البيت الكرام عليهم السلام.

ولذا يتعيّن علينا ألّا نقول إلّا ما قالوا وأن نتلقى أُصول الدين وأركان العقيدة ومفاهيم القرآن الكريم عنهم عليهم السلام فهم الأُمناء على وحي الله وهم الراسخون في العلم وأهل الذكر.

ويجب على علماء الاسلام أن يأخذوا علومهم ومعارف الدين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وبيانها للناس لا أن يقصدوا ثقافات أجنبيّة قديمة ينفخون فيها روح الحياة ثمّ يقدمونها إلى الناس على انّها معارف إسلاميّة!

ونختتم الحديث عن العرفان والتصوّف بالاشارة إلى أن جميع أهل العرفان والمتصوّفة من القائلين بـ«وحدة الوجود» ومن المشتغلين بالعرفان النظري من

---

١. الكافرون: الآية ٦.
٢. النمل: الآية ٧.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

قبيل ابن عربي وملّاصدرا وحافظ والآخرين من أمثالهم أو المشتغلين بالعرفان العملي ممّن أصبحوا «أصحاب الطريقة» وبلغوا مرحلة القطبيّة من قبيل مؤلّف «رسالة رفع الشبهات» ومؤلّف كتاب «نشان از بی‌نشانها» (عنوان من ليس لهم عنوان) وغيرهم ممّن يسعون جاهدين إلى إثبات أفضليّة العرفان والأفكار العرفانيّة والصوفيّة على ما جاء به الاسلام!

انّنا ندعوهم إلى التعرّف على حقيقة العرفان والتصوّف وجذوره التاريخيّة التي تعود إلى الثقافة الفارسيّة القديمة وهذه قواميس اللغة وفي طليعتها الموسوعة اللغويّة الكبرى المعروفة بـ«دهخدا» ليلاحظ بأنفسهم ماذا تعني مفردة «صوفي» وليشاهدوا بأنفسهم هذه النزعة المتعاظمة في نفوس الصوفيّة وانتفاخ الذات التي عادة إيصاب بها الصوفي فيهتف «أن لوائي أعظم من لواء محمّد» كما فعل ذلك بايزيد البسطامي انّ الصوفيّة اذن ما انفكوا يؤكّدون بأنّ العرفان منبق من الدين الاسلامي إنّما يحاولون استغفال جماهير الأُمّة الاسلاميّة وخداعها والايقاع بها ونشر الفكر الصوفي في صفوفها حتّى إذا تمكّنوا من ذلك نادوا دون وجل: «انّ لوائي أعظم من لواء محمّد»!!

أو يقول: انّ مطالب (مواضيع) الطريقة مطالب أُخرى.

والذي يعني أفضليّة العرفان والتصوّف على الاسلام وإلى القارئ الكريم أمثلة من تصريحات الصوفيّة في هذا المضمار.

يقول مؤلّف كتاب «نشان از بی‌نشانها»:

ولأن هذا الكتاب اقتباس من أحاديث الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم

أجمعين لذا سمّيناه «نشان از بى‌نشانها»[١].

انّ عرفاء ومتصوّفة أهل السنّة يدّعون انّ قضايا العرفان منبثقة من القرآن والاسلام من أجل تمرير الفكر العرفاني في صفوف الأُمّة الاسلاميّة.

يقول ابن عربي:

«ومن الله أرجو أن أكون ممّن أيّد فتأيّد وقيّد بالشرع المطهّر المحمّدي فتقيّد وقيّد وأن يحشرنا في زمرته كما جعلنا من أُمّته»[٢].

يقول القيصري في شرح النص أعلاه:

«لسان أدب مع حضرة الرسول ﷺ لأنّه على يقين انّه ممّن أيّده الله وقيّده بالشرع المحمّدي وأتباعه».

وهكذا بالنسبة لعرفاء ومتصوّفة الشيعيّة أيضاً يحاول تمرير أفكار العرفان والتصوّف في صفوف المجتمع الشيعي من خلال الادّعاء بأن الأفكار العرفانيّة اقتباس من أهل البيت عليهم السلام وهذا ما نلاحظه في مؤلّفاتهم بينما يصرح زعيم الصوفيّة «النعمة الهيّة» ومؤسّسها الذي هو من أشاعرة أهل السنّة يقول:

«ليعلم الجميع انّ طريقة الحقير طريقة تهتمّ بكلّ مطالب الشرع وهي خلاف باقي الطرق التي لا تكترث للمطالب الشرعيّة».

وهذا الادّعاء نجده لدى مؤلّف «نشان از بى‌نشانها» الذي يؤكّد على ان جميع الطرق الصوفيّة لا تلتزم بالشريعة.

«أجل اخلاص الحقير لأهل بيت العصمة والطهارة أمن من الله أن يوفّقني

---

١. نشان از بى‌نشانها ٩.

٢. فصوص الحكم ٥٩.

للبقاء على هذا الاخلاص، ولكن مطالب الطريقة...»[١].

وفي هذا الكلام نقض لما سبقه بأن اقتبس مطالب طريقته من أهل البيت عليهم السلام ثمّ الآن يقول: انّها مطالب أُخرى.

يتظاهر الصوفي بالولاء لأهل البيت عليهم السلام ثمّ من خلال تحايله يوحي بأنّ التصوّف والعرفان أرقى من تعاليم أهل البيت وبالتالي الاسلام وإلّا ماذا يعني قوله: «ولكن مطالب الطريقة مطالب أُخرى».

ويوحي إلى المتلقّي بأن مطالب «الطريق» أو الطريقة أمر مشترك بين جميع الصوفيّين سواء التزموا بالشريعة أم لم يلتزموا فـ«مطالب الطريق» على كلّ حال هي مطالب أهل العرفان والتصوّف حيث جذورها وأساسها «وحدة الوجود».

وعندما يصل إلى هذه النقطة من مزاعمه يورد بعض النصوص على انّها روايات وأحاديث تؤيّد التصوّف من دون ذكر مصدر يوثقها ما يكشف عن كذبها وجعلها اذ يبدو بطلانها واضحاً أظهر من الشمس وبعد ذكره هذه الأحاديث الملفقة يضرب ضربته في قوله: «ان مطالب الطريق مطالب أُخرى»، وبعدها يورد بعض الأحاديث الصحيحة الموثقة إلّا انّها لا ترتبط بالتصوّف وإنّما هي أحاديث عامّة ثمّ يقول مخاطباً للقارئ:

«أيّها العزيز! انّ التصوّف طريقة كلّ الأنبياء والأولياء... انّ التصوّف الذي هو الطريق إلى الله لا يختصّ بالاسلام بل هو موجود في جميع الأديان إلّا ان صورته ظهرت كاملة في الاسلام؛ انّ التصوّف ليس سوى الشريعة»[٢].

---

١. المصدر السابق ١٢٨. ٢. المصدر نفسه ٢٣٢.

ويقع المؤلّف في تناقض واضح عندما يقول انّ التصوّف مقتبس من أهل البيت ثمّ يقول انّه شيء آخر لا يوجد في تعاليم أهل البيت.

فلا مناص من القول بأن أهل البيت لا معرفة لهم بالتصوّف ولم يكونوا من الصوفيّة واذن فهم ليسوا في زمرة أوصياء الله وليسوا من أهل الشريعة! لأن المؤلّف يقول في النص أعلاه:

١ ـ التصوّف طريقة كلّ الأنبياء والأولياء.

٢ ـ التصوّف ليس سوى الشريعة.

أو أن تكون أحاديث أهل البيت عليهم السلام غير الشريعة!

بينما الحقيقة هي ما أعلنه أهل البيت عليهم السلام في قولهم بشأن الصوفيّة: «انّهم أعداؤنا».

وهكذا يوحي القائلون بـ «وحدة الوجود» بأفضليّة العرفان والتصوّف على العلوم الوحيانيّة للاسلام وهذا أُسلوب تكتيكي يتبعه الصوفيّة في تمرير أفكارهم من خلال التظاهر بحب أهل البيت عليهم السلام والولاء لهم وهو في الحقيقة ولاء ليس له مصداقيّة ومن قريب ولا بعيد!

لنلاحظ هذا المثال:

لنفترض أنك كنت مسيحيّاً تؤمن بالأقانيم الثلاثة وتحب السيّد المسيح عليه السلام والحواريّين، ثمّ تعرفت على الاسلام وتعاليمه وأسلمت وآمنت بـ «الله» الذي عرّفه الاسلام لك ووجدت لذّة هذا الايمان.

وبسبب هذا الايمان تولّد حب خاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه وأوصيائه وهم

أهل البيت عليهم السلام ووجدت انّ المواضيع التي يعرضها الاسلام شيئاً آخر.

أفلا يزول حبّك للمسيحيّة وللأقاليم الثلاثة ويحلّ في قلبك حبّ أهل البيت عليهم السلام؟!

ان نظرتك للسيّد المسيح تبقى في اطار الاحترام لأنّه رسول الهي يصدّقه الاسلام أما علاقتك بالأقانيم الثلاثة فسوف تتغيّر تماماً سوف يحلّ النفور محلّ الحب لأنّها في ضوء الاسلام من مظاهر الشرك.

فهل من الممكن لشخص اعتنق الاسلام أن يبقى حبّه للأنبياء السابقين كحبّه الذي ظهر ازاء أهل البيت عليهم السلام؟

ان حالة هكذا شخص لدى المسيحيّين إذا ما أظهر حبّه للحواريّين، أفلا يكون هذا الحب كاذباً؟!

فهو إمّا أن يكون كاذباً في اعتناقه للاسلام وتعرفه على تعاليمه أو يكون كاذباً في حبّه لرموز الدين المسيحي!

وعليه فان كذب مؤلّف «نشان از بى‌نشانها» يكون أحد الموردين أدناه:

١ ـ اما في اعلانه حبّ أهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ أو في ادّعائه بأن: «مطالب الطريق مطلب آخر» (موضوع الطريق أو الطريقة موضوع آخر).

ولكن عند ما نلاحظ ان جهده يتركّز على اثبات الموضوع الثاني ندرك كذب الموضوع الأوّل وهو ادّعائه حب أهل البيت عليهم السلام ولكن لماذا هذا التظاهر بحب أهل البيت عليهم السلام ولماذا يصرّون على انّ التصوّف منبثق من الاسلام؟!

الجواب انّهم يحاولون توظيف هذه الرموز واستخدامها كمادّة مخدّرة من أجل حقن الابرة دون ايجاد ردود فعل حسّاسة.

كيف يمكن حقن والأفكار اللااسلاميّة على انّها إسلاميّة؟ في البداية تخدير الذهنيّة العامّة ازاء القضايا الخلافيّة وذلك من خلال رفع لافتة الاسلام وأهل البيت.

انّ نجاسة القائلين بـ «وحدة الوجود» وهم المتصوّفة أمر يجمع عليه فقهاء الشيعة[١].

فعلى سبيل المثال يمكن مراجعة الرسائل العمليّة لبعض الفقهاء المعاصرين والذين ما يزالون على قيد الحياة تجد الفتوى في ذلك واضحة وصريحة[٢].

ماذا تعني نجاسة القائل بـ «وحدة الوجود»؟ بكلّ بساطة تعني انّه مشرك وغير مسلم.

لماذا الوجود الله ؟!

السؤال المطروح أمام صاحب رسالة رفع الشبهات هو من أين لكم وللصوفيّة وأهل العرفان القول بأن «الوجود» الله وكيف توصلتم إلى هذه المقولة.

«ان الوجود ينقسم إلى واجب وممكن؛ مجرّد ومادي؛ جوهر وعرض»[٣].

---

١. انظر الصفحة ١٦١ من الكتاب.

٢. الرسالة العمليّة لآية الله ناصر مكارم الشيرازي ص ٢٤.

٣. مجلة انديشه حوزه (فكر الحوزة) عدد خاص حول المدرسة التفكيكيّة ص ١١٥.

هل دلّكم القرآن الكريم وأحاديث أهل بيت الكرام إلى هذا الأمر ؟! مستحيل !!

ذلك انّه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنّة حديث عن ذلك الخالق وماهيّته، بل انّ نداء أهل البيت عليهم السلام هو استحالة معرفة كنه الخالق.

وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِلّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِك»[١].

و **«يا مَنْ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلّا هُوَ يا مَنْ لا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلّا هُوَ»**[٢].

واذن فان معرفة ذات الخالق تبارك وتعالى وماهيته ليس تنحصر به عزّوجلّ حتّى الرسل والأنبياء والأوصياء عاجزون عن ذلك.

ولهذا فان معرفة الخالق ليست اكتسابيّة فالجميع يعرفه سبحانه بقدر ما من المعرفة وهذه المعرفة ليست معرفة للذات والماهيّة.

«أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتِ الْأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ، وَعَجَزَتِ الْأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ»[٣].

و **«يا مَنْ لا تُدْرِكُ الْأَفْهَامُ جَلالَهُ يا مَنْ لا تَنَالُ الْأَوْهَامُ كُنْهَهُ»**[٤].

و **«يا مَنْ هُوَ مَوْصُوفٌ بِلا شَبِيهٍ»**[٥].

واذن لا شبيه له سبحانه لأن: «الشبه يقال فيما يشارك فيه الكيفيّة فقط»[٦].

«يا مَنْ لا شَرِيكَ لَهُ وَلا وَزِيرَ، يا مَنْ لا شَبِيهَ لَهُ وَلا نَظِيرَ»[٧].

فاذا وجود المخلوقات من وجود ذات الخالق كما يقول أهل العرفان والصوفيّة

١. بحار الأنوار ١١ ١٥٠.
٢. دعاء الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.
٣. الصحيفة السجاديّة ٤٧ دعاء يوم عرفة.
٤. دعاء الجوشن الكبير ٥٦.
٥. المصدر السابق.
٦. مجمع البحرين، مفردة «ند».
٧. دعاء الجوشن الكبير ٨٠.

فان هذا يقتضي:

١ ـ وجود شبيه لله وقد نفى أهل البيت عليهم السلام ذلك.

٢ ـ كلّ الأشياء مع ذات الخالق في الوجود وهو شرك محض لأنّه الخالق «وحده لا شريك له»

«**مُبَايِنٌ لِجَمِيعِ مَا أَحْدَثَ فِي الصِّفَاتِ**»[١].

واذن فان توصيف المخلوقات بأيّة صفة فان صفة الخالق خلاف تلك الصفة وضدّها بالرغم من التشابه به في الألفاظ.

فلا مناص فان وجود الخالق وعلمه وقدرته و... خلاف وجود المخلوقات وعلمها وقدرتها بالرغم من تشابه الألفاظ والمصطلحات.

واذن فان توصيف الباري تبارك وتعالى بالموجود والعالم والسميع والبصير والقدير هو خلاف وجود مع المخلوقات ومن الانسان وخلاف علمه وسمعه وبصره وقدرته.

ولهذا فانّه لا يمكن لأيّ مخلوق أن يكون لله شريكاً في صفة من صفات الكمال حتّى في الوجود.

وهذا معنى «وحده لا شريك له».

و «**وَلا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلا يُقَاسُ بِالنَّاسِ**»[٢].

وعليه فان معرفة ذات الباري عزّوجلّ في ضوء العلوم الوحيانيّة الاسلاميّة

---

١. بحار الأنوار ٤/ ٢٢٢؛ عيون أخبار الرضا ٢/ ١١١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

محال، بل ان مجرّد التفكير في ذات الله تبارك وتعالى يفضي بالمرء إلى الابتعاد عن الاسلام والمروق منه والالتحاق بالزنادقة حيث الزندقة تعني الديانة الفارسيّة القديمة وقد جاء في الأحاديث الشريفة:

«مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ تَزَنْدَقَ»[١].

«مَنْ فَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ تَزَنْدَقَ»[٢].

وكنّا قد أشرنا إلى ان التعاليم الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكّد القوّة على انّه لا يوجد طريق لمعرفة ذات الباري جلّ وعلا وأنّ الله عزّوجلّ جعل معرفته في العجز عن معرفته.

وهذا هو القرآن الكريم وتعاليم أهل بيت حملة علوم القرآن والراسخون في العلم، انّك لن تجد أبداً ولو اشارة إلى ذات الخالق وماهيّته، فارجع البصر هل ترىٰ من ذلك أثراً، ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير.

ان ما قول أهل العرفان والتصوّف من أن «الوجود هو الله» أو «الله هو الوحيد» ليس له أثر لا في الكتاب ولا في السنّة وهذا ملّا صدرا المتبحّر في الآيات والروايات لم يجد شيئاً من ذلك فاستند إلى مقولات بعض عرفاء فارس يقول في أسفاره: «وممّن اطلق لفظ الوجود وأراد به الواجب تعالى الشيخ العطّار في أشعاره الفارسيّة حيث قال:

ذلك الله الذي هو ذات الوجود

جملة الأشياء مصحف آياته

---

١. غرر الحكم ٨١.

٢. بحار الأنوار ٢٨٦/٧٤؛ الكافي ٢٢/٨.

وقال الفردوسي القدوسي في ديباجة كتابه:

ان العالم بمرتفعاته وهضابه

لا أعلم ما هو إلّا انك كلّ الوجود

وقال العارف القيومي مولانا جلال الدين الرومي في مثنويه:

نحن إلّا عدم لنا وجه وجود

أنت الوجود المطلق لوجودنا[١]

ومن المدهش حقّاً انّ المرحوم ملّا صدرا ذكر في ديباجة كتابه «الأسفار الأربعة»[٢] الرسول الأكرم ﷺ الشريف وعدّه المصدر الوحيد للعلوم الوحيانيّة والعلوم الدينيّة استناداً إلى قوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣].

فكيف جعل اقترض من الأغيار مرتكزات ومباني اعتقاداته وانتهج طريقاً مغايراً لما حدّدته الآية الكريمة أعلاه؟!

انّ قوله تعالى الآنفة الذكر يحدّد بوضوح المصدر الوحيد للعلوم الدينيّة والالهيّات، ألا يضع هذا المنهج علامة سؤال واستفهام على مصداقيّة التشيّع لديه؟!

يقول الامام الصادق عليه السلام:

---

١. الأسفار الأربعة ٢/ ٣٣٤.
٢. المصدر السابق ١/ ١١.
٣. الحشر: الآية ٧.

«كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا»[١].

وهكذا نرى ملّاصدرا يستند في انّ «الوجود؛ الله» أو الله هو الوجود إلى مقولة أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن طريقهم مغاير لطريق أهل البيت عليهم السلام.

لا يشكّ أحد بالشخصيّات الثقافيّة التي استند إليها ملّاصدرا في إثبات مقولة: «الوجود هو الله» ولكن السؤال في مصداقيّة هذه المقولة وتطابقها مع تعاليم الاسلام الحنيف.

انّ المسلك الصوفي لكلّ من الشيخ العطّار ومولانا والفردوسي أمر يقيني ما يثير التساؤل هنا انّ ملّاصدرا الذي يعلن ولاءه وحبّه لأهل البيت عليهم السلام يتمسّك بأشخاص هم أعداء لأهل البيت عليهم السلام وبالتالي فهم أعداء لشيعتهم هذا العداء الذي يقول مولانا انّه أزلي يعود إلى زمن «ألست»[٢] في قوله:

وعداء ذلك الفؤاد من يوم «ألست»

سبزواري الطبع ميراث قديم[٣].

---

١. بحار الأنوار ٢٧/١١٧؛ وسائل الشيعة ١٧/٨٤؛ الفصول المهمّة ٢٢٥.

٢. في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الأعراف: الآية ١٧٢ ـ المترجم.

٣. المثنوي لمولانا ٥/٨٦٢.

وسبزوار مدينة ميراثيّة تقطنها غالبيّة شيعيّة وقد تغنى مولانا بمحاصرتها من قبل خوارزم شاه السلطان السني وعند ما طلبوا منه العفو طالبهم باحضار شخص اسمه أبوبكر أو غمر؛ فاسقط في أيديهم وكانت العاقبة استباحة جيشه للسكان الأبرياء.

هذا السلطان و (الليث الهصور) تحول إلى جرذ أمام زحف «هلاكو» المغولي واطلق ساقيه للريح وصدق من قال: أسد عليّ وفي الحروب نعامة هكذا نرى وابطال «داعش يديرون ظهورهم لفلسطين وليعيشو في العراق فساداً ويقطعون رؤوس الأطفال ـ المترجم.

هذا العداء المتأصل في نفوس الصوفيّة أفصح عنه مولانا بوضوح وقد صرّح أئمّة الهدى من آل رسول الله ﷺ: «انّهم أعداؤنا» عداء لن يزول إلّا بزوال التصوّف عن قلب الانسان هو أمر بعيد المنال.

وهكذا فان ادّعاء حب أهل البيت عليه وادّعاء الصوفيّة التشيّع هو ادّعاء كاذب ليس له حقيقة وإنّما لذر الرماد في العيون وتمرير الأفكار الصوفيّة لابن عربي والتمهيد لنفوذها في قلوب الايرانيّين الشيعة وإلّا فان ابن عربي يعد من ألد أعداء أهل البيت عليهم السلام بالاصالة ومن ألد أعداء الشيعة بالتبع.

أما هؤلاء الذين يتظاهرون بحب آل الرسول ﷺ فهم إنّما يفعلون ذلك لتمرير الأفكار الصوفيّة وتمهيد الأرضيّة في قلوب الشيعة وكيف يجتمع حب آل النبي ﷺ وانتهاج طريق أعدائهم في قلب الانسان؟!

«كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا»[١].

«كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا»[٢].

وانّها لمفارقة مثيرة أن ينتهل المسلم أفكاره من ثقافات قديمة أكل الدهر عليها وشرب وينتهج طريق التصوّف والعرفان فيبحث في كنه الخالق ويفكّر في ماهيّته وذاته ويعرّفه بأنّه الوجود المطلق ويقسم الوجود إلى واجب وممكن ومجرّد ومادي وجوهر وعرض وانّ الوجود أمر مشترك بين الخالق ومخلوقاته ثمّ بعد كلّ هذا يزعم ان استقى أفكاره من الاسلام وأهل البيت عليهم السلام! وما هي إلّا أفكار اليونان وزنادقة الفرس حيث الـ«زندقة» كلمة معرّبة «زند كيش» و«زنديق»

---

١. بحار الأنوار ٢٧/١١٧؛ وسائل الشيعة ١٧/٨٤؛ الفصول المهمّة ٢٢٥.

٢. بحار الأنوار ٣/٨٣؛ معاني الأخبار ٣٩٩.

تعني في الأصل «زند كيش» وكانت هذه الديانة والثقافة هي السائدة في إيران عصور قديمة سبقت الثقافة اليونانيّة في عصر الاغريق.

ثمّ جاء هجوم العرب على إيران وافتتحها تحت غطاء إسلامي وقد تربّع على كرسي الخلافة الاسلاميّة أناس تنقصهم الثقافة الاسلاميّة، ثمّ ساءت الأُمور فيما بعد ليتربّع على عرش الخلافة الاسلاميّة الامويّون أعداء الاسلام القدامى وبدأت الدسائس والمؤامرات تحاك ضدّ الاسلام في الخفاء فكان مشروع احياء الثقافات القديمة لفارس واليونان بهدف مواجة ثقافة الاسلام كلّ ذلك من أجل تعزيز نفوذ خلفاء الجور وتدعيم مراكز السلطة ولبرز الصوفيّون كقوى روحيّة لمعاضدة الحكّام والخلفاء من خلال سياسة التجهيل وتنفير الناس عن طلب العلم والانصراف عن تعاليم الاسلام الحقيقيّة المتمثّلة في الراسخين في العلم وأهل الذكر وحملة علوم القرآن وآل رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار؛ فبدأت أمواج الترجمة من تلك الثقافات ونفذ الفكر الصوفي[١] في صفوف الأُمّة يقول بايزيد البسطامي:

«التصوّف صفة الحق ألبسها العبد... ولا يزال العبد عارفاً مادام جاهلاً فاذا زال جهله زالت معرفته»[٢].

وكذا قوله: «من هو بالحق عارف جاهل؟ ومن هو جاهل بالحق عارف»[٣].

وقيل له: لمن يتسنّى الوصول إلى الحق؟

فقال: بالعمى والصمم والبكم[٤].

---

١. قاموس دهخدا ـ مفردة صوفي.
٢. كشكول الشيخ البهائي.
٣. تذكرة الأولياء ١٥٥.
٤. المصدر السابق ١٥٧.

وقوله أيضاً: «العلم غدر، والمعرفة مكر، والمشاهدة حجاب، فمتى تريد أن تجد ما تطلب»[١].

وأيضاً قولهم: «فما هو ذكرى لمن له عقل (أي انّ القرآن ليس ذكرىٰ لمن يريد أن يدرك الأشياء بالعقل»[٢].

وجاء في أشعار شاه نعمة الله ولي:

مادام عندي خبر منك

فليس عني عنك من خبر

فالفكر المعرفة حجاب على الناس يحول دون معرفتهم الله عزّوجل وما أكثر هذه النصوص بهذا المعنى! ومن المؤسف أن تستمرّ المؤامرة في احياء الزندقة التي تمثل الموروث الديني الفارسي الضارب في القدم ويستمرّ التآمر على اطفاء نور القرآن الكريم بتعاليمه السماويّة المشرقة.

ولكي تدرك مدى نفوذ الثقافة الفارسيّة أو الزندقة يكفي أن نتأمّل في خطبة للسيّد قمشائي التي ألقاها قبل خطبة الجمعة في جامعة طهران إذ جاء فيها:

«انّ قضايا العرفان المطروحة في كتب ابن عربي هي ذاتها الثقافة الايرانيّة الأصيلة».

جدير ذكره ان قمشائي هو من أهل العرفان.

وفي هذا ما يدلّ على نفوذ الثقافة الايرانيّة الفارسيّة في بلاد الاندلس في ضوء العلوم الوحيانيّة انّ الله لا يدرك أبداً وليس له شبيه على الاطلاق.

---

١. المصدر نفسه ١٥٦.

٢. المصدر السابق ٢٧٩.

١ ـ القرآن الكريم:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١].

٢ ـ الأحاديث الشريفة:

قال الامام علي عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلا يُحْصِي نِعَمَهُ الْعَادُّونَ وَلا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ»[٢].

وقال عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ وَلا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ وَلا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَلا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ وَلا يُحَدُّ بِأَيْنٍ وَلا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلا يَخْلُقُ بِعِلاجٍ وَلا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلا يُقَاسُ بِالنَّاسِ»[٣].

وقال عليه السلام:

«وَاللهُ أَكْبَرُ الْمُتَجَلِّلُ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ الْمُطَّلِعُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِ الْخَلائِقِ أَجْمَعِينَ، فَلَيْسَتِ الْأَبْصَارُ بِمُدْرِكَةٍ لَكَ وَلا الْأَوْهَامُ وَاقِعَةٍ عَلَيْكَ وَلَيْسَ لَكَ شَرِيكٌ وَلا نِدٌّ وَلا عَدِيلٌ وَلا شَبِيهٌ وَلا نَظِيرٌ»[٤].

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِيقِ حِينَ سَأَلَهُ مَا هُوَ قَالَ هُوَ شَيْءٌ بِخِلافِ الْأَشْيَاءِ ارْجِعْ بِقَوْلِي إِلَى إِثْبَاتِ مَعْنًى وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ لا جِسْمٌ وَلا صُورَةٌ وَلا يُحَسُّ وَلا يُجَسُّ

---

١. الأنعام: الآية ١٠٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٠.

٣. المصدر السابق، الخطبة ١٨٢.

٤. بحار الأنوار ٨٧/١٩٣.

وَ لا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ لا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَلا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ وَلا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَان»[١].

واذن واستناداً إلى العلوم الوحيانيّة الاسلاميّة في الكتاب والسنّة لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال إدراك الذات المقدّسة[٢].

في حين نجد تصوّف ابن عربي يقول بامكانيّة إدراك الذات الالهيّة يقول:

فكلّ ما تدركه فهو وجود الحق في اعيان الممكنات فالعالم متوهم ما له من وجود حقيقي وهذا معنى الخيال»[٣].

ويقول أيضاً: «ما أدرك شيئاً من الأشياء بأيّ إدراك كان، فقد أدرك الباري»[٤].

وهذا ما يتناقض تماماً مع تعاليم الاسلام.

يقول الامام علي عليه السلام:

«**كلّ ما تُصُوِّرَ فَهُوَ بِخلافِه**»[٥].

بينما يقول ملّا صدرا والغزالي بخلاف ذلك:

«كلّ ما يتصوّر المتصوّر فهو عينه لا غيره»[٦].

ولو كان أهل العرفان والتصوّف على حق في ان الوجود هو الله، لكان على

---

١. بحار الأنوار ٣/ ٢٩؛ التوحيد ٢٤٣؛ الكافي ١/ ٨٣.

٢. قال الامام الصادق عليه السلام: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر» «ومن وصفه بالمكان فهو كافر» وسائل الشيعة ٢٨/ ٣٩٩ ـ المترجم.

٣. فصول الحكم ٢٣٤.

٤. الأسفار الأربعة ١/ ١١٧.

٥. الاحتجاج ١/ ١٩٨؛ بحار الأنوار ٤/ ٢٥٣.

٦. الأسفار الأربعة ٧/ ١٨١.

سيّدنا موسى بن عمران لما سأله فرعون: «وما ربّ العالمين؟» أن يقول له الوجود!

وهكذا بالنسبة للزنديق لمّا سأل الامام الصادق عليه السلام: «الزنديق حين سأله ما هو؟» لكان عليها أن يجيبا السائلين عن ماهيّة الله أن يتولّا انّه الوجود!

لأن موسى عليه السلام قال كما جاء في الكريم:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُوقِنِينَ ﴾[1].

مسقط رأس ابن عربي

وإذا ما أخذنا مساحة اقليم خراسان المترامية الأطراف آنذاك ندرك مدى اتّساع رقعة التصوّف والعرفان ومدى شيوع وانتشار هذه الثقافة ونفوذها.

وما حصل بعد بدء موجات الترجمة هو تعريب المصطحات فقط لتأخذ لوناً إسلاميّاً في الظاهر فقط! إضافة إلى شعوب البلاد المفتوحة كانت تتطلّع إلى ثقافة الاسلام فاذا بها تتلقّى أفكار المتصوّف القديمة بحلّة جديدة وهذه حقيقة اعترف بها أهل العرفان والمتصوّفة أنفسهم.

«انّ المراد من الوحدة هي الوحدة السنخيّة لا الوحدة الشخصيّة... ويقول الحكماء الالهيّون في كتبهم باشتراك الوجود المعنوي وأيضاً بالوحدة السنخيّة للوجود والمشهور ان طريقة الفهلويين من حكماء العجم بهذا المعنى ولا يبعد هذا

---

١. الشعراء: الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

المعنى عن القبول ولا ينافي أمراً أيضاً، بل انّه باعتقاد أكثر المحقّقين انّه بدون هذا المعنى لا يمكن صدور المعلول عن العلّة»[١].

وهكذا: «ان المنقول عن حكماء الفهلويّين والمعروف بعد صدرالمتألّهين هو ان حقيقة الوجود في جميع مراحل الوجودالمختلفة حقيقة واحدة»[٢].

فمن هم الحكماء الفهلويون العجم؟

انّفلاسفة الـ«زندكيشيّة» (الزندقة) في إيران أو بلاد فارس كما كانت تعرف قديماً.

انّ التناقض الموجود بين العلوم الوحيانيّة للاسلام وقضايا التصوّف والعرفان المطروحة هي أفضل شاهد على زندقة التصوّف ولا اسلاميّته؛ فعلى سبيل المثال:

قال الامام الصادق عليه السلام: «هو شيء بخلاف الأشياء».

لكان عليها أن يقولا: انّه هو الوجود!

انّ الاسلام

الدين الاسلامي لا يوجد لله ندّ ولا شبيه وينكر ويستنكر أن يكون لله نظيراً أو شبيهاً انّه وحده لا شريك له إلّا انّ الصوفي يقول بالنديّة لله والشبه».

«الند يقال فيما شارك في الجوهريّة فقط؛ والشبه يقال فيما يشارك في الكيفيّة فقط»[٣].

١. الوحدة من وجهة نظر العارف والحكيم.

٢. معرفة الوجود في مدرسة صدر المتألّهين ١٣٨.

٣. مجمع البحرين ـ ندّ.

الصوفيّة وجعل الحديث

يسوغ الصوفيّة لأنفسهم جعل الحديث والتلاعب في مفردات النص زيادة ونقصاناً ويبدو انّهم أتقنوا هذا النص لاحظ هذه الرواية:

ـ ذكروا في حالات الامام الصادق عليه السلام انّه كان يردّد في صلاته «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» حتّى خرّ مغشيّاً عليه فسئل عن ذلك فقال: لازلت أكرّرها حتّى سمعت من قائلها.

أمّا النصّ الأصلي للرواية:

«وروي انّه كان يصلّي في بعض الأيّام فخرّ مغشيّاً عليه في أثناء الصلاة فسئل بعدها عن سبب غشيته فقال: مازالت أردّد هذه الآية حتّى سمعت من قائلها»[١].

وهذه الرواية من الآحاد وردت في مصدر واحد[٢].

كما أوردها الغزالي في احياء العلوم على هذا النحو:

«وقد نقل عن جعفر الصادق أيضاً انّه خرّ مغشيّاً عليه وهو في الصلاة؛ فسئل عن ذلك فقال: مازلت اردّد الآية حتّى سمعتها من المتكلّم بها»[٣].

ونلاحظ في كلا النصّين عدم وجود نصّ الآية «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» وإنّما هي من اضافات الناقل والحال انّه يقتضي أن يكون أميناً في النقل.

فلماذا هذه الاضافة؟

جاء في ذيل الرواية في نفس كتاب «مفتاح الفلاح» ما يلي:

---

١. نشان از بى‌نشانها.
٢. مفتاح الفلاح ٣٧٢.
٣. احياء العلوم ٥ / ٥٣.

قال بعض العارفين عن لسان جعفر الصادق عليه السلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور عند قوله: «إنّي أنا الله» وما أحسن قول الشيخ الشبستري بالفارسيّة نظماً:

روا باشد أنا الله از درختی

چرا نبود روا از نیک‌بختی

كان كشجرة الطور في قوله أنا الله ولما لا يكون سعيد الطالع.

واذن فانّ السبب في هذه الاضافة هو تمرير وحدة الوجود بين الخالق والمخلوق وهذه هي عقيدة الناقل.

وقد ورد في كتاب الذريعة في تعريف كتاب «مفتاح الفلاح» يقول بعد الاشارة إلى شعر الشبستري:

«فأجيب في هامش السنخة بان ايجاد الكلام في الشجر لافساد فيه، واما ايجاده في البشر محض الفساد تعالى شأنه عن ذلك»[1].

أورد الكتاب المذكور حديثاً لأحد المعصومين من دون ذكر السند ثمّ يدسّ بين العبارة عبارة ملفقة، فبعد أن يورد هذه العبارة:

«وانقاد كلّ شيء لعظمتك» و«كلّ دابة هو آخذ بناصيتها» وبعدها يدسّ هذه العبارة الغريبة: «لا شيء إلّا الله» ثمّ يورد عبارة «واستسلم كلّ شيء لقدرتك»[2].

ـ وهذا مثال آخر إذ يورد الكتاب هذه الرواية: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال:

---

١. الذريعة ٢١ / ٣٤٠.

٢. نشان از بی‌نشانها ٢٤٥.

قال الله تعالى إذا علمت أنّ الغالب على قلب عبدي الاشتغال بي جعلت شهوت عبدي في مسالتي ومناجاتي فاذا كان عبدي كذلك عشقني عبدي وعشتقه فاذا كان عبدي كذلك فاراد أن يسهو عنّي حلت بينه وبين سهوه عنّي، اولئك أوليائي حقّاً اولئك الأبطال اولئك الذين اذا أردت أهل الأرض بعقوبة زويتها عنهم لأجلهم[١]

بينما النصّ الأصلي الوارد في بحار الأنوار كما يلي:

«قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ إِذَا عَلِمْتُ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى عَبْدِيَ الاشْتِغَالَ بِي نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِي مَسْأَلَتِي وَمُنَاجَاتِي فَإِذَا كَانَ عَبْدِي كَذَلِكَ فَأَرَادَ أَنْ يَسْهُوَ حُلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَسْهُوَ أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً أُولَئِكَ الْأَبْطَالُ حَقّاً أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُهْلِكَ أَهْلَ الْأَرْضِ عُقُوبَةً زَوَيْتُهَا عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ أُولَئِكَ الْأَبْطَالِ»[٢].

لاحظ كيف يدسّ مفردات الصوفيّة في قلب الرواية: «عشقني عبدي وعشقته»).

لاحظ كيف يسوغ الصوفي لنفسه أن يدسّ في نصّ الرواية ثقافة صوفيّة؟! ليراجع القارئ الكريم بنفسه كتاب بحار الأنوار حتّى يرى كيف يصاب البعض بالعمى الحقيقي. ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَىٰ ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٣].

فكيف سوّلت للصوفي دسّ عبارات تنتمي إلى ثقافة غريبة في نص ينتمي إلى ثقافة الاسلام؟!

---

١. نشان از بی‌نشان‌ها ٢٤٥. ٢. نشان از بی‌نشانها ٢٢٢.

٣. الحج: الآية ٤٦.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[١].

وان هذا لتهديد الهي بالويل والعذاب والعقاب الأليم لمن يحرّفون الكلم عن مواضعه.

نموذج آخر:

قال علي عليه السلام:

«الصوفي من لبس الصوف على الصفى وسلك طريق المصطفى ورفض الدنيا خلف القفاء ويستوى عنده الذهب والحجر والفضّة والمدر وإلّا فالكلب الكوفي خير من ألف صوفي».

وواضح من خلال هذا النص انّه مزوّر وإلّا فأين هو المصدر الذي أخذ منه ناقل الرواية المزعومة؟! وهذه كتب الحديث لدى الشيعة لا تجد لهذه الرواية من أثر بل ان مصطلح الصوفي لم يكن متداولاً أساساً في زمن الامام علي عليه السلام.

«وما هو مسلم به انّه في صدر الاسلام وعلى الأقل في القرن الهجري الأوّل لم يكن ثمّة وجود خارجي لجماعة تعرف بـ«العارف» و«الصوفي» بين المسلمين وقد ظهر اسم «الصوفي» في القرن الثاني للهجرة»[٢].

وجاء في موسوعة دهخدا للغلة والاعلام:

«لم يكن يوجد جماعة باسم العارف والصوفي بين المسلمين في القرن الأوّل الهجري»[٣].

---

١. البقرة: الآية ٧٩.

٢. نبذة عن العلوم الاسلاميّة مرتضى مطهّري ٩٥.

٣. موسوعة دهخدا ـ مفردة صوفي.

وهذا نموذج آخر أيضاً:

«خلق الله الانسان على صورته وألقى إليه هويته»[١].

وهذه الرواية لم يذكر لها سند ممّا يدلّ على جعلها وتزويرها.

ولقد استنكر القرآن الكريم بشدّة هكذا الأفكار والمقولات.

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[٣].

﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ ﴾[٤].

وقد جاء في معاجم اللغة:

«ندّ: نديد الشيء مشاركة في جوهره»[٥].

«الند: يقال فيما يشارك في الجوهريّة فقط»[٦].

ان الاستنكار القرآني واضح وصريح الانداد لله عزّوجلّ ومع ذلك فان من معتقدات الصوفيّة مشاركة الذات المقدّسة للمخالف عزّوجلّ في الجوهريّة مع مخلوقاته لأن وجود المخلوقات هو ذاته من وجود الخالق.

وعندما يكون الخالق والمخلوق من جوهر واحد فانه من المحتم أن يكون شريكاً للخالق في جميع صفات الكمال!!

---

١. نشان از بى‌نشانها ١٦٢.

٢. البقرة: الآية ٢٢.

٣. إبراهيم: الآية ٣٠.

٤. الزمر: الآية ٨.

٥. مفردات راغب، ند.

٦. مجمع البحرين، ند.

أمّا العلوم الوحيانيّة فعلى النقيض من هذه الأفكار فقد جاء في الروايات:

«قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام سَأَلْتُهُ عَنْ آدَمَ هَلْ كَانَ فِيهِ مِنْ جَوْهَرِيَّةِ الرَّبِّ شَيْءٌ فَكَتَبَ إِلَيَّ جَوَابَ كِتَابِي لَيْسَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ زِنْدِيقٌ»[١].

لاحظ لهجة الجواب انّها تتضمّن استنكاراً واضحاً لأصل السؤال اضافة إلى الاشارة الواضحة بأن نشأ هذه الأفكار يعود إلى الزندقة أو الديانة الوثنيّة السائدة في بلاد فارس قبل ظهور الاسلام وهذا دليل آخر يؤكّد أنّ منشأ التصوّف والعرفان يعود إلى تلك الثقافة القديمة.

يقول أحد رجالات العرفان ينقل بزعمه عن كتاب الكافي:

«في الكافي: لنا حالات مع الله نحن هو هو نحن»[٢].

وأمّا ما ورد في كتب متصوّفة أهل السنّة فهذه أمثلة أُخرى ونماذج هكذا قال النبي انّني مثل السفينة في طوفان الزمن أنا وأصحابي كسفينة نوح كلّ من يركب فيها يجد الفتوح»[٣].

وحديث السفينة حديث مشهور متّفق عليه لدى الفريقين وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَثَلُ أَهْلُ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»[٤].

---

١. بحار الأنوار ٣/٢٩٢.
٢. الوحدة من وجهة نظر العارف والحكيم ٤٥.
٣. المثنوي، جلال‌الدين مولانا ٦/٦٥٢.
٤. شرح ابن أبي الحديد الشافعي ١/٢١٨؛ تاريخ بغداد ١٢/٩١؛ المستدرك ١/١٥٣؛ الغدير ٣/٨١.

لكن مولانا عمد إلى حذف مفردة أهل البيت عليهم السلام ليضع مكانها أصحاب النبي.

في رحلتي لأداء عمرة الحج والتشرّف بزيارة بيت الله الحرام ولدى اقامتنا في مدينة مكّة قال عالم الدين المسؤول عن قافلتنا وضمن بعض توصياته:

ـ بعد التشهّد والتسليم والفراغ من الصلاة اهتفوا بالتكبير بصوت مسموع!

لا أدري كيف أشيع عن الشيعة انّهم بعد الفراغ من الصلاة يقولون: خان الأمين، خان الأمين، خان الأمين!

همست في اذنه: أتدري من أشاع هذا عنّا؟!

فقال: لا!

قلت: هذا من افتراءات محي الدين ابن عربي، فقد ذكر في فتوحاته المكيّة: «ما كان من بعث الأمين أميناً»[1].

وقد فوجئ الرجل ذلك ان ابن عربي اسم كبير لامع في أذهان الرأي العام!!

أجل هكذا كان وما يزال مسلسل اضطهاد أهل البيت عليهم السلام وقهرهم وما يزال مسلسل غربتهم مستمرّاً حتّى بعد رحيلهم عن هذه الدنيا بل اتّخذ أساليب ذكيّة يرى بعضهم يرفع راية الولاء لأهل البيت ثمّ يدسّ السموم في نصوصهم ومع ذلك ترسم لهم صور مشرقة في ضمير الرأي العالم لأن هناك من يدافع عنهم قائلاً:

«إيّاك أن تسوء الظن بهؤلاء المؤمنين فانّهم من خلّص شيعة علي بن أبي طالب».

وإذا بالـ «مثنوي» يصبح كتاباً مقدّساً يقدّم إلى جماهير الأُمّة وبخاصّة جيل

---

١. الفتوحات المكيّة ١ / ٢٨٢.

الشباب وكان أحدهم يحاضر حول مولانا جلال الدين فتساءل أحدهم قائلاً لماذا لا تبدأ قصص المثنوي بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» فأجاب المحاضر: لأن مثنوي مولانا هو القرآن!!

فهل يمكن للشيعي أن ينتهج نفس منهج عدو الشيعة ثمّ نقول انّهما يسيران على صراط واحد؟!

هذا هو السبب في عدم القيام بفضح عداء المتصوّفة لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من أجل هذا أعلن أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة فقالوا: انّهم أعداؤنا وان التضامن معهم كالتضامن مع يزيد ومعاوية وأبي سفيان وأنّ الاجتماع بهم وزيارة قبورهم بمثابة اللقاء مع الشياطين.

وفيما يلي افتراءات ابن عربي ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام:

«ولعلموا أنّ الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلّم منه وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولاسيّما في الاماميّة منهم فدخلت عليهم شياطين الجنّ أولا بحبّ أهل البيت واستفراغ الحبّ فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله وكذلك هو لو وقفوا ولا يزيدون عليه إلّا انّهم تعدّوا من حبّ أهل البيت إلى طريقين، منهم من تعدّى إلى بغض الصحابة وسبّهم حيث لم يقدّموهم وتخيّلوا أنّ أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيويّة فكان منهم قد عرف واستفاض وطائفة زادت إلى سبّ الصحابة القدح في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي جبرئيل عليه السلام وفي الله جلّ جلاله حيث لم ينصّوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة للناس حتّى أنشد بعضهم:

«ما كان من بُعِثَ الأمينُ أميناً».

وهذا كلّه من أصل صحيح وهو حبّ أهل البيت أنتج في نظرهم فاسداً فضلّوا وأضلّوا»[١].

لقد فندت هذه الأباطيل والافتراءات في كتابي «العرفان وأهل البيت عليهم السلام» وتجنّبنا للاطالة والاطناب اعرض عن التطرّق إلى مناقشته غير اني أود الكشف عن الوجه الحقيقي عن ابن عربي وأمثاله من المتصوّفة وتحصين المجتمع الاسلامي من أفكارهم التي لا تمت بأيّ صلة إلى الاسلام.

وفيما يلي موقف الامام الحجّة بن الحسن صاحب الامام بالحق وصاحب العر الذي من لا يعرفه يموت ميتة جاهليّة من الصوفيّة:

«**الْكَشِّيُّ فِي رِجَالِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَرَاغِيِّ قَالَ وَرَدَ عَلَى الْقَاسِمِ بْنِ الْعَلاءِ نُسْخَةُ مَا كَانَ خَرَجَ مِنْ لَعْنِ ابْنِ هِلالٍ وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ ع إِلَى قُوَّامِهِ بِالْعِرَاقِ احْذَرُوا الصُّوفِيَّ الْمُتَصَنِّعَ قَالَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أَحْمَدَ بْنِ هِلالٍ أَنَّهُ قَدْ كَانَ حَجَّ أَرْبَعاً وَخَمْسِينَ حَجَّةً عِشْرُونَ مِنْهَا عَلَى قَدَمَيْهِ قَالَ وَكَانَ رُوَاةُ أَصْحَابِنَا بِالْعِرَاقِ لَقُوهُ وَكَتَبُوا مِنْهُ فَأَنْكَرُوا مَا وَرَدَ فِي مَذَمَّتِهِ فَحَمَلُوا الْقَاسِمَ بْنَ الْعَلاءِ عَلَى أَنْ يُرَاجِعُ فِي أَمْرِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ قَدْ كَانَ أَمْرُنَا نَفَذَ إِلَيْكَ فِي الْمُتَصَنِّعِ ابْنِ هِلالٍ لا رَحِمَهُ اللهُ بِمَا قَدْ عَلِمْتَ لا غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ وَلا أَقَالَهُ عَثْرَتَهُ دَخَلَ فِي أَمْرِنَا بِلا إِذْنٍ مِنَّا وَلا رِضًى لِيَسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ فَيُحَامِيَ مِنْ ذُنُوبِهِ لا يُمْضِي مِنْ أَمْرِنَا إِيَّاهُ إِلّا بِمَا يَهْوَاهُ وَيُرِيدُ أَرْدَاهُ اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ حَتَّى بَتَرَ اللهُ عُمُرَهُ بِدَعْوَتِنَا وَكُنَّا قَدْ عَرَّفْنَا خَبَرَهُ قَوْماً مِنْ مُوَالِينَا أَيَّامَهُ لا رَحِمَهُ اللهُ وَأَمَرْنَاهُمْ بِإِلْقَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْخَاصِّ مِنْ مَوَالِينَا وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنِ ابْنِ هِلالٍ لا رَحِمَهُ اللهُ وَمِمَّنْ لا يَبْرَأُ مِنْهُ وَأَعْلِمِ الْإِسْحَاقِيَّ سَلَّمَهُ اللهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِمَّا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ**

---

١. الفتوحات المكيّة ١ / ٢٨٢.

أَمْرِ هَذَا الْفَاجِرِ وَجَمِيعَ مَنْ كَانَ سَأَلَكَ وَيَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَالْخَارِجِينَ وَمَنْ كَانَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى ذَلِك»[١].

وتأمّل في قوله عليه السلام: «دخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضىً».

يهدف الصوفيّون من وراء خلواتهم وعزلاتهم للوصول إلى مرحلة الالوهيّة والشعور بالاتّحاد مع الله وبالتالي تحقيق الولاية العامّة على الآخرين هذه الولاية التي تعني عندهم تجلّي وظهور ذات الله في شخوصهم وبالتالي احراز ولايته.

ومع النصوص الاسلاميّة صريحة من خلال آيات القرآن الكريم التي تحصى الولاية بالله والرسول صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام إلّا انّ الصوفي يصر على القول: «إنّ لوائي أعظم من لواء محمّد» ولذلك فانّه يتّبع الهوى ولا يجد نفسه ملزماً بالالتزام بالشريعة الاسلاميّة «ليستبد برأيه فيتحامى من ديوننا لا يمضي من أمرنا إيّاه إلّا بما يهواه ويريد».

يقول الصوفي في تعريف الولاية:

«الولاية تعني قيام العبد بالحقّ في مقام فناء نفسه والولاية العامّة مشتركة بين جميع المؤمنين والولاية الخاصّة مختصّة بالواصلين من أرباب السلوك وهي عبارة عن فناء العبد في الحقّ وبقائه بالحقّ»[٢].

وإذن فانّ الصوفي كلّما يقوم بفعل فانّه يتصوّره ارادة الله تتحقّق من خلاله فهو لا يحتاج إلى اذن النبي ولا اذن الامام!

«بلا اذن منّا ولا رضيً».

---

١. بحار الأنوار ٥٠/٣١٨؛ رجال الكشي ٥٣٥؛ كمال الدين ٢/٤٨٩؛ مستدرك الوسائل ١٢/٣١٨.

٢. ديوان نعمة الله ولي ٤٧٣.

يشير مؤلّف كتاب «نشان از بی‌نشان‌ها» إلى هذه الحقيقة في قوله:

«بلى اليوم عصر الرقي ومشايخ هذا العصر والحمد لله وصلوا في رقيّهم مرحلة اجتازوا فيها الأئمّة عليهم السلام فاذنوا المريديهم التصرّف بالأموال أينما كانت في حين لم يرد عن الأئمّة عليهم السلام هكذا حكم يجيزون فيه التصرّف في أموال الناس»[١].

ومن خلال هذا النص ندرك انّهم لا يحترمون نصوص الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين قولهم حكم «قولكم حق»:

يقول الامام علي عليه السلام:

«إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِم»[٢].

وقال عليه السلام:

«يَا كُمَيْلُ الدِّينُ لِلهِ فَلا تَغْتَرَنَّ بِأَقْوَالِ الْأُمَّةِ الْمَخْدُوعَةِ الَّتِي قَدْ ضَلَّتْ بَعْدَ مَا اهْتَدَتْ وَأَنْكَرَتْ وَجَحَدَتْ بَعْدَ مَا قَبِلَتْ يَا كُمَيْلُ الدِّينُ لِلهِ تَعَالَى فَلا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَحَدٍ الْقِيَامَ بِهِ إِلَّا رَسُولاً أَوْ نَبِيّاً أَوْ وَصِيّاً يَا كُمَيْلُ هِيَ نُبُوَّةٌ وَرِسَالَةٌ وَإِمَامَةٌ وَلا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مُتَوَلِّينَ وَ مُتَغَلِّبِينَ وَضَالِّينَ وَمُعْتَدِين»[٣].

ومع كلّ هذه التوصيفات هل يبقى لأحد من جاه ومنزلة وهو يريد تحقيق أهواءه النفسيّة باسم الدين؟

---

١. نشان از بی‌نشان‌ها ١٤٢. ٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

٣. بحار الأنوار ٧٤/٢٧٦؛ بشارة المصطفى ٢٩.

أجل سيسجل اسمه في قائمة المعتدين وان لعجيب أمر مؤلّف كتاب «نشان از بی‌نشان‌ها» بذكر حديث الامام أميرالمؤمنين ونهيه الصريح ثمّ يدّعي انّ التصوّف طريقة الأنبياء والأولياء ولا أظنّه يجهل ما قاله الأئمّة الأطهار في المتصوّفة: «وانّهم أعداؤنا وانّ طريقتهم مخالفة لطريقتنا».

ولا أظنّه غير مطّلع على نصّ توقيع الامام الحجّة المنتظر صلوات الله عليه بشأن ابن هلال وقوله: «احذروا الصوفي المتصنّع... ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله وممّن لا يبرأ منه».

وقوله عليه السلام: «لا غفر الله له ذنبه ولا أقاله عثرته؛ دخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضىً.

انّ كلّ المصائب التي حصلت منذ رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى سواء داخل البلاد الاسلاميّة أو خارجها على أيدي المسلمين إنّما جاءت نتيجة لاقصاء أهل البيت عليهم السلام عن مقام الامامة وموقع الخلافة واسناد هذا المنصب الحسّاس إلى أُناس لا يملكون أيّ شكل من اشكال الأهليّة.

لقد بدأ زمن الكوارث منذ ذلك اليوم الذي أقصى فيه أهل البيت عليهم السلام عن موقعهم القيادي للأُمّة:

«دخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضىً».

فالولاية وفق النصّ القرآني ووصايا النبي صلى الله عليه وآله تنحصر في محمّد وآل محمّد عليهم السلام والتدخّل في أمرهم دون اذن منهم وقد جعلهم الله عزّوجلّ أولياء فتدخل الصوفيّون في أمرهم وادّعوا الولاية لهم فنحتوا لأنفسهم الألقاب فهذا مولانا وذاك السلطان وهذا شاه أو الملك لتثبيت الولاية لهم على عامّة الناس.

الفصل الخامس

موجز في التوحيد الإسلامي

ان تلقي الحقائق الدينيّة والعلوم الوحيانيّة القرآنيّة وأخذها يجب أن يكون عن أهل بيت الوحي عليهم السلام وحملة علم الكتاب وحيث التمسّك بهم والسير في طريقهم وعلى خطاهم الضمان الوحيد في سلوك الطريق القويم.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما إن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعدِي»..

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ * إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾[١].

وعليه فانّ الطريق الوحيد في تلقي قوانين الشريعة وتعلّم الحقائق في عصرنا يكمن في رسول الله وأهل بيته الأطهار الذين هم أوصياء الرسول ﷺ لنلاحظ هذا المثال:

فيما يخصّ كيفيّة ثبات واستقرار الأرض والعامل الذي يحول دون ميدان الأرض وانلاق طبقاتها.

قال تعالى:

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[٢].

وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«وَوَتَّدَ بالصُخور ميدان أرضِه»[٣].

ونحن نجد هذه الحقيقة في نظام التكوين.

وفي نظام التشريع يعني: الدين وفي توصيف موقع أهل البيت عليهم السلام بالنسبة لهذا النظام يقول عليه السلام:

«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ وَكُهُوفُ كُتُبِهِ وَجِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه»[٤].

ومن خلال هذا النص يتّضح لنا انّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يؤدّون دور سلاسل الجبال في تثبيت الأرض والمؤول دون ميدانها وفروجها عن مدارها.

---

١. النحل: الآيات ٣٦ ـ ٣٩.
٢. لقمان: الآية ١٠.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١.
٤. المصدر السابق، الخطبة ٢.

وهكذا فانّ أهل البيت هم جبال الدين الذين يحولون دون انزلاق أحكامه.

ومسؤوليّة الفقيه في منظومة الدين هي في السعي للوصول إلى تعاليم أهل البيت عليهم السلام في جميع المجالات سواء في الأحكام العمليّة أو في أُصول العقيدة ومن ثمّ تعليمها للآخرين.

ذلك انّ تعاليم أهل البيت عليهم السلام تختلف عن مقولات الفلاسفة والعرفاء والصوفيّة بل وتتناقض معها على كلّ الصعيد.

قال تعالى:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ما هي أفعالنا

الله وهبنا القوّة والقدرة ونحن نستفيد منها فنفكّر ونتأمّل ونتدبّر ونتحرّك و... هذه أفعالنا ونحن الذين نقوم بها بارادتنا ولكن القوّة مصدرها الله تبارك وتعالى.

واذن فنحن مخلوقات الله تعالى خلقنا وأودع فينا القدرة على انجاز الأعمال والقيام بالأفعال، من دون أن تكون هذه الأفعال والأعمال من مخلوقات الله تعالى فالأفعال ينجزها الانسان وهي تقع باذن الله.

أمّا نوع الأفعال هل هي في طريق الخير أم في طريق الشر فهذا يتوقّف على ارادتنا من دون تدخّل لارادة الله عزّوجلّ في ذلك.

واذن فان القوّة شيء واجراء هذه القوّة في عمل ما شيء آخر.

---

١. الصافات: ٩٥ ـ ٩٦.

ولهذا نقول:

«بحول الله وقوّته أقوم وأقعد».

فكلّ ما نقوم به من أفعال فهو بارادتنا وإذن الله عزّوجلّ وهو الذي يمدّنا بالقوّة والطاقة.

ينحت الانسان بخياله الهاً يعبده متصوّراً أنّ الوجود بما يشتمل عليه هو ذات الخالق وينظم علاقته مع هذا الاله الخيالي في اطار العشق؛ وهذا يحصل بسبب ابتعاد الانسان عن طريق الهداية.

انّ الانسان يحتاج إلى دليل يدلّه وإلى إمام يرشده وقد نصب الله من عباده أوصياء لرسوله ﷺ وهم أهل بيته عليهم السلام مثل ما يصدر عن أهل البيت الوحي هو الحق وما عداه باطل في باطل.

لقد وهب الله عباده علماً وفهماً وعقلاً يكتشفون به الصراط المستقيم الذي يتمثّل بالهداة من أهل بيت رسول الله ﷺ فهم مصابيح الدجى وأهل الذكر والراسخون في العلم وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسّك بهم فهم الأدلّاء على الحق والحقيقة، أمّا إذا اتبعنا الفلاسفة وما نحتوه لنا من الوجود إلهاً هو الوجود يتجلّى بصور مخلوقاته حتّى يتّحد الخالق والمخلوق ويصبح المخلوق عين الخالق وهكذا يضيع الانسان ويتيه.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[1].

---

١. هود: الآيتان ١١٨ ـ ١١٩.

وبعد هذه المعرفة القليلة انّه لا شيء ومعرفة هذا الاحسان الإلهي وتحوّل الانسان من لا شيء إلى شيء حينما يدرك مدى انعام الله عليه.

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[1].

هذه النعم التي لا يمكن احصاؤها.

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[2].

وكلّما فكّر الانسان في نفسه أكثر زادت معرفته بالله أكثر؛ ذلك انّه بمعرفة هذا النعم التي لا تحصى يدرك الانسان مدى كرم الله واحسانه وانعامه ووجد رحمة الله ورحمانيّته.

وهذه الحالة من الادراك والشعور والوجدان لدى الانسان لا تدفعه إلى الرقص وأداء هذه الحركات التي يؤدّيها المتصوّفة؛ وإنّما تدفعه إلى الشعور بالخجل لأنّ الله عزّوجلّ يغدق عليه النعم على غير استحقاق لها ويدرك انّه لن يمكنه أداء شكر المنعم وسيبقى عاجزاً عن ذلك أبداً فيزداد شعور المرء العاقل بالخجل وهو يرى ربّه وخلاقه يطلب منه أن يحدّث بنعمه.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[3].

وبعد أن يجد الانسان هذه الحالة الشعوريّة تنبثق في نفسه حالة الاعتذار لأنّه لا يستحقّ كلّ هذا اللطف الالهي ولذا يلهج أهل البيت بالاستغفار دائماً: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه».

١. لقمان: الآية ٢٠.
٢. ابراهيم: الآية ٣٤.
٣. الضحى: الآية ١١.

فيتساءل الجهال؛ ترىٰ ما الذي اقترفوه من ذنوب حتّى يطلبوا المغفرة والعفو بينما هي حالة الخجل التي يعيشها الانسان الكامل هي الباعث على الاستغفار.

وهذا معنى الحديث الشريف «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» وعند ما يجد الانسان هذه الحقيقة وهي انّه لم يخلق نفسه وإن كيانه يتألّف من نظام مدهش وكذا العالم الذي يعيش فيه هو الآخر ينهض على نظام مذهل وسعة غير قابلة للتصوّر عندئذٍ يدرك انّه والعالم كذلك لم يوجد نفسه ولذا فانّه لابدّ من وجود خالق وهكذا يتوصّل الانسان من خلال تفكيره إلى وجود الخالق وإلى صفة الخالقيّة فكلّ هذه الحركات والمنظومات الكوكبيّة وحركة السيّارات والمجرّات والسدم تعكس قدرة الخالق المطلقة.

وعلى هذا الأساس تنبت جميع الصفات الالهيّة وحتّى وجوده (يعني خروجه عن حدّ النفي والتعطيل) بالتدبّر والتدبّر في الآيات والدلائل التي هي مخلوقاته.

انّ الانسان يمتلك عقلاً وعلماً محدوداً جداً وتترتّب على هذه المحدوديّة عجزه عن إدراك نفسه ومعرفة نظام الخلق.

ومن البديهي أن تكون معرفة الانسان بمحيطها الخارجي مرتبط بمستوى قدراته العقليّة المودعة لديه، فاذا كان عقله أقل من عقله الراهن فانّه لم يكن ليمتلك هذه المعرفة عن نفسه ومحيطه الخارجي.

ولو كان يمتلك قدرات عقليّ أكثر ممّا هو عليه الآن فمن المؤكّد ان رؤيته ووعيه لنفسه والعالم الخارجي سيكون أفضل وأكثر ولكنّه عقله على كلّ حال لا يخرج عن دائرته المحدودة يعني انّه لا يتبدّل إلى عقل وقوّة لا محدودة.

أضف إلى ذلك انّ الانسان لا يستطيع الاتّصال بالعالم الخارجي إلّا عن طريق

الأعضاء التي لديه من قبيل العين والاذن وغيرهما.

فلو كان لديه أعضاء أكثر كمالاً فان رؤيته أكثر اتّساعاً للعالم؛ فلو كانت لديه عيون أكثر قدرة على الرؤية يتمكّن من خلالها رؤية الكواكب لزال جهله في هذا المضمار.

وعليه يجب على الانسان أن يتوصّل إلى معرفة الحقائق في كيفيّة خلقه ومن ثمّ يتطرّق إلى معرفة سائر الأشياء وإلّا استولت عليه الأوهام والخيالات وعندئذٍ لن يكتشف الحقيقة، بل انّه سوف يقوم بتحليل جميع الأشياء بقواه الخياليّة ويتحوّل هذا العالم الزاخر بالحقائق في ضوء رؤيته إلى مجرّد خيال؛ كما هو الحال في رؤية أهل العرفان والصوفيّة يعني «الوحدة الوجوديّة».

يقول شاه نعمة الله ولي:

لست إلّا نسمة من خيال
تتجلّى في عالم من خيالي
في يقظتي وفي منامي أراها
تبدو في كلّ وصرة من خيالِ

وهذه هي الرؤية الصوفيّة للعالم مقتبسة من الديانة الزرادشتيّة قبل ظهور الاسلام إذ كانت ترى العالم مجرّد أوهام «العالم والخليقة خيال في خيال»! في حين ان الله تبارك وتعالى تتجلّى قدرته في خلق العالم وخلق الانسان وهذه الحقيقة تدلّ عليها آثار الخلق ويدركها الانسان بفطرته:

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾[١].

واذن لم يكن شيئاً ثم كان وتحوّل إلى حقيقة واقعة وهذا موضوع يدركه الانسان ويشعر به.

وعليه فانّ الأفكار الصوفيّة ليست سوى امتداد لما كانت عليه الأفكار القديمة وما هي إلّا مجموعة من الظنون والأوهام يتداولونها ويؤسّسون عليها:

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[٢].

وفي عالم من الخيال فان الكذب هو الآخر سوف لن يكون له معنى ذلك ان نسج الأكاذيب له حالة وجوديّة أيضاً يلتحق بعالم الخيال ويضيف إلى الخيالات والأوهام خيالات أُخرى.

وفي ضوء العلوم الوحيانيّة الاسلاميّة ان علم الله تعالى وقدرته مطلقة وان مفهوم العلم القدرة الالهيّة يختلف عمّا هو في تصوّرنا عن هذين الاصطلاحين؛ ذلك انه لا وجه مشترك بين الخالق والمخلوق «لأنّه خلاف خلقه»[٣] وان «كنهه تفريق بينه وبين خلقه».

فالعلم الذي يوصف به الخالق عزّوجلّ هو خلاف العلم الذي يوصف الانسان وهو مجرّد اشتراك لفظي ذلك «انّه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين» ان صرّح التوحيد في الدين الاسلامي ينهض على هذا التباين بين الخالق والمخلوق.

وهذا المثال الذي يتحدّث عن الكؤوس المليئة بماء البحر ومياه البحر فانّه لا

---

١. مريم: الآية ٦٧. ٢. يونس: الآية ٦٦.

٣. بحار الأنوار ٤/ ٢٧٤؛ التوحيد للشيخ الصدوق ٤٨.

توصف علاقة مياه الكؤوس ومياه البحر بالتباين وإنّما بـالاختلاف واذن وفـي ضوء العلوم والوحيانيّة الاسلاميّة لا يوجد أيّ وجه مشترك بيننا وبـين الخـالق تبارك وتعالى في أيّة صفة من صفات الكمال.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«فَكُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ لا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ»[١].

فلا مناص من الاذعان إلى ان ذات الخالق تعالى هو غير الخـلق وان القـول بالتشابه والسنخيّة بين الخالق والمخلوق بأيّ شكل من الاشكال هو شرك وكفر صريح.

يقول الامام علي عليه السلام:

«تَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحُكْمُ التَّمْيِيزِ بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لا بَيْنُونَةُ عُزْلَةٍ»[٢].

واذن فان التعبير عن «بينونة الصفة» بالكمال في الخالق والنقص في المخلوق هو تعبير باطل، ذلك ان كلمة «بينونة» هي مصدر فعل «بان ـ يبين» وهو بمعنى القطع والغرق ويستخدم في الأشياء للدلالة على عدم وجود أيّ صـفة مشـتركة بينها.

وعليه فانه إذاكان التعبير عن البينونة بوجود صفة على نحو الكمال والتمام في الخالق ووجودها على نحو ناقص وغير تام في المخلوق انتفت حالة البينونة بين الخالق والمخلوق ويعبّر عن هذه الحالة بـ«الاختلاف» يعني وجود صفة مشتركة بين الخالق والمخلوق إلّا انّها موجودة على نحو تام وكامل في الخالق ووجودها

---

١. بحار الأنوار ٤/ ٢٢٩. ٢. المصدر السابق ٢٥٣.

على نحو ناقص وغير تام في المخلوق.

وهذا الاشتراك هو الشرك الذي أُمرنا باجتنابه؛ ذلك انّ الشرك يعني وجود اشتراك وشريك؛ بل ان المراد من «بينونة صفة» هو انّ صفات الكمال المنسوبة إلى الخالق لا يوجد لها أيّ شبه مع الصفات الموجودة لدى المخلوق.

انّ العلم الموجود لدى الانسان لا يشبه مفهوم علم الله تعالى والقدرة التي نلاحظها في عالم الخليقة والانسان لا تشبه مفهوم قدرة الله وهكذا الوجود الذي به قوام المخلوقات هو غير وجود الله تبارك وتعالى وإذن فانّه لا يوجد على الاطلاق أيّ وجه اشتراك في الوجود بين الخالق والمخلوق وهكذا في جميع صفات الكمال وهذا هو معنى «بينونة صفة».

يقول الامام علي عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لا شَبَهَ لَهُ لا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ وَلا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ لافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ الأَحَدِ بِلا تَأْوِيلِ عَدَدٍ وَالْخَالِقِ لا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ وَالسَّمِيعِ لا بِأَدَاةٍ وَالْبَصِيرِ لا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ وَالشَّاهِدِ لا بِمُمَاسَّةٍ وَالْبَائِنِ لا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ وَ الظَّاهِرِ لا بِرُؤْيَةٍ وَالْبَاطِنِ لا بِلَطَافَةٍ بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ عَالِمٌ إِذْ لا مَعْلُومٌ وَرَبٌّ إِذْ لا مَرْبُوبٌ وَقَادِرٌ إِذْ لا مَقْدُورٌ»[١].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

فانّ القول: «لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب» يدلّ على البينونة بين ذات الخالق وذات الخلق خلافاً لمقولات المتصوّفة وأهل العرفان: «هو كلّ الأشياء» أو «ليس في الدار غير ديّار».

يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«ولا إيّاه وحّده من اكتنهه ولا حقيقة أصابَ من مَثَّلهُ... ومباينته إيّاهُم مُفارقته إنّيتهم... وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه... فقد جهل الله من استوصفه»[1].

انّ تعاليم أهل البيت عليهم السلام إنّما تنبثق من العلوم الوحيانيّة الاسلاميّة المتمثّلة بالقرآن الكريم، انّهم لا يتقولون على الله الأقاويل، وفي هذا دليل على حقّانيّتهم، فلا يوجد ثمّة اختلاف ولو قيد أنملة بين أحاديثهم وآيات القرآن الكريم الذي ينهى عن ضرب الأمثال لله عزّوجلّ من قبيل البحر والكؤوس المليئة بماء البحر!

﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

انّ عدم الالتزام بالأوامر والنواهي الالهيّة هو من كبائر الذنوب غير انّنا إذا تامّلنا في ديوان شاه نعمة الله ولي نجد يعجّ بالأمثال من قبيل مثال البحر حيث يصوّر بالبحر ومخلوقاته بأمواج البحر وهذه رؤية الصوفيّة حيث ديوانه مليء بهذه الخيالات والأوهام فعلى سبيل يقول شاه نعمة الله ولي:

الموج والفقاعات والماء والبحر

هذه الأربعة كلّها واحد لدينا

فنحن الماء والفقاعات والموج

---

١. بحار الأنوار ٤/٢٨٨؛ التوحيد الشيخ الصدوق ٣٤؛ عيون أخبار الرضا ١/١٥٠؛ معاني الأخبار ٦١.

٢. النحل: الآية ٧٤.

البحر يعلم ماهيّة حقيقتنا

ارجع البصر لن ترىٰ سوى أحد

قطرة الماء والجدول والسيل والبحر[١]

ويحاول هذا المتصوّف أن يعبّر عن فكرة «وحدة الوجود» فشبه الله بـالبحر ونفس المثل يستخدمه المتصوّف الشيعي إذ يشبه الله بالبحر يـقول: «ان أقـرب مثال لبيان ومعرفة العلاقة بين البارئ ومخلوقاته هو ماء البحر وموج البحر، فكما أن موج البحر حالة عرضيّة بالنسبة إلى البحر؛ فان حكم المخلوقات والممكنات بالنسبة إلى ذات البارئ تماماً نفس هذه العلاقة فالمخلوقات حالة عرضيّة على ذات البارئ وان حقيقة جميع المخلوقات من أدناها إلى ارقاها لا شيء إلّا ذات البارئ.

فهل أخذ هذان العارفان الصوفيّان السني والشيعي هذا المثال وسائر مقولات الصوفيّة والعرفان من أهل البيت عليهم السلام ؟!

وأغلب العرفاء الصوفيّين يضربون هكذا أمثال لذات البارئ تـبارك وتـعالى وهي مخالفة للشريعة ومن كبائر الذنوب.

وقد حذّر أئمّة أهل البيت الأطهار عليهم السلام الأُمّة الاسلاميّة من ضرب الأمثال في ذات الخالق عزّوجلّ:

«ولا حقيقته أصاب من مثّله».

ومع هذا النهي الصريح يجازف الصوفيّون وأهل العرفاء في ضـرب الأمـثال

---

١. ديوان شاه نعمة الله ولي ٤٠.

لمعرفة ذات الخالق تبارك وتعالى ثمّ يدّعون انّ مقولاتهم مأخوذة من آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام !!

انّ تبلور العقيدة في نفس الانسان يجب ألّا يكون على أساس التقليد وإنّما يجب أن يكون عن وعي كامل وقناعة تامّة ومن أجل هذا يدعو القرآن الكريم إلى التدبّر والتعقّل والتعمّق في العلم وسبر أغوار المعرفة انّ كتاب الله عزّوجلّ فيه تبيان كلّ شيء لهذا يجب علينا أن نسأل أهل الذكر لبيان معارف القرآن الكريم: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» انّ مراجعة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم هم الطريق الوحيد لاكتشاف المعارف القرآنيّة والتزوّد بها لأنّ القرآن الكريم لا يمسّه إلّا المطهّرون فقط.

غير انّ العرفاء والصوفيّة يعرضون مقولات من نسج الخيال والأوهام ثمّ يزعمون انّ آيات القرآن تعزّز ما يذهبون إليه من نظريّات وآراء وكذا أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

انّ هذه المزاعم وهذه الأكاذيب تدلّ على انّهم ليسوا أحراراً وإنّما هم عبيد لقوى ليست رحمانيّة.

يقول تبارك وتعالى في بيان العلاقة بينه وبين مخلوقاته:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

والولد يعني ظهور أو انبثاق شيء من شيء آخر، ومن المؤكّد انّ الولد سيكون استمراراً لوجود ذلك الشيء ومن نفس سنخيّته.

---

١. المؤمنون: الآية ٩١.

ويصدق «الولد» في الانسان على أبنائه وفي غير الانسان على الأشياء التي تخرج أو تظهر من أشياء أُخرى المعلولات تظهر من علّلها وبالتالي فهي من نفس سنخيّتها ولذا فانّه يصدق استخدام مصطلح التوليد في موضوع العلّة بالنسبة للمعلول.

انّ المعلول أو الولد لدى ظهوره ليس عين العلّة أو الوالد ولكن الخواص الوجوديّة للوالد أو العلّة موجودة في الولد أو المعلول بالقوّة ويقوم عامل بتبديل القابليّات بالقوّة لدى الولد أو المعلول بالقوّة إلى.

وعليه فانّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة وآيات أُخرى ينفي كونه علّة لظهور شيء من ذاته المقدّسة؛ وبالتالي فان ذات المخلوق لا يمكن أن تشبه ذات الخالق يعني لا يمكن أن يكون من سنخه أو جنسه وعلى هذا الأساس فانّ المخلوقات والكائنات ليست معلولة لذات الخالق تبارك وتعالى ولا يوجد لها أيّ قاسم مشترك مع الخالق عزّوجلّ وان اطلاق اسم العلّة على ذات الخالق كذب.

انّ اطلاق اسم «الوجود» على الله عزّوجلّ هو الآخر كذب وباطل لأنّ الوجود وجميع صفات الكمال المتعلّقة بالوجود هي مخلوق من مخلوقات الله ولا يوجد له سبحانه شريك في أيّ من صفاته فهو «وحده لا شريك له»، وان ادراكاتنا عن الوجود وصفات الكمال الوجوديّة هي غير ذات البارئ تبارك وتعالى وصفاته الكماليّة.

فلا يوجد للمخلوق مع ذات الخالق أيّ شكل من اشكال الشبه والمشاركة: «فتعالى الله عمّا يشركون».

انّ الشرك يعني وجود شراكة واشتراك شيء مع الخالق في أيّ من صفاته.

يقول الامام موسى الكاظم عليه السلام:

«أَنَّ اللهَ أَعْلَى وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَكُفُّوا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ»[١].

انّ الموضوع واضح وجليّ: انّنا لا نملك أيّة معرفة عن ذات البارئ تعالى وصفاته التي هي عين ذاته ولا عن كيفيّة ذاته وكيفيّة أفعاله، ولذا لا يمكن أن يكون لنا رأي في هذا المضمار.

انّه ليس مخلوقاً كسائر مخلوقاته ولا له شبه بها.

هكذا ارادته وفعله، رغم انّ هكذا أُمور من الحوادث ومع ذلك فانّه يتعذّر على الانسان الوصول إلى معرفتها فعلى سبيل المثال: فكما ان معقولاتنا ومتصوّراتنا لا يمكنها معرفة مصوّرها (نحن) يعني انّه إذا تصوّرنا كلّ موجود ذهني ومهما بلغ من قواه الادراكيّة فانّه لا وجود له في الخارج، والانسان وحده من يمكنه أن يتصوّر ويفترق هكذا موجود ذهني.

وبهذا التوصيف فان هذا الموجود الذهني لا يمتلك القدرة على الاحاطة العلميّة بمصوّره، ولا يمكنه وهو الذي وجوده قائم بوجوده ومرتبط بتصوّره أن يعرف ما هو مصوّره وكيف هو؟!

بل انّه بمجرّد أن يغفل المصوِّر لحظة عن وجود هذا الموجود الذهني فان وجوده يختفي ويمحي لأن قوام وجود هذه الموجود الذهني بذلك الشخص.

---

١. الكافي ١/١٠٢.

واذن فانّ الشخص المصوِّر سيبقى مجهولاً غير قابل للحل، من هو وكيف هو وكيف تصوّره لدى ذلك الموجود الذهني.

وعلى هذا النحو يمكن ادرك عجز المخلوقات وعدم تمكّنها من معرفة ذات الخالق ومعرفة كيفيّة الخلق وسائر أفعاله سبحانه وتعالى.

فاذاكان الله تبارك وتعالى مشترك مع مخلوقاته من حيث الذات فانّ النهي عن توصيف ذاته يصبح دون معنى وهكذا بالنسبة إلى النهي عن التفكير في ذاته لأنّ التعبير ذاته في ضوء الفلسفة على هذا النحو:

«مفهومه من أعرف الأشياء»؛ وإذن فانّه كلّما زاد التعمّق لدى صاحب العقل في أمر هذا الوجود زاد علمه بذلك الوجود، وهذا ما نلاحظ في سعي العرفاء والصوفيّة في هذا المضار.

انّ العارف والصوفي وكما بينّا سابقاً هو نفسه الفيلسوف الذي أنفق سنوات عمره في مواضيع فلسفيّة من دون أن تتّضح له حقيقة من الحقائق وقد اعترف بعضهم بذلك صراحة.

فالعارف هو ذلك الفيلسوف الذي شعر باليأس من منهجه الفلسفي فاتّجه نحو العرفان (التصوّف) على أمل أن يتمكّن من خلال هذا الطريق أن يدرك حقيقة «الوجود» هذا الهدف الذي من أجله ضيّع سنوات عمره في القيل والقال والبحث والجدل ولكن دون جدوى! وفي النهاية اتّجه إلى الاعتزال والخلوة والانزواء وممارسة الرياضيّة النفسيّة القاسية والتي تصطدم بالشريعة احياناً على نحو يشبه في ممارساته المرتاضين الهنود مستغرقاً في الوصول عن نفسه وعن الكائنات ليبلغ حقيقة «الوجود» الذي هو قوام جميع المخلوقات به.

انّ الوصول إلى هذه الحقيقة وإدراك «الوجود» عن هذا الطريق أمر بديهي.

انّ الانسان يلتفت إلى الكائنات دائماً، فهو ينظر في الحالات العاديّة إلى المنوّرات والمعقولات والمعلومات.

فهو يرى في الشارع وسائط النقل والأشجار وسائر الأشياء إلّا انّه لا يلتفت أبداً إلى العامل في هذه الرؤية ما هو عامل هذه الرؤية؟

انّه الضوء أو النور والانسان في حالته العاديّة لا يلتفت إلى هذا العامل أنّه يهتمّ فقط بالأشياء التي يسقط أو يشرق عليها الضوء وبانتباه الشخص الواعي ينصرف نظره عن المنوّرات والأشياء التي يسطع عليها الضوء إلى العامل الأصلي وهو الضوء، وبالاهتمام أكثر والانتباه أكثر يكتشف خواصّه التي كانت مجهولة لديه وغير معروفة.

وينسحب هذا المثال تماماً على العقل والعلم والوجود يعني ان اهتمامنا وانتباهنا والتفاتنا منصبّ دائماً على المعقولات والمعلومات والموجودات أمّا العامل الذي يدلّ علىٰ هذا الشيء المجهول لدينا إلى معقول ومعلوم، فانّنا لا نهتمّ به.

ومن البديهي انّه إذا ما صرفنا اهتمامنا عن المعقولات والمعلومات إلى التفكير في العامل في ظهور هذه المعقولات والمعلومات فانّنا شئنا أم أبينا سيتسع مدى رؤيتنا وعقلنا وعلمنا ونعي أكثر قيمة العقل والعلم ونقدّر أكثر هذه الهبات الالهيّة والاستنادة منها على أفضل نحو.

هذا العامل لا يمكنه أن يعرّفنا على ذات العقل والعلم لأن كليهما نوري الذات والعامل الذي يعرف الأشياء ويعرّفها يجب أن يكون نوراً وما كانت ذاته نوراً كالعقل والعلم فانّه لا يتأثر بالنور لأنّ المنوَّر خلاف ذاته.

واذن فان معرفتنا عن العقل والعلم أيضاً هي بواسطتهما؛ ذلك ان من خواص النور هو كونه «ظاهر بالذات» و«مظهر للغير».

وحكم الوجود على هذا النحو، فالوجود هو قوام جميع الأشياء حتّى العقل والعلم قائمان به وبالأعراض عن الموجودات والاستغراق بالتفكّر في العامل الذي به قوامها يفضي تدريجيّاً إلى ادراك «الوجود».

انّ العارف ومن خلال خلفيته الفلسفيّة السابقة ينطلق في بحثه عن نور الوجود، النور الذي مصدره الأصلي هو ذات الخالق كما يقول الفلاسفة؛ حيث تتمتّع الكائنات بفيض من فيضه.

واذن ومن خلال الرياضات النفسيّة الشاقّة والعزلة والخلوة والانزواء يدرك الصوفي والعارف «الوجود» وانّه نفسه شعاع ضئيل من هذا الوجود فيتصوّر انّ الوجود هو الله وانّه بزعمه قد بلغ مرحلة الفناء في الله أو الفناء في ذات الخالق.

وهنا يكمن خطأ الصوفي والعارف وهو ايمانه بالفرضيّة القديمة جداً والتي يعود تاريخها إلى آلاف السنين والتي تقول: «انّ الوجود هو الله» أو الله هو الوجود هذه الفرضيّة التي أصبحت لديهم من المسلّمات التي لا تقبل الانكار!

في حين انّنا نشهد سرعة الرقي المذهل للانسان خلال المئة عام الماضية، فكيف بأفكاره ما قبل الميلاد؟

انّ مرجعيّتنا الفكريّة والعقائديّة هي رسول الله ﷺ وآله الأطهار أهل بيت الوحي عليهم السلام فهل تحدث القرآن الكريم أو ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى انّ الوجود هو الله أو الله هو الوجود؟!

بل العكس إذ تشتمل الأحاديث الشريفة على نهي وتحذير في توصيف الله بخلاف ما وصف به نفسه.

«مَنْ وَصَفَ اللهَ بِخِلافِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللهِ»[١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ سبْحانَ اللهِ عَمّا يَصِفُون ﴾.

وجاء في الروايات: «لا تقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو» فهل من المعقول الّا يدرك شيعة أهل البيت معنى قول المعصوم: «لا يدرك كيف هو»؟!

أليس في هذه النصوص وهي بالمئات ما يردع تسمية الباري تبارك وتعالى بـ «الوجود»؟! هذه التسمية التي أطلقها الفلاسفة وأهل العرفان والتصوّف؟!

ونحن نردّد في الزيارة الجامعة الكبيرة قول المعصوم:

«مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَءَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ»[٢].

وكذلك هذا النصّ من هذه الزيارة:

«أُشْهِدُ اللهَ وَأُشْهِدُكُمْ، اَنّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنْتُمْ بِهِ، كافِرٌ بَعَدُوِّكُمْ وَبِما كَفَرْتُمْ بِهِ، مُسْتَبْصِرٌ بِشَاْنِكُمْ وَبِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكُمْ، مُوالٍ لَكُمْ وَلِأَوْلِيآئِكُمْ، مُبْغِضٌ لِأَعْدآئِكُمْ وَمُعادٍ لَهُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ،مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِما اَبْطَلْتُمْ، مُطيعٌ لَكُمْ عارِفٌ بِحَقِّكُمْ، مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ».

واذن فانّ الشيعة يتّبعون أهل البيت عليهم السلام ويأخذون بتعاليمهم التي هي التعاليم الالهيّة الحقّة ويرفضون فرضيّات فلاسفة ما قبل الميلاد!

انّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وهم حملة علوم القرآن الكريم حصراً وهم معلّموا الكتاب العزيز الذي يقول:

---

١. بحار الأنوار ٤ / ٥٣.

٢. الزيارة الجامعة.

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[١].

ولقد جاء النهي الصريح عن التفكير في ذات الله تبارك وتعالى.

انّ الوجود الذي يدركه الانسان هو ليس ذات الخالق تبارك وتعالى وليس في ذاته من هذا الوجود أثر.

انّ الله سبحانه يغفر الذنوب جميعاً إلّا الشرك به وحدة الأفكار في ان الوجود هو الله واشتراك الخالق مع المخلوق بالوجود هي شريك بالله تعالى عمّا يصفون، يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**يا مَنْ دَلَّ عَلىٰ ذاتِهِ بِذاتِهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ**»[٢].

انّ هذا النص ينفد فكرة «وحدة الوجود» ودليل على بطلانها؛ ذلك انّه لو كان الخالق والمخلوق متّحدين في الوجود وهو (الوجود) في الخالق على نحو مطلق وتام وفي المخلوق على نحو ناقص، فهما من جنس ومن سنخ واحد!!

انّ الذين ينظرون إلى العلاقة بين الخالق والمخلوق في اطار العلاقة بين العلّة والمعلول يؤكّدون على سنخيّتهما ويقولون:

«انّ سنحيّة العلّة والمعلول من الغباء الالهيّات»[٣].

وهذا شرك واضح بالله عزّوجلّ في ضوء العلوم الوحيانيّة الاسلاميّة ورعاية للايجاز لا نريد مناقشة الموضوع وإلّا فانّ الأدلّة في بطلان المقولة أعلاه كثيرة جدّاً.

---

١. الأنعام: الآية ٣٨.
٢. كتاب مفاتيح الجنان للشيخ المحدّث عبّاس القمّي (دعاء الصباح).
٣. علل گرايش به مادّيگري (عوامل التوجّه نحو المادّيّة) ١٤٤.

انّ سورة التوحيد أو الاخلاص والتي يقرأها المسلمون في صلواتهم اليوميّة تؤكّد على انّه سبحانه لم يلد ولم يولدولم يكن له كفواً أحد.

وهذا النصّ القرآني:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون» فنحن لله ونحن إليه راجعون وعائدون واللام في «لله» تفيد المالكيّة يعني اننا جميعاً ملك لله ومملوكين والله سبحانه هو المالك.

وعليه فان ترجمة الآية أعلاه إلى الفارسيّة على هذا النحو: «ما همه از خدائيم» هو خطأ فادح لأنّه يؤدّي إلى مفهوم مغاير لمعنى النص لأن «از» تعني «من» ويصبح النص كالآتي: «إنّا من الله» ومن تفيد التبعيض وتعني انفصال شيء من شيء في حين ان سورة الاخلاص تقول: «لم يلد» ولهذا يجب الحذر في ترجمة النص القرآني بحسب الأهواء الشخصيّة والآراء الذاتيّة ويحذّر القرآن الكريم في العديد من آياته المباركة من جعل الانداد لله عزّوجلّ وهو وضع شريك أو افتراض حالة من الشراكة بين الخالق والمخلوق:

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾[2].

وعندما نراجع القاموس اللغوي نجد تحت مفردة الـ«ند» ما يلي:

«ند يد الشيء مشاركة في جوهره.. قال تعالى: فلا تجعلوا لله أنداداً»[3] واذن تعني الند المشاركة في الجوهر و«الشبه» تعني تشابه شيئين في الكيفيّة وقد سئل

---

١. البقرة: الآية ٢٢. ٢. إبراهيم: الآية ٣٠.

٣. مفردات راغب الاصفهاني ٥٠٧ مفردة «ندّ».

الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

ـ «هل كان فيه (آدم) من جوهريّة الرب شيء؟»

فكتب في الجواب:

ـ ليس صاحب هذه المسألة على شيء من السنة؛ زنديق.

واذن فان فكرة النديّة التي تنهض على وجود اشتراك بين الخالق والمخلوق في الصفات وحتّى في الوجود شرك بالله عزّوجلّ و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[1].

غير انّ شاه نعمة الله ولي شأنه شأن جميع الصوفيّين يصرّون على القول «الحق مطلق بحق حقيقتنا»[2].

والمراد من الحق المطلق ذات الباري تبارك وتعالى ولا شكّ في ان هذه العقيدة شرك؛

واذن فانّ الله تعالى غير مخلوقاته ولا مجانسة بينهما، لكنّه عليم قدير مريد فعال لما يريد وفيه كلّ الصفات الكماليّة مطلقة لا محدودة ولا نهائيّة.

وعليه فان خلق العالم وانتخاب هذا النظام جاء على أساس العلم والقدرة واراداته هو، لا انّه عاجز عن ايجاد نظام آخر وانه مضطر لايجاد هذا النظام.

بل ان العجز لا يتطرّق إلى رحابه وهو سبحانه القدرة المحض طبعاً ليس القدرة بمفهومنا وتصوّرنا:

وهو الخالق الموجد لهذه القدرة ولا شيء واجب عليه من خلق واحسان ولا

---

١. النساء: الآية ٤٨.
٢. ديوان شاه نعمة الله ولي ٧٧.

ان الخلق من آثار وخواص وجوده كما ان من خواص النار الاحراق بل ان كلّ ما يقوم به بارادته وبامكانه ألّا يقوم به يعني ان صدور أي فعل من أفعاله لا يحدث بالوجوب وإنّما بمشيئته وارادته يقول سبحانه:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وعليه فان جميع النعم الالهيّة وكذلك سلبها إنّما تجري بمشيئته وارادته سبحانه ولا يوجد أيّ شكل من اشكال الوجوب عليه فاذا كانت الفلسفة الالهيّة تعرّف الذات الالهيّة بـ«واجب الوجود من جميع الجهات» يعني ان القيام بالخلق وكلّ أفعاله عزّوجلّ من واجبات الذات الالهيّة، بينما العلوم الوحيانيّة للقرآن الكريم وتعاليم أهل البيت على النقيض من هذا الكلام.

ومن هنا نكتشف التناقض بين المدارس الفلسفيّة والعرفانيّة مع العلوم الوحيانيّة للقرآن الكريم.

بناءً على الفلسفة البشريّة انّ الاحسان والفضل واجب على الله على نحو انّه لا يستطيع الامتناع عن ذلك وعلى قول بعضهم انّه يستطيع ولكنّه ممتنع؛ كما انّ النار لا يمكنها الامتناع عن الاحراق وكما انّ الشمس لا يمكنها أن تمنع نورها من السطوع والانتشار وبذلك فليس له من فضل.

انّ النظام الموجود ليس نظاماً غير قابل للتغيير ولا يمكن أن يكون أفضل نظام أيضاً؛ ذلك انّه لا يمكن للعقل المحدود أن يقيس مدىٰ القدرة المطلقة اللانهائيّة؛

---

١. آل عمران: الآية ٢٦.

بل انّ الله تعالى يمكنه أن يخلق أنظمة أرقى وأرقى كما أخبر هو سبحانه.

انّ القدرة المطلقة اللامحدودة خالقة المقدور تكون كذلك لا محدودة أيضاً وهي محددة بنظام دون نظام ولو كانت لا تستطيع ان تخلق نظاماً أرقى وأحسن من هذا النظام لكان علمه سبحانه محدوداً وقدرته كذلك في حين ان العلوم الوحيانيّة تقول خلاف ذلك لأنّه سبحانه يقول:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَا يَشَاءُ ﴾[1].

وهذا النص يكشف عن قدرة الله في تغيير هذا النظام وهو أمر لا شكّ فيه ولو كان الأمر غير ذلك لاقتضى عدم صحّة القول الالهي (نعوذ بالله).

وقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[2].

فهل ان النظام الموجود وما فيه من منظومات خلق بحيث لا يمكن تغييره أين هو النص الذي يؤيّد ما يذهب إليه أهل الفلسفة والعرفان؟!

وقال تعالى أيضاً:

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[3].

انّ المشيئة الالهيّة والارادة الربّانيّة هي القدرة لأنّه عين القدرة تبارك وتعالى ذكره ولو كان الأمر غير ذلك فان نسبة الارادة إليه تكون خطأ (نستغفر الله).

---

١. الأنعام: الآية ١٣٣.
٢. إبراهيم: الآية ١٩.
٣. الإسراء: الآية ٨٧.

وعليه ان الرب والاله الذي يعرفنا به الدين والشريعة هو ذات فاعله يفعل ما يشاء قادر على ما يريد ولا يوجد عامل ـ حتّى ذاته سبحانه ـ تلزمه بالقيام أو عدم القيام بعمل أو فعل ما وإن أوامره الصادرة بالنسبة للظواهر ليست قديمة أو أزليّة بل هي فعله وبالتالي فان جميع الظواهر هي حادثة وفي المقاتل فان الاله الذي يجده الانسان من خلال فكره هو ذات فاعله وما قام به من فعل جاء على نحو الالزام والحتم بحيث انه لا يمكن أن يمتنع عن القيام به كالخلق والانعام والاحسان و... فكلّ هذه الأفعال واجب عليه ولا يوجد تدبير خاص في هذه الأفعال بل ان من خاصيّة وجوده ظهور الموجودات وهذا النظام السائد في العالم.

وانطلاقاً من كون الهداية إنّما هي هداية الله:

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ ٱلْهُدَى﴾[1].

فان هذه الهداية تأتي عن طريق رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فالذين يوفقون بأخذ هذه الهداية ويحصلون من خلال ذلك على المعرفة بالله عزّوجلّ فانّهم يعون جيداً ضعفهم وعجزهم وضالّتهم وفي المقابل يدركون مدى عظمة الله فيسعون إلى العمل على تحقيق مرضاته سبحانه وتعالى وهم لا يتخطون درجة العبوديّة أبداً.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«وَ إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ

---

١. البقرة: الآية ١٢٠.

يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَه»[١].

ان الطاعة لله والانقياد إليه لا يعود بالنفع له سبحانه كما انّه لا تضرّه معصية من عصاه بل انّ الفائدة والضرر يعودان على الانسان نفسه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوا ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا ٱللهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَلا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاع»[٣].

انّ قدرة الله مطلقة لا نهائيّة ولا يقف أمامها شيء ولا يمتنع منها شيء فهل سبحانه يفعل ما يشاء فعال لما يريد يغيّر المصائر قادر على أن يغيّر العالم ويذهب به ويأتي النظام آخر وإن يد الله ليست مغلولة لا يمتنع منه شيء.

وعليه فان مقولة أهل العرفان: «انّ الله ظهر بصور مخلوقاته لكي يتجلّى وتتجلّى كمالاته» هي مقولة فارغة في ضوء العلوم الوحيانيّة الاسلاميّة وكلام باطل وتدلّ على فقده وهو الغني المطلق.

﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٤].

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾[٥].

﴿إِنَّ ٱللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾[٦].

وآيات أُخرى كثيرة في هذا المضمار.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.
٢. آل عمران: الآية ١٧٧.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٣.
٤. البقرة: الآية ٢٦٧.
٥. الأنعام: الآية ١٣٣.
٦. العنكبوت: الآية ٦.

وهذا الكمال المطلق والغنى المطلق الذي يعبّر عن عدم حاجته سبحانه إلى شيء يعبّر عنه النصّ القرآن في توصيفه سبحانه بـ«الصمد» في سورة الاخلاص أو التوحيد التي نقرأها في صلواتنا اليوميّة.

وبهذا الموجز ندرك انّ الله تبارك وتعالى الذي يعرّفنا به الدين الاسلامي الحنيف منزه من كلّ نقص وهو الكمال المطق الذي لا يحتاج إلى أيّ شيء على الاطلاق والذي لا شريك له ولا سنخيّة له مع مخلوقاته بل ان ذاته المقدّسة غير ذات مخلوقاته.

وهو تبارك وتعالى وصفاته المذكورة غير ما يدركها الانسان ويفهمها وبالتالي فان ذات البارئ ليست معلومة ولا مفهومة ولا معروفة للانسان أبداً لأن ذاته مطلقة وفوق اللانهاية والانسان كائن ضعيف محدود جداً وقواه الجسميّة والروحيّة لا تمكّنه من الاحاطة بالذات المطلقة اللانهائيّة.

وان ما نطلق عليه سبحانه من صفات فعلى أساس ما وصف به نفسه من دون أن تكون لهذه الصفات من قبيل العلم والقدرة والرحمانيّة و... نفس المفاهيم التي نمتلكها لهذه الألفاظ إلّا انّه لمحدوديّة الكلمات التي يستخدمها الانسان في توصيف البارئ تعالى ذكره وفي النهاية ان استخدام هذه المصطلحات البشريّة في توصيف الخالق يكمن في هذا السبب ولذا فهو اشتراك لفظي فقط من دون أن يكون هناك أي تشابه في الصفات ولا اشتراك بين الخالق والمخلوق حتّى في الوجود.

واذن فانّ المخلوقات لا يمكنها تشارك الله عزّوجلّ حتّى في الوجود ذلك انّ

الاسلام يقول: انّ الله عزّوجلّ خلاف خلقه: «ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه»[١].

واذن فان كلّ ما يخطر في الذهن البشري من تصوّرات فانّ الله عزّوجلّ هو خلاف ذلك.

وانّ القول باشتراك الخالق مع المخلوق في الوجود هو شرك بالله تعالى لأنّ المعنى الحرفي للشرك هو الاشتراك في شيء حتّى بنسبة الذرّة إلى ما لا نهاية بين فردين أو أكثر.

انّنا نتوصّل إلى معرفة وجود الخالق تبارك وتعالى من خلال التفكير في النفس وفي نظام الخليقة؛ ولأنّنا لم نخلق أنفسنا ولا حتّى أصغر النعم التي ننعم بها؛ كذلك فان معرفة الخالق خارجة عن قدراتنا، وهذا الشعور بالعجز هو أيضاً من نعم الله علينا الذي جعل معرفته في العجز عن معرفته وبادراك هذه الحقيقة نحصل على الرحمة وكلّما غامر الانسان في معرفة الخالق عزّوجلّ باستخدام فكره وعقله ومن دون استرشاد بالأدلاء الالهيّين ازداد حيرة وضياعاً ثمّ يفضي به هذا التيه إلى السقوط في مستنقع الشرك الذي غاص فيه الفلاسفة والمتصوّفة انّ الله عزّوجلّ هو خالق البشر وخالق عالم الدنيا وعالم الآخرة من العدم وبالتالي فهو مالك كلّ شيء.

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ ﴾[٢].

وبلوغ الانسان السعادة في هذين الدارين والعالمين منوط برضا المالك وهذا

---

١. بحار الأنوار ٤/ ٣٠١.

٢. الطور: الآية ٣٥.

يتحقّق بالتزام الأهداف والغايات من وراء خلقه لأن ذلك من أوامر الله عزّوجلّ الذي يهدي الانسان في جميع المجالات ومن يوفقه للهدى فلا خوف عليه من الانحراف والسقوط والهلاك.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾[١].

وهذا الطريق المستقيم يفضي في النهاية بالانسان إلى السعادة في عالم الدنيا والدار الآخرة.

والسير على الصراط المستقيم يقتضي تلقي الرحمة الالهيّة باستمرار هذه الرحمة التي هي أفضل ممّا يجمعه الانسان من الماديّات:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٢].

وهذا التفوّق واللذّة في تلقي الرحمة الالهيّة موضوع غير قابل للتوصيف لأنّه من الوجدانيّات كما هو الأمر في حالات الكآبة والفرح وحالات الجوع والظمأ فهذه اُمور غير قابلة للبيان والتوصيف.

فاذاكنّا في موقع الخطاب وتحدّث إلينا شخص عن احساسه بالعطش والظمأأو الجوع فانّنا ندرك ذلك لأن لدينا إدراك سابق عن هذه الحالة وإلّا فلا يمكن أبداً بيان هذه الحالة للمخاطب.

واذن طوبى لأولئك الذين يسعون إلى كسب رضا الله تبارك وتعالى المالك والخالق ويتلقّون الأوامر الالهيّة من مصدر الشرعي وهو أهل بيت الوحي عليهم السلام ويعملون بها.

---

١. الزمر: الآية ٣٧.
٢. الزخرف: الآية ٣٢.

ويقتضي تحقيق السعادة التزام المستمر بتعاليم أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

وهؤلاء الذين بلغوا هذه المرحلة فغمرهم الفيض الإلهي بالرحمة وهم قليلو العدد دائماً هؤلاء الذين يسيرون على خطى أهل البيت عليهم السلام لأن طريقهم صعب مستصعب وهو طريق الرسل والأنبياء الالهيّين.

من أجل ذلك عاش الأئمّة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله في غربة وظلّت معارفهم وتعاليمهم هي الاخرى غريبة؛ بينما نجد الأفكار والنظريّات الفلسفيّة اليونانيّة والزرادشتيّة تدرس في الجامعات والحوزات على انّها جزء من الثقافة الاسلاميّة.

وما تزال سياسة الاقصاء تمارس بحق تعاليم أهل البيت عليهم السلام حتّى اليوم.

يزعم أحد الأساتذة في حوزة قم وهو من أهل العرفان.

«هل لاحظتم في القرآن الكريم وفي أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم اشارة إلى انّ الله تعالى هو الوجود المحض؟!»[1]

وهذا الزعم تمّ الردّ عليه في طبعة الكتاب الأولى والثانية على هذا النحو:

«إنّ بعض المتوغّلين في الكثرة لا يجوزون إطلاق لفظ الوجود على الباري تعالى وعلى ما سواه لأنّه مستلزم للشرك... ويا للعجب من بعض المنتحلين للاسلام يستنكرون اطلاق الوجود والموجود على الحق تعالى ويتساءلون عن منشأ هذه الألفاظ وهذا برهان سيّد الموحّدين أميرالمؤمنين سيّدنا عليه السلام يقول:

١. الوحدة من وجهة نظر العارف والحكيم ص٥١.

«**الْحَمْدُ لِلّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ**»[١].

ويقول أيضاً: **فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ**»[٢].

ويقول أيضاً: «**كائِنٌ لا عَنْ حَدَثْ مُوجُودٌ لا عَنْ عَدَم**»[٣].[٤]

أقول: لنتأمّل في هذه النقطة وهي ان «الله موجود» غير «الله الوجود» فهل ورد في الكتاب والسنّة هذا التعبير: «هو الوجود»؟!

كما هو متداول لدى أهل العرفان:

نحن عدميون لنا وجود ظاهري

أنت وجود مطلق ووجودنا

وقولهم: «فان الوجود هو الحق»

ان ما نستنكره قولهم: «الله هو الوجود» وليس «الله موجود» ان «الله موجود» مرحلة من مراحل الايمان لأن:

«الايمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».

أمّا القول: «الله هو الوجود» فهذا كلام في الذات وهو كفر محض لأن «**من تكلّم في الذات فقد هلك**»[٥].

«**إِيَّاكُمْ وَالْكَلامَ فِي اللهِ تَكَلَّمُوا فِي عَظَمَتِهِ وَلا تَكَلَّمُوا فِيهِ فَإِنَّ الْكَلامَ فِي اللهِ لا يَزِيدُ إِلّا تَيْهاً**»[٦].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٤٩.

٣. المصدر السابق، الخطبة ٣.

٤. الوحدة من وجهة نظر العارف والحكيم ٥١.

٥. بحار الأنوار ١٠/ ٢٤٦؛ تحف العقول ٤٨٩.

٦. توحيد الصدوق ٤٥٧؛ وسائل الشيعة ١٦/ ١٩٩.

«**لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً**»[١].

ومن هذا النص ندرك ان قوله: تشهد له اعلام الوجود فهو سبحانه غير الوجود بل هو خالق الوجود وهذه الشهادة أكبر شاهد على بطلان مقولة: «الله هو الوجود» لأنّ النص يفيد بأنّ «الله موجود» وليس «الله هو الوجود».

وهذا مثال للايضاح: يقال: «اللبن أبيض».

فاذا سأل سائل عن ماهيّة اللبن فهل يصح القول: «اللبن بياض»؟

أمّا لماذا ورد في النصوص لفظ «الوجود» للأخبار عن وجود الله عزّوجلّ وخروجه عن حدّ النفي والتعطيل فوقع الفلاسفة والصوفيّة في وهم «وحدة الوجود» في الخالق والخلق وكان ذلك منهم خطأً فادحاً لا يمكن تلافيه؟!

انّ استخدام هذا اللفظ كان ضروريّاً للغاية لخروجه عن حدّ النفي والتعطيل وتوصيفه بصفات الكمال مثل العليم، البصير، السميع والقدير واشتقاقاتها، فهي من أجل تفهيم وجوده سبحانه وخروجه عن حدّ النفي وتفهيم.

صفاته وكونه عالماً قادراً بصيراً ومغايرة وجوده مع وجود مخلوقاته وتباين صفاته عن صفات مخلوقاته، ترىٰ هل يمكن ايصال هذه المعاني من دون استخدام مصطلح «الوجود»؟! أبداً.

وهل يمكن استخدام مصطلحات ليست موجودة في لغة البشر من أجل ايصال

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٤٩.

هذه المعاني، كيف يمكن ايصال معنى القدير والعليم والسميع والبصير من دون تفهيم وجود الله؟!

انّ الانسان يفهم المعاني من خلال الكلمات التي يستخدمها في التعبير.

وإذن بسبب محدوديّة الكلمات في اللغة البشريّة يوجب استخدامها في عمليّة نقل مفهوم وجود سبحانه وبيان سائر صفاته، مع التأكيد على التباين التام بين ذات الخالق وذات الخلق وانّه لا يوجد أيّة علاقة مشتركة بين وجود الخالق ووجود المخلوق لا في الذات ولا في الصفات.

قال تعالى:

﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ**﴾[1].

وجاء خطبة للامام علي عليه السلام:

«**الْحَمْدُ لِلهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ**»[2].

وقال صلوات الله عليه:

«**كائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ مُوجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ**»[3].

انّ القدم والحدوث أمران متناقضان لا يجتمعان أبداً فعلى سبيل المثال: نفترض وجود شيئين:

الأوّل: له خاصية ذاتيّة بقدمه وأزليّته وبالتالي فهو بمنأىٰ عن أيّ شكل من أشكال التغيير.

---

١. الطور: الآية ٣٥.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.
٣. المصدر السابق، الخطبة ٣.

والآخر له خاصّة ذاتيّة بحدوثه فهو حالة تغيير مستمرّة دائمة فهل يمكن أن نقول انّه لا فرق بينهما لأن كلاهما يطلق عليه «شيء»؟!

وهكذا تماماً الفرق بين الوجود في ذات الله والوجود في ذات الخلق (ما سوى الله).

فالوجود في ذات الله قديم وأزلي وبالتالي فهو منزّه عن كلّ اشكال التغيير وعدم الثبات.

فهل يمكن أن يكون هذان الوجودان من سنخ واحد وأن يكون كلاهما وجوداً واحداً بدعوى اطلاق لفظ الوجود عليهما؟!

انّ التباين بين هذين الوجودين أمر واضح وبديهي واستحالة اجتماع النقيضين يؤيّد ذلك، لأنّه لا يمكن اجتماع القدم والحدوث أو القديم والحادث.

ونصوص أهل البيت عليهم السلام تصرّح بهذه الغيريّة وبهذا الخلاف:

«انّه خلاف خلقه» و«هو شيء بخلاف الأشياء»[1].

ولا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، كلّ ما وضع في الوهم فهو بخلافه».

«فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلافُهُ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ خِلافُ مَا يُعْقَلُ وَخِلافُ مَا يُتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ إِنَّمَا يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلا مَحْدُودٍ»[2].

و«ما تصوّر في الأوهام فهو بخلافه» و«ما توهمتم من شيء فتوهّموا الله غيره».

---

١. الكافي ١/٨٢؛ بحار الأنوار ٣/٢١٣؛ التوحيد ١٠٥.

٢. بحار الأنوار ٣/٢٦٦؛ الكافي ١/٨٢.

و «كنهه تفريق بينه وبين خلقه» و «انه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين».

و «**إِنَّ اللهَ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ**»[١].

«فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع صانعه».

ولـ «انّه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين.

والنصوص الشريفة في هذا المضمار كثيرة جدّاً وكلّها تؤكّد على مسألة التباين بين الصفات المنسوبة إلى ذات الباريّ تبارك وتعالى والصفات المنسوبة إلى الخلق فما هو موجود مجرّد اشتراك لفظي فقط.

ان الاله الذي تعرّفه الفلسفة والنظريّات العرفانيّة حيث الاشتراك المعنوي الوجودين هذا الاله وبين الخلق يختلف عن الاله الذي يعرّفه الاسلام والذي «كنهه تفريق بينه وبين خلقه» ومن دون وجود أيّ شكل من اشكال الاشتراك بينه وبين خلقه في الوجود وسائر صفات الكمال.

انّ الله الفلاسفة والمتصوّفة والعرفاء موجود هو مركز جميع الكمالات وهو مركز صدور الفيض والخلق و... وعلى نحو الوجوب ومن دون أن تكون له ارادة وتدبير، إلّا انّه عالم بما يصدر عنه فقط، تماماً كالشمس التي يصدر عنها النور والطاقة مع هذا الاختلاف وهو انّ الشمس لا تعي هذا الفعل لكن الاله يعلم ما يصدر عنه بالوجوب أي من دون استطاعة عن الامتناع من صدور هذا الفيض منه!

---

١. بحار الأنوار ٣ / ٢٦٣؛ الكافي ١ / ٨٢.

أما «الله» الذي يعرّفه الاسلام فهو الخالق العليم القدير الفعّال لما يرد من دون أن يكون في ذلك أي شكل من اشكال الوجوب بل له القدرة المطلقة والمشيئة والارادة، وحكمه وحده يجري في مخلوقاته فلا يقع شيء إلّا باذنه.

﴿ مَا قَطَعْتُم مِن لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1].

وهو الله التام الارادة التام المشيئة الفعّال لما يريد.

فـ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾.

ولهذا تجب الاستعانة به دائماً والتزام أوامره ونواهيه والسير على طريقه المستقيم الطريق المغمور بنور السماوات والأرض، طريق السعادة الأبديّة وفي غير ذلك ومهما جمع الانسان من الثروات الماديّة فلن ينعم بمشاعر الطمأنينة والاحساس بالسلام.

والحمد لله ربّ العالمين

محمّد صدر زاده

تمت الترجمة

يوم الجمعة ٥ صفر ١٤٣٦هـ

٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٤م

---

١. الحشر: الآية ٥٩.

المحتويات

المقدّمة ٥

الفصل الأوّل: نبذة عن العرفان والتصوّف

(٧ ـ ٢٤)

نماذج من عقائد وأفكار العرفان اليوناني قبل الإسلام ٩
نموذج من عقائد العرفان الهندي ٩
نموذج من العرفان الزرادشتي ١٠
نموذج من العرفان الإسلامي السني ١١
نموذج من العرفان الإسلامي الشيعي......................... ١٤
نماذج من توصيات النبي الأكرم ٩ في ضرورة التمسّك بأهل البيت عليهم السلام ١٧
نماذج من توصيات الأئمّة المعصومين: ١٩

الفصل الثاني: الردّ على كتاب «رسالة رفع الشبهات»

(٢٥ ـ ١٨٠)

من هو محي الدين بن عربي؟ ١٠٣

شاه نعمة الله ولي الكرماني ١١٧
حكم الشارب لدى الصوفيّة ١٧١

الفصل الثالث : حول الفلسفة والكلام

(١٨١ ـ ٢٩٤)

الفصل الرابع : حول العرفان

(٢٩٥ ـ ٣٩٠)

إيران موطن زعماء الصوفيّة ٣٣٧
لماذا الوجود الله ؟! ٣٦٥
مسقط رأس ابن عربي........................ ٣٧٦
الصوفيّة وجعل الحديث ٣٧٨

الفصل الخامس : موجز في التوحيد الإسلامي

(٣٩١ ـ ٤٢٦)

ما هي أفعالنا........................ ٣٩٣
المحتويات........................ ٤٢٧